

خادم الحرمين الشريفين – (١)

مؤلف هذا الكتاب يردد قول زعيم الحرية شوكت باشا

« نحن عثمانيون لا نرضى أن نعيش أذلاء »



كتاب

(منظر أوروبا العجيب)

(وملخص رحلات نجيب)

(يشتمل على وصف الاستانة العليه وبلاد اليونان وبعض)

(بلاد ايطاليا وسويسرا والمانيا وفرنسا وبلجيكا)

(ومعرضي ميلان وبروكسل وبه)

(خمسون رسماً)

(بقلم)

(نجيب حسين الجند)

(الطبعة الأولى)

في

(سنة ١٣٢٩ هـ — و ١٩١١ م)

(طبع بمطبعة الهداية برحبة عابدين بمصر)



خادم الحرمين الشريفين (١)

مؤلف هذا الكتاب يردد قول زعيم ا[illegible]يه شوكت باشا

«نحن عثمانيون لا نرضى أن نعيش أذلاء»

فرسه اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وسأله كم تحتاج من الغنم والدجاج والفراخ والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفاكهة والعلوفه وغير ذلك مما جرت به عاده فأحضر جميع ذلك اليه بزيادة وكان مع المأمون أخوه المعتصم وابنه العباس وأولاد أخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن أكثم والقاضي أحمد بن داود فأحضرت لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ولم تكل واحدا منهم ولا من القواد الى غيره ثم أحضرت الى المأمون من فاخر الطعام ولذيذه شيئاً كثيرا حتى انه استعظم ذلك فلما أصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعها عشرة وصائف مع كل وصيفة طبق فلما عاينها المأمون من بعد قال لمن حضر قد جاءتكم القطبية بهدية الريف الكامخ والصحناه والصبر فلما وضعت ذلك بين يديه اذا في كل طبق كيس من ذهب فاستحسن ذلك وأمرها باعادته فقالت لا والله لا أفعل فتأمل الذهب فاذا به ضرب عام واحد كله فقال هذا والله أعجب ربما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك فقالت يا أمير المؤمنين لا تكسر قلوبنا ولا تحتقر بنا فقال ان بعض ما صنعت الكفاية ولا نحب

الثقيل عليك فردى مالك بارك الله فيكى فأخذت قطعة من الارض وقالت ياأمير المؤمنين هذا وأشارت الي الذهب من هذا وأشارت الي الطينة التى تناولتها من الارض ثم من عدلك ياأمير المؤمنين وعندى من هذا شيء كثير فأمر به فأخذ منها وأقطعها عدة ضياع وأعطاها من قريتها (طاء النمل) مائتى فدان بغير خراج وانصرف متعجبا من كبر مروءتها وسعة حالها

تلك القرية ولد فيها المؤلف سنة ١٣٠٠ هجرية من أبوين عثمانين وفد آباؤهما على مصر من بلاد الاناضول بدعوة من أقاربهما الذين كانوا من الضباط الترك بالجيش المصرى وكان أبو والد المؤلف يدعى (محمد أغا) حضر من بلدته (ارمنك) ولاية قونيه سنة ١٢٥٠ وذهب الي تلك القرية للنظارة على أطيان قريبه الضابط الذى أخذها معاشا له وقد استولي عليها (محمد أغا المذكور) بعد وفاته بدون وارث غيره وأقام مع عائلته فيها حيث أسس بها عائلة الجندى الشهيرة وكان له ثلاثة أبناء ذكور منهم (حسين الجندى) والد المؤلف ذلك الذى كبرت في زمنه العائلة وكثر عددها واتسعت أملاكها قد توفي في ٢٠ يناير

سنة ١٨٩٧ . وأما والدة المؤلف فقد حضرت مع والدها المدعو عمر أغا صادق من بلدة أورك بولاية ارضروم ببلاد الاناضول سنة ١٢٨٧ بدعوة من أخيه الذي كان ضابطا بالجيش وتوفي وترك أطيانا بقرية طنامل وأملاكا بمصر ورثها عنه عمر أغا المذكور ولما بلغ المؤلف سن السادسة أرسله والداه الي القاهرة للاقامة مع جده عمر أغا الذي يقيم بالحنفي فأدخله في سن السابعة الي مدرسة الشيخ صالح وبعد مضي سنتين من دخوله بها سافر جده الي ارضروم لتسوية نزاع كان وقع بين أولاد أخيه ببلدة أورك وقد مكث بها ثلاث سنوات اضطر في خلالها والد المؤلف أن يرسله الي مدرسة طنطا الاميريه الاقامة مع أخيه وأولاد عمه الذين كانوا يتلقون دروسهم بها وقد تلقى بها المؤلف دروسه الابتدائية والحضر جده عمر أغا من ارضروم أعيد الى مصر وأدخل مدرسة التوفيقية بشبرا بالقسم الفرنساوي ومكث بها ثلاث سنوات في مدة ناظرها باقي بك ولما توفي والده في ٢٠ يناير سنة ١٨٩٧ اضطر لتركه الدروس موقتا والذهاب الي قرية طنامل لمباشرة شؤونه حيث كان حصل بين العائلة نزاع

كبير لحيازته الا بعد ثلاث سنوات اضطر المؤلف فى خلالها الى الاقامة بها وتولى بعد ذلك ادارة أملاكه فيها مدة ثلاث سنوات أخرى

ولما كان محبا للعلم راغبا فى الاقتباس من منهله العذب وكانت أشغاله لا تمكنه الانقطاع لذلك وأحب ان يجمع بينهما عاد للاقامة بالعاصمة وبنى له منزلا بجهة مهمشه بعيدا عن ضوضاء المدينة ومشاغلها وصار عاكفا على الدرس والمطالعة بمنزله بهدؤ وسكينة بينما يسافر كل أسبوع لمباشرة أشغاله الزراعية

ولما كان محبا للاطلاع ولمعرفة عوائد الامم وأخلاقها ودراسة حياة الامم المتمدنة ومناظرة بلادها وتقدمها خامرته فكرة السفر كل عام فى فصل الصيف الى تلك البلاد ورأى ان تكون أول اسفاره الى الاستانة العلية دار الخلافة العظمى ومقر عرش آل عثمان العظام وعاصمة الممالك العثمانية التى من ضمنها مصر فكانت أول سفرته يوم أول أغسطس من سنة ١٩٠٤ الى الاستانة العلية وتلتها اسفاره الاخرى اليها والى غيرها من البلاد الأوربية كما هو موضح بهذا الكتاب.

مقدمة الكتاب

لما كنت ميالا للسياحة والسفر والوقوف على أحوال الأمم المتمدنة ومعرفة عاداتها وأخلاقها وأسباب رقيها وتقدمها ومشاهدة مناظرها وآثارها قمت بعدة رحلات الى الاستانة العلية والى بعض مدن أوروبا وبلادها وكانت مدة اقامتي بالأستانة تزيد عن سبعة أشهر في رحلتين متواليتين تمكنت في خلالها من دراسة حالة المدينة وعوائد أهلها وأخلاقهم تلك المدينة التي هي مركز الخلافة العظمى ومقر عرش الدولة العثمانية التي يتمسك به كل عثماني ويتعلق باهدابه كل مسلم

وكان مدة مكثي باوروبا حين زياراتي الاربعة لها التي لا تقل مدة الزيارة الواحدة فيها عن ثلاثة أشهر كافيا لالمامي بعوائد أهلها ومعرفة ماشاهدته من آثارها وأبنيتها واحيائها المتمدنة التي دققت البحث والتنقيب عن تاريخها واحوالها مستعينا في ذلك بما كنت أحمله معي من كتب الدليل (بدكر) وبمن كان يصحبني من الرفقاء

رأيت ان أجمع ذكر رحلاتي ووصف مشاهداتي لتلك البلاد وأضمنها كتابا واحدا ارفه هدية زهيدة الى أبناء وطني الاعزاء وخدمة وطنية صغيرة لهذا الوطن الذى له علي حق النشؤ والتربية والحياة عسى ان يصادف فيه حسن القبول ويصفح القراء عما مافيه من الخطأ والزلل

لاني ماقدمت على ذلك الا وأنا موقن من حسن غفرانهم وسعة صدورهم لما يحرره عاجز مثلي

وقد توخيت في تحرير كتابي هذا أسلوبا خياليا يمثل الحقيقة باتم وضوح وانتهجت فيه منهجا وسطا مبتعدا عن المبالغة في الوصف (الذي قلما يسلم الواصفون)متحاشيا التعليل من أهمية الموصوف والوضع من قدره (الذى لا يتوخاه الا المتحاملون والمتشيعون للدين أو الجنس

فجاء كتابي هذا مطابقا للحقائق والمشاهدات التي يراها الزائر لتلك البلاد وينظرها بالعين المجردة ويبحثها بتدقيق وامعان وبما ان من عادات الغربيين النبيله ان لا يكتمون الحقائق ولا يتظاهرون بالزهد في الدنيا والاعتصام عن الخطيئات (رياء

ونفاقا) بل تراهم صريحى القول يجاهرون بالحقائق ولو على أنفسهم ولما كانت الرياضية والتنزه عندهم من الوسائل التى تقوى الاجسام وتصح العقول وتساعدهم على القيام بواجباتهم نحو أنفسهم ونحو بلادهم ولا يستغنون عنها فى حياتهم المملوءة بالامور العظيمة والاعمال الخطيرة حيث بها تزال الهموم والاكدار وتنشط العقول من عقالها رأيت ان آتى هنا على وصف الكثير من منتزهاتهم وملاهيهم غير خاش فى ذلك لوم اللائمين أو انتقاد المتنقدين

وقد حليت كتابى هذا بخمسين رسما من صور آثار المدن وعمائرها وشوارعها وقصورها لتكون للقارىء هدى وتبيانا لما عجزت فيه عن الوصف وما صادفته من عدم المقدرة على استكناه أسرارها والله المستعان

خلاصه تاريخ الدوله العليه

تأسست هـذه الدوله العظيمه فى عهد أمير يسمى أرطغرل كان نزح مع أبيه وقبيلته على عهد جنكيز خان من بادية خراسان الى بلاد الاناضول فى أواخر القرن السابع للهجرة وكان في أول أمره تابعا لامير قونية السلجوقى فلما توفى ورث الاماره ابنه عثمان الذى ولد سنة ٦٥٦ هجريه وهو جدها ته الدولة التي اسست باسمه كان يحكم قضاء صغيرا بولاية قونيه فلما مات أميرها علاء الدين استقل عثمان بتلك الولاية فى اليوم الرابع من شهر جمادي الاولى سنة ٦٩٩ هجريه وجعل يوسع دائرة ملـكه ويضم لها البلاد المجاورة ويفتح المدن حتي توصل لفتح مدينة بروسة (بورصه) المشهوره على يد ابنه أو رخان وجعلها مقر مملـكته الى يوم وفاته في سنة ٧٢٦ هجريه في ٢١ رمضان ودفن ابيرسه وخلفه فى المملـكة ولده فاتح بيرسه الغازى السلطان أو رخان الذى ولد سنة ٦٨٠ هجريه وجلس على عرش المملـكة فى شهر رمضان سنة ٧٢٦ وكان محبا للفتح ومايلا لتحسين المملـكه فـكان أول من نظم الحـكومة ووضع أساس الجيش والانـكشاريه الذين اشتهروا بعد ذلك فى تاريخ الدولة حيث تألفت فرقتهم من أولاد أسرى الحروب فصار السلطان يربيهم تربية اسلامية ليجعلهم عدته فى الحروب القادمه وقد عظم شأنهم فى زمن السلاطين الذين أتوا بعده وقبضوا على زمام



المرحوم السلطان محمد الثانى الفاتح (١٠)



الحكومة فى زمانهم حتى بلغ من أمرهم انهم كانوا يعزلون السلاطين
ويولونهم بمحض ارادتهم فدانت لهم المملكة والسلاطين الي زمن
السلطان محمود الذي أفناهم و أراح البلاد من عنائهم وتحكمهم

وخلف أورخان ولده الغازى السلطان مراد خان الاول الشهير
بغازى خداوندكار ولد سنة ٧٢٦ هجريه ومات شهيدا فى محاربة قوصوه
فى أوائل رمضان سنة ٧٩١ هجريه ونقلت جثته ودفنت ببروسه كما
بنى له قبر فى محل وفاته وخلفه ولده الغازى السلطان يلدرم بايزيد خان
ولد سنة ٧٦١ وجلس على عرش المملكة ٧٩١ هجريه وتوفى سنة
٨٠٥ هجريه ودفن ببروسه

وخلفه ولده الغازى السلطان محمد خان ولد سنة ٧٨١ ه وجلس
على عرش المملكة سنة ٨١٦ ه وتوفى سنة ٨٢٤ ه ودفن ببروسه

وخلفه ولده الغازى السلطان مراد خان الثاني ولد سنة ٨٠٦ ه
وجلس علي العرش سنة ٨٢٤ ه وتوفي سنة ٨٥٥ ه ودفن ببروسه
وقد اتسعت الدوله في زمن هؤلاء السلاطين ووقعت آسيا الصغره كلها
فى قبضتهم وجزء من أوربا ولما تولي بعده ولده أبو الفتح الغازي السلطان
محمد خان الثاني الذي فتح القسطنطينيه بعد ما حاصرها حصارا شديدا
سنة ١٤٥٣ فجعلها مركز ملكه فهي دار السلطنه والخلافة الاسلامية
الي اليوم وكان الاتراك مشغفين بفتحها من زمن مديد واستخلاصها من
يد الروم وقد قتل الملك قسطنطين بليولوغوس في أثناء الحصار وهو آخر
ملوك السلطنه البظنطيه ونقلت جثته بعد دخول الاتراك الي المدينة

فامر السلطان محمد ان تدفن بالاكرام ثم استولي السلطان علي خزائن الاستانه وعظم شأنه فى الارض وبدأت أوربا تخاف على سلامتها من الفاتحين العثمانيين وقد اضيفت فى ايامه طرابزون وغيرها الي المملكة وتسمى بأبي الفتح وتاريخ ولادته كانت فى ٧ رجب سنة ٨٣٣ه وتولى المملكه سنة ٨٥٥ وتوفي سنة ٨٨٦ ودفن بالمسجد الذي شيده بالاستانه

وخلفه ولده الغازي السلطان بايزيد خان الثاني ولد سنة ٨٥١ وتولي المملكه سنة ٨٨٦ وتوفي سنة ٩١٨ ه ودفن بالاستانه

وخلفه ولده السلطان سليم خان الاول فاتح مصر وسوريا وكردستان وبلاد العرب وورث الخلافة عن العباسيين وبلغت المملكه فى زمنه شأوا عظيما من العظمة والمجد ولد سنة ٨٧٥ هجريه وتولي المملكه سنة ٩١٨ ه وتوفي سنة ٩٢٦ ودفن بالاستانه

وخلفه ولده الغازي السلطان سليمان الشهير بالقانوني ولد سنة ٩٠٠ هجريه وتولى المملكه سنة ٩٢٦ ه وبلغت الدوله في زمنه اسمي دركات العز والمنعة والقوة حتي دانت له اكثر الممالك وأراد أن يفتح أوربا بأكملها فاكتسح بلاد البلقان وضمها الي ملكه وتقدم على بلاد المجر فاتحن في اهلها وزحف بعد ذلك على فينا سنة ١٥٢٩ ميلاديه فحاصرها وضيق الخناق على أهلها ولكنه لم يتمكن من فتحها ولو تم له ذلك لكان معظم أوربا فى قبضة الترك الي الآن

وكان ذلك السلطان معاصرا لشرلكان امبراطور المانيا وأسبانيا

وفرنسوا الاول ملك فرنسا وقد تداخل بينهما مرة فى الحرب نصرة لملك الفرنسيس وباجمله فلم تر الدولة عزا مثل ما رأته فى ايامه

وخلفه السلطان سليم الغازي الثاني نجل سليم الاول ولد سنة ٩٣٠ وتولى الملك سنة ٩٧٤ وتوفي سنة ٩٨٣ هـ

وخلفه ولده الغازى السلطان مراد خان الثالث ولد سنة ٩٥٣ وتولى الملك سنة ٩٨٣ وتوفى سنة ١٠٠٣

وخلفه ولده الغازي السلطان محمد خان الثالث فاتح اكري ولد سنة ٩٧٤ وتولى الملك سنة ١٠٠٣ وتوفي سنة ١٩٢

وخلفه ولده الغازي السلطان أحمد خان الاول ولد سنة ٩٩٨ وتولي سنة ١٠١٢ وتوفي سنة ١٠٢٦ ودفن بجامعه بالاستانه

وخلفه أخوه السلطان مصطفى خان الاول ولد سنة ١٠٠١ وتولي سنة ١٠٢٦ وترك الملك سنة ١٠٢٨

وتولى السلطان عثمان خان نجل السلطان أحمد خان الاول ولد سنة ١٠١٣ وتولى سنة ١٠٢٨ وتوفى سنة ١٠٣١ وجلس بعد السلطان مصطفى خان الاول من سنة ١٠٣١ لحين وفاته سنة ١٠٤٨ هـ

وخلفه فاتح بغداد الغازي السلطان مراد خان نجل السلطان أحمد خان الاول ولد سنة ١٠١٨ وتولى سنة ١٠٣٢ وتوفي سنة ١٠٤٩

وخلفه أخوه السلطان ابراهيم خان ولد سنة ١٠٢٤ وتولي سنة ١٠٤٩ وتوفي سنة ١٠٥٨

وخلفه الغازي السلطان محمد خان الرابع نجل السلطان ابراهيم خان الاول ولد سنة ١٠٥١ وتولى سنة ١٠٥٨ واعتزل الملك سنة ١٠٩٩ وتوفى بادرنه سنة ١١٠٤ ودفن بالاستانه

وخلفه السلطان سليمان خان الثاني نجل السلطان ابراهيم خان ولد سنة ١٠٥٢ وتولى الملك سنة ١٠٩٩ وتوفى سنة ١١٠٢

وخلفه أخوه السلطان احمد خان الثاني ولد سنة ١٠٥٣ وتولى سنة ١١٠٢ وتوفى سنة ١١٠٦

وخلفه السلطان مصطفى خان الثاني نجل السلطان محمد خان الرابع ولد سنة ١٠٧٤ وتولى سنة ١١٠٦ وتوفي سنة ١١١٥

وخلفه أخوه الغازى السلطان أحمد خان الثالث ولد سنة ١٠٨٤ وتولي الملك سنة ١١١٥ وكانت وفاته سنة ١١٤٩ وتولي بعده الغازى السلطان محمود خان الاول نجل السلطان مصطفى خان الثاني ولد سنة ١١٠٨ وتولى سنة ١١٤٣ وتوفى سنة ١١٦٨

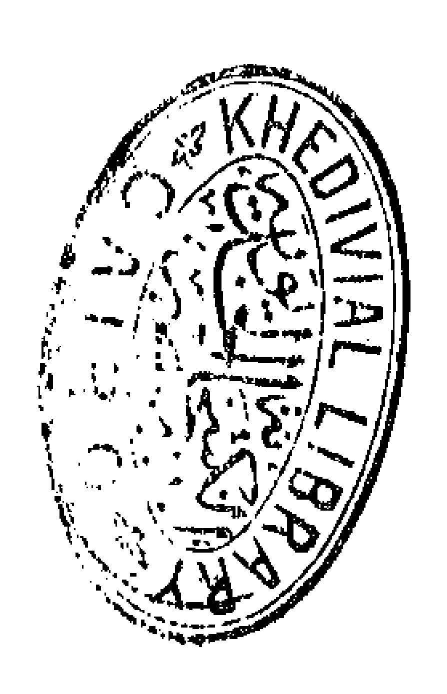
وخلفه أخوه السلطان عثمان خان الثالث ولد سنة ١١١٠ وتولى سنة ١١٦٨ وتوفى سنة ١١٧١

وخلفه الغازي السلطان مصطفى خان الثالث نجل السلطان احمد خان الثالث ولد سنة ١١٢٩ وتولى سنة ١١٧٢ وتوفى سنة ١١٨٧ وتولي بعده السلطان عبد الحميد خان الاول نجل السلطان أحمد خان الثالث ولد سنة ١١٣٧ وتولى سنة ١١٨٧ وتوفي سنة ١٢٠٣

وخلفه نابغ عصره الثاني الغازي السلطان سليم خان الثالث نجل



المرحوم السلطان الغازى عبد المجيد خان — (١٤)



السلطان مصطفى خان الثالث ولد سنة ١١٧٥ وتولى سنة ١٢٠٣ وتوفى سنة ١٢٢٣

وخلفه السلطان مصطفى خان الرابع نجل السلطان عبد الحميد خان الاول ولد سنة ١١٩٣ وتولي سنة ١٢٢٢ وتوفى سنة ١٢٢٣ ثم الغازي السلطان محمود خان الثاني نجل السلطان عبد الحميد خان الاول ولد سنة ١١٩٩ وتولى سنة ١٢٢٣ وتوفى سنة ١٢٥٥ وتولي بعده الغازى السلطان عبد المجيد خان نجل السلطان محمود خان الثاني ولد سنة ١٢٣٨ وتولى سنة ١٢٥٥ وتوفى سنة ١٢٧٧ ثم السلطان عبد العزيز خان نجل السلطان محمود خان ولد سنة ١٢٤٥ وتولى سنة ١٢٧٧ واعتزل الملك سنة ١٢٩٣ فى ١٧ جماد الاول وتوفى بعدها بخمسة أيام

وتولى بعده السلطان مراد خان الخامس ولد في ٢٥ رجب سنة ١٢٥٦ وتولي الملك ثلاثة شهور وثلاثة أيام ثم خلع بعد ذلك وتوفى فى سنة ١٣٢٢

وتولي بعده اخوه السلطان عبد الحميد الثاني ولد سنة ١٢٥٧ وتولي سنة ١٢٩٣ وكانت المملكة من بعد عهد السلطان سليمان القانوني قد تناوبتها الاضطرابات الداخليه والخارجيه وعاث الانكشاريه فى البلاد الفساد حتي كانت السلاطين العوبة في أيديهم الي أن ابادهم السلطان محمود كما ذكرناه وقد ضعفت الدولة فى عهدهم بتوالي الحروب وتجمهر ممالك أوربا ضدها وضياع بعض أملاكها الاوربية بعد حربها الاخير

مع اوروبا وعقد مؤتمر برلين وقد كثرت القلاقل الداخلية والمشاكل الخارجية في عهد السلطان عبدالحميد حتى رأى رجال تركيا الفتاة أن لا ينقذ تلك المملكة من الفساد والاضمحلال غير الاصلاح على الطريقة الدستورية فصاروا يستعدون سرا لهذه الغاية والسلطان يبطش بمن ينكشف أمره منهم وينفيهم الى البلاد البعيدة وقد عظم أمرهم ومالت اليهم الامة والجيش وأكرهوا السلطان على منحهم الدستور واعادة القانون الاساسي للمملكة الذي وضعه في أول حكمه وكان منح الدستور في ٢٤ يوليو سنة ١٩٠٨ ففرح به العثمانيون في جميع الاقطار وأقاموا الزينات الباهرة والحفلات الشائقة وسارت الحكومة سيرا دستوريا بضعة أشهر حتى انتقض على الدستور بعض الرجعيين من الجيش ومن أتباع السلطان وعندها قام الدستوريون بجيشهم من سلانيك ودخلوا الاستانة واستولوا عليها بعد تغلبهم على حاميتها وعلى أعوان السلطان وخلعوه بفتوى شرعية من شيخ الاسلام في يوم ٢٨ أبريل سنة ١٩٠٩ وارتقى العرش مكانه جلالة الخليفة الاعظم السلطان الغازي محمد الخامس وهو أول ملك دستوري في عرش آل عثمان وأعلن رغبته مرارا في الحكم على الطريقة الدستورية وحبه الاختلاط بالامة والسياحة في ممالكه وقد قلد جلالة السلطان محمد الخامس سيف آل عثمان يوم ١٠ مايو سنة ١٩٠٩ في احتفال فخيم وقد تقدمت المملكة في زمنه تقدما عظيما اذ انتظمت أمور المالية والجيش وتقوى أسطولها البحري بما تشتريه الدولة من حين الى آخر من المراكب الحربية العظيمة ذات المدافع السريعة الطلقات



مولانا الخليفة الاعظم السلطان محمد الخامس – (١٦)



والسرعة الكبيرة وقد هدأت في زمنه الثورات الداخلية بقوة الجيش العامل الذي نزع الاسلحة من مقدونيا وألبانيا وبعض بلاد العرب وقد تولي زمام المملكة في زمنه نبغاء الامة وقادتها الذين لا يغضون طرفة عين عن اصلاحها والسعي في رقيها بما علموه من التجارب العديدة وتلقي الدروس الكثيرة بالبلاد الاوربية وقد قام مجلس المبعوثان الجامع لنخبة الامة بتقرير المشروعات النافعة التي أنفذ بعضها وسينفذ الباقي في وقت قريب بمشيئة الله مثل انشاء الطرق وعمل السكك الحديدية لتسهيل المواصلات لنقل خيرات البلاد ومتاجرها واصلاح الضرائب وقسمتها بالعدل والقسطاس بين الناس حتي اعترف بنجاح الدستور العثماني العالم أجمع وتنازلت الدول الاوربية عن التشبث بمطالبها في بعض تلك البلاد وأطلقت اليد لرجال الاصلاح في مقدونيا وغيرها وتقدمت الدولة في ظرف سنتين ونصف بهمة رجالها العاملين وفي عهد سلطاننا وخليفتنا الدستوري ما لم تكن تبلغ اليه في عشرات السنين في عهد سلاطيننا السابقين ولما كان يهم القارئ معرفة تفاصيل تقلد ذلك الخليفة الدستوري لسيف أجداده العظام رأينا أن نأتي علي ذكر تلك الحفلة الباهرة

حيث ان الحكومة العثمانيه عند عزمها علي تقليد سيف جده عثمان أرسلت منشورا الي سكان الاستانة بينت لهم فيه موضع الاحتفال المنوي عمله ليقوموا بتزين الطرق والمنازل واهتمت بتزين الجوامع والميادين

والدواوين والمحلات العمومية التي مر بها الموكب أو تم فيها شيء من حفلات التقليد ونصبت السرادقات للسفراء والأمراء والرؤساء والنواب حتى اذا تم الاستعداد سار الاسطول العثماني الى سراي طولمه بغجه منزل جلالة السلطان ورسي بختان عثمانيان امامها فلما جاء الوعد خرج أمراء البيت السلطاني وركبوا أحد اليختين وركب حرم القصر العربات السلطانية ومررن بخيط بين الخدم والاغوات الى استانبول وعند الساعة الحادية عشر والدقيقة (٣٥) خرج جلالة السلطان أصدحت الموسيقي بنغم الحرية وركب اليخت اسودلى وسار الى بستان اسكله سى تجاه الاسطول العثماني باطلاق المدافع

ولما وصل جلالته بستان اسكله سى استقبله الوكلاء وشيخ الطريقة المولوية الذي له الحق في تقليد السلطان سيف عثمان وبعض المشايخ وسار الموكب على الاقدام الى جامع أبي أيوب الانصاري فدخل جلالته المكان المعد له وجلس الوكلاء في اماكنهم وبعد ان استراح قليلا دخل المقصورة حيث كان السيف موضوعا بها فأخذه بحضور رئيس الاعيان والمبعوثان والصدر الاعظم وشيخ الاسلام وسماحة لشلبي أفندى شيخ الطريقة المولوية فقلده اياه وقرأ دعاء بحفظ جلالته الذي كان الانفعال باديا على وجهه وخرج الناس وتركوا السلطان يؤدى الصلاة شكرا لله على نعمته العظيمة ولما اكتمل الموكب خرج المسجد فدخل رئيس التشريفات وأخبر جلالة السلطان بذلك فخرج وركب العربة وسار

الموكب على النظام الآتي وتقدم الموكب سيارة مصفحة تقل الضباط الذين ساروا لفتح الطريق وتلتها فصيلة من فرسان سلانيك وفصيلة أخري من الفرسان ثم الموظفون من رتبة بالا فما فوق راكبين العربات وتلي ذلك ثلاثة من الفرسان ووراءهم العلماء والرؤساء والروحيون ثم وفدا المبعوثان والاعيان ونصـيلة من الرماحه تليها الوزراء كل اثنين منهما في عربة يليهم رئيس المبعوثان والاعيان ثم الصدر الاعظم وشيخ الاسلام ووراءهما فصـيلة من الفرسان ثم السرياور والسر تشريفاتي وحرس سلانيك وقومندان الجندرمه ثم فصيلة من الرماحة يليها قائد الجيش العامل ووراءه أنور بك بطل الدستور العثماني ثم فرقة رماحه وأركان الحرب ثم العربة السلطانية بها جلالة السلطان ومقابله الغازي مختار باشا أقدم الضباط عهدا ثم بعض الجنود والفرسان من سلانيك يليهم ضياء الدين أفندي نجل جلالة السلطان ولطفي بك التشريفاتي ثم نجم الدين أفندي نجله الثاني وعمر حلمي أفندي نجله الثالث وبعدهم نيازي بك بطل الدستور ثم فرقة من المدفعية والفرسان يليهم أصهار السلطان ثم طبجيـة الفيلق الثالث في نهاية الموكب وقد رجع جلالة السلطان بهذا الموكب المهيب والناس محتشدة في كل موضع مر به وقضي ساعتين حتي بلغ طوبقبو حيث تحفظ الآثار النبويه وهنالك نزل من العربة وتبعه الامراء والوكلاء والعلماء فزار تلك الآثار متباركا بها ورجع الي قصره في الطريق التي مر منها وبذلك انتهى الاحتفال بتقليـد سيف عثمان

وجلوسه على عرش أجداده العظام جعل الله عهده خيرا وبركة على الامة العثمانية وزاد الدولة العلية فى زمنه عظمة وقوة حتى يعاد اليها مجدها القديم فى زمن أجداده السالفين

السفر من مصر الى الاستانة

لم أبلغ سن العشرين حتى بدأت أميالى للسياحة والسفر الى البلاد الخارجية للوقوف على أخلاق أهلها وعوائدهم ودراسة أسباب رقيهم وتقدمهم ومشاهدة آثارهم الفخيمة ومناظر بلادهم العظيمة تتجلى ولنظر بأعين وضوح وقد وفقنى الله لذلك وكانت أول أسفارى الى الاستانة العلية دار الخلافة العظمى وعاصمة دولتنا العلية

اذ ركبت الباخرة من ثغر الاسكندرية يوم أول أغسطس سنة ١٩٠٤ ميلادية بعد توديع الآل والاصدقاء ولما كانت تلك هى أول رحلاتى الى بلاد أجهلها بالمرة ولا أعلم الا القليل من عاداتها فارقت قاصدا الباخرة حتى شعرت بضيق بالصدر ووحشة وكأنى كنت قادما على شيء هائل كما يصور الوهم لمن لم يساعده الحظ على اختراق البحار وكانت نفسى تحدثنى

عن العدول عن السفر ولكن لوجود بعض الأقارب
والأصدقاء بصحبتي الي البحر صرت أتشجع ولا أظهر نفسي
أمامهم بمظهر الخائف الوجل فلما بلغنا الباخرة وصعدت اليها
(وربما كان ذلك أول صعودى الى باخرة من هذا القبيل)
سرت تو الي غرفتي لارى مضجعي الذى اطمأنت نفسي برؤيته
ورؤية الركاب المستصحبين أولادهم معهم فعدت الى توديع
من رافقني بثبات جأش غير خاش من الوحدة والسفر فلما
تحركت الباخرة وسارت باسم الله مجراها صرت واقفا انظر
الى مدينة الاسكندرية التى كانت تغيب عن نظرى قليلا قليلا
حتى توارت عنا بعد اختراقنا البوغاز وابتعادنا عنها بضع أميال
وعندها شعرت بالوحشة والغربه وصارت تعاودني الهواجس
وأنا ملقى على ظهر الباخرة فوق ذلك المقعد المستطيل الذى
أخذته معي ولم تكن الا ساعة حتى عم دوار البحر اكثر
الركاب . حيث كانت الباخرة تقارع الامواج الهائلة التى
كانت تعلو بها حينا وتنحط بها آخر مما كنت أشعر ان صدرى
وقلبي يرتفعان بارتفاعها وينخفضان بانخفاضها وقد اعتراني دوار

قليل لم يزد الا حينما رأيت الركاب يتألمون من شدة فعله بهم فلما دق ناقوس العشاء ولم يستطع الا القليل تناوله وصرت وحيدا باعلي الباخرة فجاءني أحد البحارة وصار يساعدني حتى نزلت الى غرفتي واضطجعت بمضجعي وكنت بملابسي التي لم أستطع تبديلها

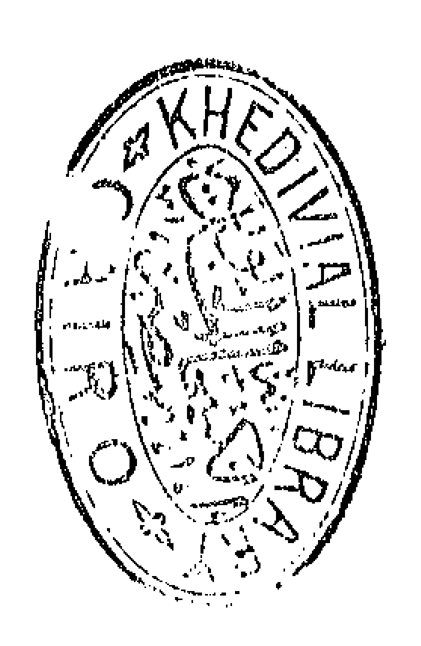
فقضيت ليلتي وعيناي لم يعاودهما النوم بل ظلتا مفتوحتين الي الصباح وكانت أذناي تسمع أنين باقي الركاب وصياح أولادهم الذي لم ينقطع حتى الصباح وقد بدأ البحر بالهدوء وقل تمايل الباخرة الذي انقص الربان من سرعتها رغبة في اراحة الركاب فجاءني الخادم يسألني عما أطلب الافطار فأخبرته ان يحضر لي قليلا من الشاي الذي لم يكد يصل الي معدتي حتى أرجعته وظلت طول اليوم لا تقبل شيئاً ولكني حمدت الله حيث أذهب عني الدوار وصعدت الى ظهر الباخرة واستلقيت على ذلك المقعد المستطيل فعرفني أحد الاروام من أصحاب الفنادق بالمنصوره وجاء يحدثني وقد أذهب عني الوحشة وصرت أنظر الي ماء البحر الضارب الى الزرقه والي السماء الصافية والنسيم العليل فعاودتني قوتي وصرت أتأمل في قوة الله (جل وعلا)

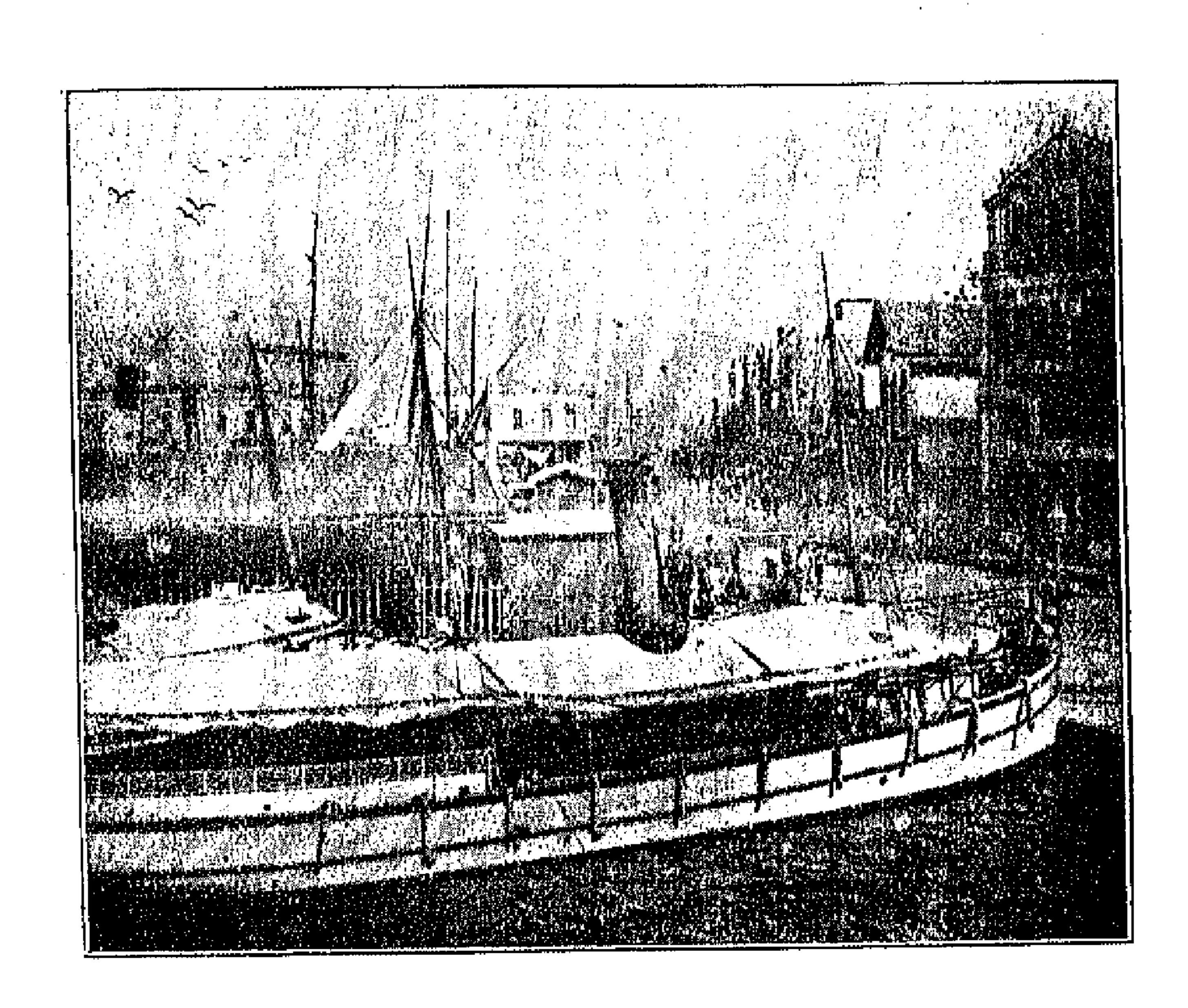
خالق السموات والارض وكيف أوجد العالم وجعل من الارض يابسة وماء تسير فيه البواخر حاملة لخلقه من بني الانسان وعندها اجتمع بنا بعض المصريين الذين صاروا يسائلون بعضهم عما فعل بهم أدوار البحر فكان الكل يجيبون بشدة فعله بهم وصرنا نتجاذب أطراف الحديث حتي ظهرت جزيرة كريد الي جهة الغرب ورأينا جبالها العالية فكان ذلك أول منظر وقع عليه بصري من ذلك النوع جبال شاهقة تكسوها الحشائش وتوجد القرى والدساكر باسفلها فلما مررنا تلك الجزيرة وكانت بعيدة عن انظارنا رجعنا الي محادثتنا الاولي حتى دق ناقوس العشاء الذى تناولت منه قليلا وقد قضينا ليلة جميلة غنا فيها بكل هدؤ وراحة ولما أصبح الصباح ووصلنا قبل الظهر الي ميناء (بيريه) اليونانية وعلمنا ان بها قورنتيه يومين عولنا على قضائهما في رؤية تلك البلاد فنزلنا لها الى البر وكنا ثلاثة من المصريين قد قابلنا أحد التراجمة الذى لم يكن يعرف الا القليل من التركية التى صار يخاطبنا بها فكنت أفهم مايقول بكل صعوبه حتى علمنا ان المسافة من بيريه الي أتينا نصف ساعة بقطار كهربائي فركبنا

لمشاهدة ذلك الثغر الصغير الموجود به سوق الخضروات قريبا
من الميناء حيث تشاهد به الحوانيت والخضروات موضوعة
امامها بطريقة غير منتظمة كما ان جميع شوارع ذلك السوق
ملآنة بالقازورات وأوراق الخضروات ملقية فى الشوارع
المجاورة ومنتشرة بطريقة يشمئز منها السائر مما يدل على ان هاته
البلاد لم تبلغ من المدنية والحضارة ما يجب فضلا عن وجود
بعض الباعة والعملة حفاة الاقدام بخلاف ما كنا نسمع عن
المدن الاوربية وان مباني ذلك الثغر غير مرتفعه ولا توجد به من
العمارات التى تستحق الذكر غير دار الحكومة والمدرسة المشيدتين
فوق ربوة عاليه ويشاهدها الانسان عن بعد عند دخول البواخر
الى الميناء ثم ذهبنا بعد ذلك الى القطار الكهربائى الذى أتانا الى
أثينا عاصمة بلاد اليونان فمررنا ببعض المحطات الغير مهمة ولا
يلفت النظر منها غير بلدة بها الحمامات تدعى فالير سيأتي على
ذكرها وكنا عند سير القطار بالطريق لا نشاهد الا بعض أراض
قاحلة مغروس بها أشجار الزيتون وبها بعض الخضروات التى
ينتج زراعتها فى الاراضي الرمليه مثل الطماطم وغيره كما شاهدنا

الطرق غير منتظمة وبها بعض العربات العتيقة تجدها الخيول الهزيلة فلما وصلنا أثينا ألفيناها لا تزيد عن احدى عواصم مديريات الوجه البحرى بمصر بل ان شوارعها وأبنيتها تشبه مايوجد بمدينة حلوان ولا يوجد بها الا شارعان مبانيهما مرتفعة نوعاً ومنتظمة بالحوانيت من الجانبين ويتصلان بالساحة التى امام سراى الملك وتلك الساحة هى ميدان بسيط وضعت القهاوى الى حافته وفى أواسطه وفرش بعضه بالاسفلت فنزلنا بفندق قريب من ذلك الميدان وكان تجاه منزل البرلمان اليونانى وبعد صعودنا الى غرفتنا بالفندق ووضع حقائبنا بها نزلنا لتناول الطعام بمطعم الفندق وكان معنا ذلك الترجمان الذى لم يكن يفهم مناولا نفهم منه فتناولنا قائمة الاصناف فوجدناها مكتوبة بالرومية فاضطر أصحابي الى الذهاب الى محل المطبخ لرؤية أصناف الاكل والاشارة الى الصنف الذى يحلو لهم وأما أنا فاكتفيت بطلب بعض الاصناف الذي حفظت ذاكرتى بعض أسمائها الرومية من مطاعم مصر ثم بعدها سرنا فى شوارع المدينة التى لم تلفت نظرنا كثيرا فرجعنا الى تلك الساحة وجلسنا على

مقاعد القهوة التى تتوسطها فوجدنا القوم يتسلون الى هاته الساحه بينما بعض الضباط الحسنى الهندام يسيرون فيها غدوا ورواحا وقد قابلنا ذلك الرومى الذى كان معنا بالباخرة ووعدنا بالذهاب معنا فى الغد لزيارة بعض مدن الحمامات وصرفنا بواسطته ذلك الترجمان الثقيل وتناولنا العشاء بمطعم بتلك الساحه وشاهدنا بعض أعمال الصور المتحركة وذهبنا للاستراحة بالفندق وقضاء الليل به وقمنا مبكرين وحضر صاحبنا الرومى وركبنا القطار وقصدنا بلدة (كيفسيا) وتبعد عن العاصمة ساعه فوجدنا بعض الفنادق والمحلات العمومية وبها عين ماء يقال ان ماءها نافع لبعض الامراض فمكثنا بها الى آخر النهار ورجعنا الى الفندق وقمنا فى صباح اليوم التالي قاصدين ثغر بيريه وقد عرجنا على بلدة (فالير) وبها بعض الفنادق الصيفية الكائنة على البحر كما ان بها لسان ممتدة بالبحر على شكل جسر يبلغ طولها ثلثمائة متر مصنوعة من الخشب يسير المتنزهون عليها وبآخرها فسحة متسعة صفت بجوانبها المقاعد لجلوس الناس


KHEDIVIAL LIBRARY
CAIRO



جمرك ازمير ـ (٢٧)

وقد صادفنا الملك وعائلته يسيرون للتنزه على الاقدام فوق ذلك الجسر بدون حرس كباقى الناس

ثم رجعنا وركبنا الباخرة التى سارت قاصدة ثغر أزمير وقد وصلناه بعد ١٨ ساعه فدخلنا الي رصيف الجمرك ووقع بصرنا على تلك المدينة فوجدناها جميلة وجميع الارصفة التي تجاه الجمرك جديدة على الطرز الاوروبى الحديث كما يحيط بالمدينة جبال عاليه مجلله بالاشجار والخضرة تعلوها الكروم مما يجعل لها شكلا بديعا فأستأجرنا عربة للطواف بتلك المدينة الجميلة ثم صعدنا الى جبالها العالية لمشاهدة حدائقها وكرومها الغناء وقد تناولنا الغذاء بأحد مطاعمها الوطنية الجميلة فوجدنا ان المعيشة هناك ليست غالية بل أقل بكثير عنها بالقطر المصرى وقد سررنا كثيرا من رؤية تلك الجبال المرتفعة المكسوة بالحشائش والاشجار وعدنا الى الباخرة خوفا من مضي الوقت حيث لم يكن لنا الا ست ساعات فقط فسارت بنا الباخرة ورست بعد بضع ساعات بجزيرة (مدللى) التى وجدناها جميلة وبها ميناء به قليل من السفن وامامه محل الجمرك ودار الحكومة

وبعد سير الباخرة بقليل وصلنا الى مدخل الدردنيل وكان وقت الفجر والركاب نيام فنهضنا وصعدنا الى ظهر الباخرة ونظرنا الى ذلك المضيق الطبيعي الذى اكسبته الطبيعة مناعة وقوة لان طريقه متعرجة فبينما تسير الباخرة في بحيرة محتاطة بالجبال من كل جهاتها يظهر امامك فتحة قائم على حافتيها جبلان عاليان يكاد ان يلتطمان والحصون باسفلهما وهكذا من بحيرة الى مضيق حتى ظهر لنا بحر مرمره ورست الباخرة الى البحر تجاه دار محافظة (جناق قلعة) وهنالك تجد مدينة صغيره وثكنات الجنود ودار كبيره للحكومة وامامها بعض السفن العتيقة من الاسطول العثماني وقد حضر زورق الى الباخرة من دار المحافظة وصعد أحد رجال الحكومة الى الباخرة للاطلاع على أوراقها وأذن لها بالسير فسارت في بحر مرمره وكانت تظهر امامنا جبال الروملي وبعض هضاب آسيا حتى وصلنا الي استنانو وصرنا بحذاء جزائر الامراء وظهرت لنا الاستانه بمظهرها البديع وقد اكسبتها مساجدها المقامة فوق ربواتها العالية بمناراتها المتعددة منظرا يكل عن وصفه الواصفون والباخرة سائرة الى

أواسط المدينة لان مباني المدينة الشاهقة كائنة على هضاب الاناضول والروملي تظهر كأنها ملتفة حول مرسى البواخر ويشاهد راكب الباخرة المتجه بوجهه نحو المدخل بناء عظيما شاهقا الى عينه وذلك مكتب الطب الشاهاني المشيد فوق ربوة عاليه بشاطىء الاناضول ويرى البرج المسمى برج البنت (قزقله سى) وبرج اسكدار وتلك وضعت قديما للاشراف على السفن المارة بالاستانة

ولما رست الباخرة ورمت مرساتها بعيدا عن رصيف الجمرك أقبل زورق بخاري يحمل رجال الحكومة الذين صعدوا الى الباخرة ومعهم المفتش الصحي الذى استعرض ركاب الباخرة بقاعتها الكبيرة وأمر بعدها للزوارق فاقتربت وصعد الحمالون الى الباخرة استعدادا لنقل الركاب وأمتعتهم الى رصيف الجمرك فاصطحبت المصريين الذين رافقاني ببلاد اليونان ونزلنا الى أحد الزوارق الذي نقل الحمالون أمتعتنا اليه

الاستانة العلية

فسار بنا الزورق حتى رصيف الجمرك وكان أحد هذين المصريين صائغا يتردد كثيرا على الاستانة للاتجار حتى انه تزوج بمعتوقة احدى السرايات وكانت تقيم بمنزل بالاستانة فاخبرنا بذلك ووعدنا بأنه بعد نزولنا باحد الفنادق يذهب الي منزله ويتردد الينا لمرافقتنا فى زيارة جهات المدينة وكان نزولنا الى رصيف جمرك السركجى فمكثنا بالجمرك مايزيد عن ساعتين قضينا أكثرها مع عمال الپساپورت في سؤال وجواب حتى تضايقنا كثيرا خصوصا من تلك الاسئلة الثقيلة المختصة بكيفية حضورنا ولاى الاسباب قدمنا الى الاستانة وكم من الايام سنقضى بها وبأى فندق ننزل وهل نعرف أحدا من رجال الحكومة أو من الاستانة وهل لنا علاقة بهم وغير ذلك فلما انتهينا من تلك الاسئلة والاجوبة وأخذ عمال الپساپورت أحوالنا وصفاتنا بدفاترهم خرجنا وركبنا عربة الى الفندق الذى اختاره لنا صاحبنا المصرى ويسمى (أوتيل عثمانى) أعنى الفندق العثمانى ولما وصلناه وأتى الحمالون بحقائبنا وصعدنا الى

الغرف وجدنا كل غرفة بها ثلاثة أو أربعة من الاسرة ووجدنا الفندق يشبه الفنادق الكائنة بالاحياء الوطنية القديمة بمصر ولكنه يزيد عنها في النظافة ويطابقها في النظام حيث توجد بأسفله قهوة عمومية يؤمها الناس وبالاعلى توجد الغرف المعدة للنوم فاشمأزت نفسي من حالة الفندق ونظامه لانى لم أتعود النوم الا في غرفة خاصة بي وعولت ان لا أقيم كثيرا بالاستانة مادام فنادقها على تلك الحالة وقد طلب أصحاب الفندق منا (الباسابورتات) لحفظها طرفهم لان رجال الشرطة تحضر يوميا للاطلاع عليها فسلمناها لهم ونزلنا مع صاحبنا المصرى وسرنا بالشارع الذى امام الفندق لنرى سكان تلك العاصمة ونعلم عوائدهم وأخلاقهم وأبدلنا بعض الليرات بالعملة الفضية وكان الشارع الذى سرنا فيه والشوارع التى تليه مكتظة بالحوانيت ومخازن التجارة والقهوات العمومية ومحلات المرطبات والحلوى وغيرها ولكن لسوء الحظ وجدنا أصحاب تلك المحلات مهتمين بأقفالها فاخبرنا بأن عادة أهل تلك المدينة أقفال محلاتهم قبيل الغروب فاستغربت كثيراً وتقوت لدى فكرة الرحيل عنها وتناولنا طعام

العشاء بمطعم مجاور للفندق الذى ذهبنا اليه بعد ذلك وكنا حين
مرورنا فى الشوارع نراها ساكنة والحوانيت مقفلة ولا يوجد
من يسير غيرنا فدخلنا الفندق واستأذن صاحبنا للانصراف الى
منزله وجلسنا فى القهوة التى كانت غاصة بالمسافرين وأكثرهم من
أهل بخاري والمسكوف وغيرها الذين يقصدون الحج فتضجرت
كثيراً من تلك الحال وسئمت نفسى الاقامة بتلك المدينة لولا
ما تبادر الى ذهنى من أن المدينة لم تكن جميعها على تلك الحالة ولا بد
يوجد بها أحياء أخري بها الفنادق العظيمة والشوارع الكبيرة
وتذكرت اني سمعت ان بعض المصريين الذين يزورون
الاستانة يقيمون ببعض المنازل الكائنة على ضفاف البوسفور
وغيرها وتذكرت وجود حى هناك يدعى (البيك أوغلى)
فعقدت العزم على قضاء تلك الليلة بالفندق والذهاب فى الصباح
نحو ذلك الحى على أجد به فندقاً مناسبا وقمنا قاصدين الصعود
الي غرفتنا فلاحظنا وجود كثير من الأحزية بأسفل الدرج
وما كدنا نعلوه حتى أقبل خادم الفندق يشير الينا بتغير احزيتنا
بالأحزيه الخشبية الموضوعة أسفل قبل صعودنا الى الغرف

وكأنه يقول (اخلع نعليك فانك بالواد المقدس طوى) فصدعنا بأمره وخلعنا أحزيتنا التي كنا نخشى ضياعها بين تلك الالوف الكثيرة من الاحزية الملقاة هناك ولما انتهينا من الصعود بالدرج وجدنا جميع الطرقات الموصلة الى الغرف غاصة بالنائمين فدخلنا الى الغرفة واستلقيت عند ذلك على السرير علابدى واستيقظت من النوم مبكرا فسألني أصحابي على ماعولت عليه والى أى الجهات أقصد عند النزول فأخبرتهم بالذهاب الى حى آخر للبحث على فندق مناسب فطلبوا أن لا أتركهم بالفندق بل استصحبهم معى حيث أنهم لا يفهمون كلمة واحدة من التركية التي يجب التفاهم بها مع خادم الفندق

فلبيت طلبهم ونزلنا الى الشارع واستفهمت من أول رجل صادفناه عن الطريق الموصل الى (البيك أوغلى) فأشار لنا على الطريق الذى تبعناه ولم نصادف به عربة تحملنا الى حيث نقصد ووصلنا الى جسر غلطة وهو جسر مبنى من الخشب ومقام على أعمدة ودعائم من الحجر ويزيد عرضه عن

عشرين مترا وطوله يبلغ الالف متر اعبر الناس والعربات فوقه وبجانبيه من الاسفل ترسو بواخر الشركة المخصوصة وغيرها التي تسافر الى جهة بوغاز البوسفور وجزائر الامراء وجهات الترسانه والصالح أيوب واذا أراد الانسان الركوب باحدى تلك البواخر فما عليه الا ان يهبط على درج بجوار الجسر فيجد بعض الطرقات الخشبية الصغيرة الملصقة بالجسر والمحازية له في اتجاهه وبجوانبها توجد بعض القهوات المساة (جرائدخانه) ومحلات الباعة ومحلات أخذ تذاكر السفر التي يأخذها الانسان ويركب بها البواخر ويتصل بذلك الجسر حمام بحرى وقريبا من جهة السركجى يوجد جامع الوالدة (وهي والدة السلطان الحالى) وهناك دفن المغفور له السلطان مراد كما يوجد عند أوله قهوة عمومية تسمى (جرائدخانة الوالدة) وتلك القهوة متخذة مركز الاجتماع المصريين حيث يوجد بجانبها مكتب شركة البواخر الحديدية وبعض مكاتب شركات الملاحة

وعند ما أردنا اجتياز الجسر وجدنا بأوله بعض الحراس

والرجال الذين يجبون من كل شخص يمر فوق عشرة بارات ومن كل عربة مائة بارة ويستثني من ذلك العرب الذين يلبسون ازياءهم العربيـة والعلماء وحفظة القرآن وتلامذة المدارس ورجال الجوندية

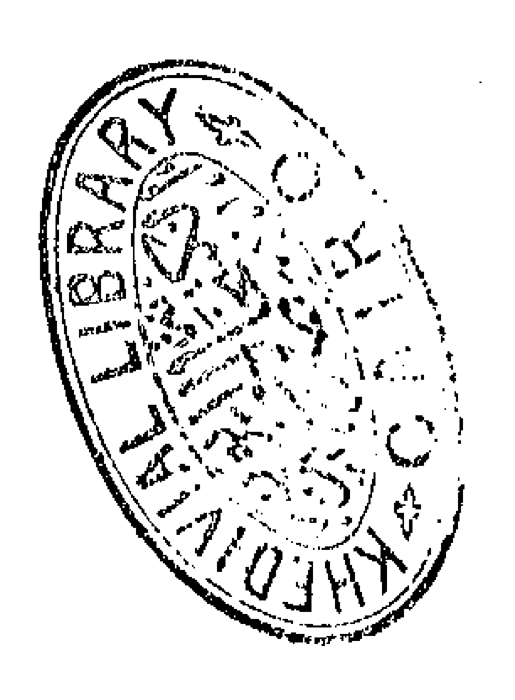
وبعد وصولنا الى الجهة الاخرى وجدنا ميدانا متسعا به على اليسار دار للشرطة تدعى (قره قول غلطة) بها بعض رجال الشرطة وامامها يوجـد محل بنك الكريدي ليون وهناك رصيف غلطة الذى ترسوا به بعض البواجر لتفريغ شحنها ونقل الركاب وبمخازنه توجد القهوات والمطاعم ونظرنا هنالك بعض عربات الترام تجرها الخيل على أقضبة من الحديد فسألنا عن حى (بيك أوغلى) فأخـبرنا ان نذهب الى محطة التونيل وقد نظرنا بعض الشوارع المرتفعة الموصلة الى جزأ من المدينة المشـيد فوق هضبة عالية ولما ذهبنا الى المحطة التى أشير الينا بالذهاب اليها وهى قريبة من ذلك الميدان وجدنا الناس ينسلون اليها ورأينا محلات لاخذ تذاكر الركوب فسألت الناس الى أى جهة يقصدون فأخـبرنى الى (بيك أوغلى) والمسافة

عشر دقائق فأخذنا التذاكر ودخلنا ننتظر القطار الذى أقبل سريعاً وركبناه مع الراكبين ومن شدة الزحام لم نجد به محلا للجلوس خاليا ورأينا القطار يرتفع بنا ويمر داخل نفق من أسفل الى أعلا وهو عبارة عن قاطرة بخارية تجر خلفها بعض عربات تشبه عربات ترام مصر الجديدة ويشتبك عجل العربات بآلات بالنفق تدفعها ولا تدعها تسقط من مخالبها وذلك النفق منار داخله بالغاز وكنا نشعر عند الصعود بميل القطار ولم تكن الا دقائق حتى وصلنا محطة (البياك أغلى) وسرنا هنالك فى شوارع فخيمة كل مبانيها على الطراز الاوروبى ووجدنا من الفنادق الكبيرة الكثير منها فندق (بيرا بالاس) وفندق (تقاتليان) فاتفقت مع مدير فندق (أمبريال) الواجه (البيرا بالاس) على حجز غرفة لى وغرفة لاصحابى واعتلينا عربة قاصدين جهة السركجى لنقل العفش وكنا نمر بشوارع منحدرة حتى وصلنا غلطة ومررنا بالجسر الى السركجى فالفندق الذى وجدنا به صاحبنا المصرى ومعه أحد العرب الذين قدموا من مكة منذ سنتين واستوطنوا الاستانة لاضطهاد عون الرفيق لهم

(الشريف الاسبق) ويدعى الشيخ عبد القادر كردى فأخبرناهم بجلية الامر وركبنا العربات الي نزلنا الجديد وهنالك أودعنا حقائبنا وتناولنا الغداء بشارع بيرا الفخيم وركبنا الترام الذى تجره الخيل قاصدين التنزه بجهة شيشلي فمررنا بحديقة التقسيم (تقسيم بغجه سى). وهى حديقة كبيرة يقصدها المتنزهون وتوجد بجانبها دار كبيرة للطوبجية تدعى (بيك أوغلى تقسيم طوب قشله سى) وهى دار فخيمة ذات طبقتين من الخارج وجناحها الايمن ذو ثلاث طبقات وبواباتها جميلة وبها نقوش عظيمة من الرخام وتعلوها مبانى ذات ثلاثة أدوار مرتفعة وبها برجان جميلان ويقف امامها جند الطوبجية المعروفون بملابسهم الخصوصية حيث توجد برؤوسهم قوالب سوداء على شكل الطرابيش تسمى (قلبق) من الجنس الذى يلبسه الاعجام (وترى الآن فى هذا العهد الدستورى جميع الضباط يلبسون تلك القلابق وأكثر الجند يستعملها وقد أبدلوا ألوانها بألوان رماديه) ويشاهد امام الابواب بعض المدافع موضوعة بفوهاتها الكبيرة مما يلقى الهيبة في القلوب وقد سار

الترام في ذلك الشارع الفخيم المتسع ذي المباني المرتفعة التي يزيد ارتفاعها عن السبع طبقات حتى مررنا بحديقتها كازنو يدعى باسم (عثمان بك) ووصلنا الى آخر الشارع وهناك منتهى خط الترام فوجدنا بعض القهوات المرتفعة قليلا من الشارع بها الاشجار والحدائق الجميلة فاسترحنا في احداها قليلا وعدنا بعد ذلك الى شارع بيرا وتنزهنا بحديقة (البتي شان) القريبة من الفندق وهي حديقة جميلة تشبه حديقة الازبكية بالقاهرة ولكنها تقل عنها قليلا في الاتساع وبها محل للتمثيل وبعض القهوات والمطاعم وعدنا بعدها الي الفندق وفي صباح اليوم التالي قصدنا جهة ششلي الذي سررت كثيرا من جفاف هوائها وجمال مناخها وتقابلنا مع شيخ الجهة للبحث على منزل نقيم به فمررنا بكثير من المنازل حيث أعجبني غرفة باحداها بالطبقة الثالثة فاتفقنا مع صاحب المنزل على أجرة تلك الغرفة وعند ذلك رغب أصحابي الاقامة بالطبقة الثانية بذلك المنزل فنقلنا أمتعتنا اليه وكانت نوافذ غرفتي تشرف على منازل جهات (نشانطاس وبشكطاش) وعلى مياه البوسفور وجبال الاناضول التي بالشاطئ

جامع أيا صوفيا ـ (٣٨)



الاسيوى وبها جهات حيدر باشا واسكدار وغيرها

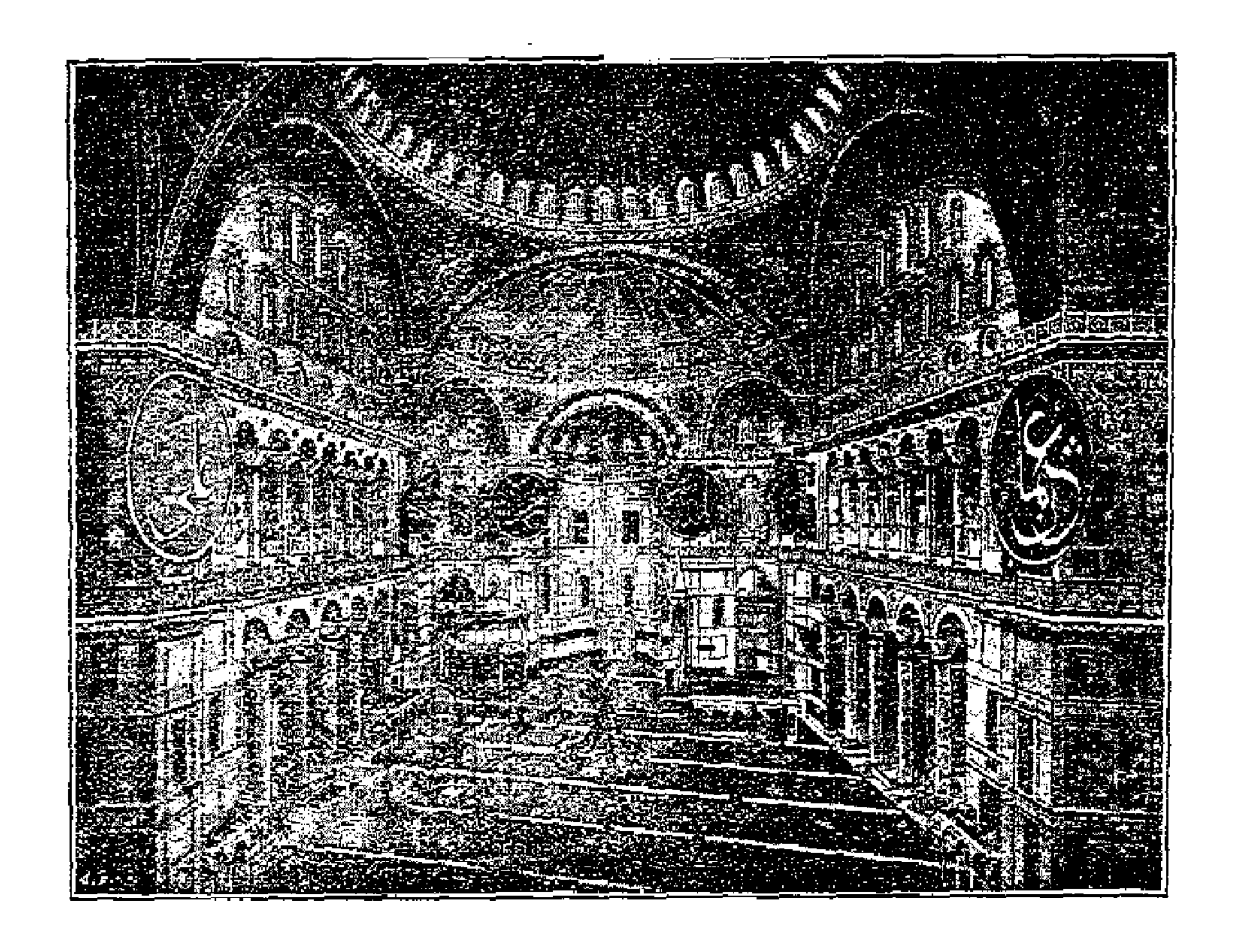
وبعد استراحتنا بذلك المنزل عولنا على زيارة جهات المدينة وآثارها فابتدأنا بزيارة جوامعها الفخيمة مبتدئين بمشاهدة مسجد أيا صوفيا المعظم

وهو أعظم جوامع الاستانة وكان أصله كنيسة بنيت على عهد الامبراطور جوستنيانوش سنة ٣٤ قبل الهجرة فاستحضر لها الاعمدة الثمينة من الهياكل القديمة في أثينا وروما وبعلبك ومن بعض الهياكل المصرية واستخدم في بنائه عشر آلاف عامل أقام عليهم المقدمين والمهندسين وكان يحضر بنفسه لمراقبة البنائين من حين الى آخر وقد أراد ان يجعل قبة تلك الكنيسة من غرائب البناء فصنع له العمال نوعا من الآجر والقرميد يقل وزنه عن عشر غيره من الانواع الاخرى وأتوا بأتربته من جزيرة رودس ونقشوا على كل قطعة « دعاء بحفظها » وقد أنفق على تذهيب تلك الكنيسة مقادير كبيرة من الذهب الابريز وكان مصنوع هيكلها من الذهب وهو قطعة واحدة مرصعة بثمين الاحجار الكريمة وقاعدته قائمة على أربعة عمد ذهبية غير

سقفه ومايتبعه وبه مايزيد عن مائتين رطلا من الذهب الخالص

ولما فتحت الاستانة في سنة ٨٠٧ﻫ دخل السلطان محمد الفاتح كنيسة أيا صوفيا وهو على جواده يشهر سيفه مناديا « لااله الا الله محمد رسول الله » وجعلها مسجدا تقام فيه الصلاة ولم يخرب منها شيئا الا الذى لايجوز الشرع بقاءه حتى ان الزائر لذلك المسجد يرى من آثاره وهو كنيسة الشيء الكثير وقد بنى الفاتح له مأذنة وبنى بعده السلاطين مآذن أخرى لذلك المسجد وقد أنفق عليه السلطان عبد المجيد أموالا طائلة لاصلاحه بعد ما أنفق السلاطين الذى تقدموه عليه مالا يمكن حصره

وهو ذو أربعة قباب احداها كبيرة وهى التى تتوسط واثنان أصغر منها قليلا والرابعة أقل وجميع أبوابه كبيرة مصنوعة من الحديد الممزوج بالنحاس الاصفر وقبته الكبرى قائمة على ستين عمودا من المرمر ويبلغ ارتفاعها خمسة وستين مترا قطرها ثلاثون مترا ومساحتها التي بأسفلها يبلغ طولها خمسة وسبعين مترا وعرضها سبعون مترا وجميع عروشه محلات بالذهب الابريز



جامع أيا صوفيا من الداخل ـ (٤٠)



واسم الجلالة وأسماء النبي والخلفاء الراشدين مصنوعة بأحرف كبير من الذهب الخالص وبجدرانه الكثير من الفسيفساء القديمة وبه الكثير من الآيات القرآنية المصنوعة من الذهب الوهاج وبه الصور الكنائسيه مغطاة بأغطية يرفعها خادم المسجد ليشاهدها الزائرون وبه أروقة متسعة الجوانب والى جانب المحراب سجادة تركية قديمة يقال أن الفاتح صلى عليها يوم فتحه الاستانة. وبه محل خاص للسلاطين يحجبهم حاجز مصنوع من الشبابك المعدنية المحلات بالذهب وهو من أعظم مساجد الارض وأشهرها كما أن بنائه أفخم بناء من نوعه وقبته مرتفعه وله ثلاث مآذن وهو مسجد تاريخي عظيم وقد دفن به السلطان الثاني وسبعة عشر من أنجاله والسلطان مراد الثالث وأولاده التسعة عشر

ويليه في الاهمية مسجد السلطان أحمد شيده السلطان أحمد وجعل له ستة مآذن وبه رواق كبير يعلوه أربعون قبة صغيرة أقيمت على عمد من الرخام وبه بركة جميله من الرخام وصحن الجامع يبلغ طوله سبعين مترا وتعلوه قبة عظيمة قائمة على أربع

عضائد ضخمة نقشت عليها الآيات القرآنية وصنع منبره من الرمر وفي قمته تاج يعلوه هلال وهما مذهبان ولذلك المنبر شهرة تاريخية حيث تلى فوقه أمر السلطان محمود القاضي بالغاء وظائف الانكشارية وبه الكثير من الشمعدانات الكبيرة التي تشبه العمد مقامة في الجوانب وفوقها قناديل كبيرة وفي عرش القبة ثريات ومصابيح وكثير من بيض النعام المعلق بسلاسل من النحاس المحلى بالذهب ودفن في صحنه الخارجي بانيه السلطان أحمد وبه ما يزيد عن مائة نافذة بها الالواح الزجاجية الملونة ونقش بها أسماء الصحابة ثم مسجد السلطان بايزيد شيده السلطان بايزيد الثاني سنة ٩٠٣ وله باب من المرمر الابيض والاحمر أقيم على عشرين عمودا رخاميا وهو ذو قبة فخيمة ومأذنتين وبه الكثير من اسراب الحمام الموضوعة بصحنه الخارجي فاذا جاء زائر التفت حوله فيشتري لها من الحبوب التي مع الباعة يبيعونها في قراطيس صغيرة فينثرها لذلك الحمام الذي يركز فوق يده واكتافه حتى لو شاء أطعمه بيده « ويوجد حمام مثله بمدينة البندقية سنأتي على ذكره في حينه »



جامع السلطان احمد ـ (٤٢)



ثم مسجد السليمانية الذي أسسه السلطان سليمان القانونى وأتمه سنة ٩٦٥ وبه قبة عظيمة قائمة على أربعة عضائد ضخمة من المرمر وجدرانه محلاة بالذهب وله أربعة مآذن وبه النوافذ الكثيرة المغشاة بالزجاج الملون المنقوش عليه بعض الآيات القرآنية ودفن بساحته الخارجية السلطان سليمان وله خرج محاط برواق قائم على ٢٩ عمودا مرمريا يعلوه قبة عظيمة بها النقوش الزجاجية الجميلة ودفن بجواره بعض السلاطين

ومسجد أبى أيوب الانصارى الذي بناه السلطان تذكارا لمقتل سيدي أبى أيوب الانصارى حامل الراية النبويه حيث كان فى جملة المسلمين الذين هاجموا الاستانه فى صدر الاسلام سنة ٦٦٨ وقد وضع بذلك المسجد سيف رسول الله (صلعم) فكلما بويع سلطان بالخلافة أتوا به المسجد للاحتفال لتقليده وبني هذا المسجد من المرمر الابيض وله قبة عظيمة ومأذنتان وبه مقصورة جميلة دفن بها أبو أيوب الانصاري وبها المصاحف الكثيرة المصنوع غلافها من الذهب الابريز وأوراقها من الفضه النقيه كما بها الكثير من المصاحف والالواح المكتوبة

بخطوط سلاطين آل عثمان وبه بهو فسيح مفروش بفاخر الطنافس ومعلق به الثريات الجميلة المرصعة بالاحجار الكريمة وصحنه الخارجي مصنوع أرضه من الرخام الناصع البياض وغير ذلك من المساجد العظيمة المشيدة التي شيدها باقي السلاطين قديما وحديثا وكلها مفروشة بفاخر الطنافس التركية وجدرانها محلات بالذهب الابريز ومعلق بها الثريات الجميلة مما يعجز عنه الوصف

وبحى (استانبول) يوجد بعض مدافن تدعى (مركز أفندي) وبها جامع أثرى عظيم يدعى (قعريه جامعى) مسجد القاهرية يرجع تاريخه الى قرب المسيح عليه السلام حيث كان كنيسة قبل الفتح الاسلامي وبه الكثير من الصور الكنائسيه المغطاة وكلها مصنوعة من الذهب النفيس ولذلك المسجد أهمية عظمى حتى ان امبراطور المانيا عند زيارته الاستانة ذهب لمشاهدة آثار ذلك المسجد وقد أصلحوا له الطريق لصعود العربات بها فصارت الى الآن ممهدة وكانت قبل ذلك صعبة الارتقاء لانها قريبة من اسوار المدينه القديمة وفي جهاتها الخربة

وأما ذلك الحي فجميع أبنيته قديمة وبه ميدان محمود باشا ومحل الانكشارية وهو عبارة عن محل توجد به تماثيل الانكشارية في زمن السلطان محمود (الذي أبادهم) مصنوعة من الجبس والشمع وعليها الملابس التي كانوا يلبسونها في ذلك العهد وهي عبارة عن عمائم كبيرة برؤوسهم وفرجيات حمر وخضر وغير ذلك فترى أغا السراي الملوكية وامامه متعهدي الخضروات واللحوم وحاجيات المأكل والملبس يلقي اليهم بالتوصيات اللازمة وترى قريبا منه القاضي والمتقاضين امامه والى جانبه رئيس الجند يلقي بتعليمات الى الجنود وهم وقوف امامه ثم الصدر الاعظم خليل باشا وبجانبه الوزراء يحمل وعاء من الذهب به بعض كنزان من الذره يقدمها الي السلطان ويخبره بأن حاصلات مصر في تلك السنة مباركة وغير ذلك من الشؤون

ثم تري دار الآثار وبها الكثير من الاشياء الفخيمة من أوان ورياش للملوك السابقين كما بها بعض المقاعد المصنوعة من الذهب التي كان يجلس عليها بعض السلاطين وبها بعض سيوفهم وتيجانهم المرصعة بالاحجار الكريمة وغير ذلك من

من الآثار النفيسة وقريبا منها السراى المحفوظة بها الآثار النبوية الشريفة التى تقصدها السلاطين فى الخامس عشر من شهر رمضان فى موكب عظيم يسير فيه الصدر الاعظم وشيخ الاسلام والوزراء والامراء واصهار السلطان ويدخل السلطان الى مكان الآثار المسماة (خرقة شريفة نبوية) وهى عبارة عن رداء اسود من شعر الابل كان يضعها رسول الله (صلعم) على منكبيه وبعض شعرات من لحيته عليه الصلاة والسلام وسن من أسنانه وبعض المصاحف القديمة المكتوبة بخطوط الصحابة رضوان الله عليهم والراية النبوية الذي أخذها السلطان سليم الاول من مصر عند فتحه لها سنة ١٥١٧ ونقلت الى دمشق ثم نقلها السلطان مراد الى غاليبولى سنة ١٥٩٥ ونقلها السلطان محمد ثالث الى الاستانة سنة ١٥٩٣ وكان السلاطين يحملونها مع جيوشهم فى ساحات الحرب

وعندما يذهب السلطان يتبعه الجمع الى مكان الخرقة الشريفة يخرجها أمين السراى السلطانية من صندوقها الفضى فيتناولها السلطان ويقبلها ثم يقبلها من حضر من أمراء البيت السلطانى

والوزراء والعظماء وتقف السلطان وهو حاملها على يديه زهاء الساعتين حتى ينتهى رسوم التقبيل ويقبلها جميع الناس الذين يحضرون من جميع جهات الاستانة بينهم أميرات الاسرة السلطانية وعقائل الوزراء وأبناء الاسرا الكريمة بالاستانة وعندما يؤذن العصر يردها السلطان الي أمين السراى فيضعها فى صندوقها وينتهى الاحتفال ويجلس السلطان فيؤدى صلاة العصر ويتلو بعض الآيات القرآنية حتى قبيل الغروب ينتقل السلطان الى أحد قصور ذلك المكان المعروف (بطوب قبو) ويجلس به لتناول طعام الافطار مع أبنائه ويعود بعد ذلك الى قصره ومن العوائد المتبعة في رسوم تقبيل الخرقة الشريفة ان يضع أمين السراى بجانبها داخل الصندوق مناديل بيضاء تمكث بالصندوق مدة سنة وفى السنة التاليه يخرجها فيتناولها الامراء والوزراء والعظماء ويبقونها فى سراياتهم وقصورهم تبركا بها بينما يضع مناديل أخرى بالصندوق وهكذا كل سنة

ويوجد قريبا من سراى الانكشارية ميدان متسع به ذلك السبيل الاثرى الذى شيد تذكارا لزيارة الامبراطور (ولهلم)

الثانى امبراطور المانيا للاستانة وهو سبيل جميل نقش على وجهاته بماء الذهب تاريخ الزيارة والطغراء السلطانية والتاج الامبراطورى

كما يوجد بذلك الحى السوق الكبير (بيوك شرشه) وهو سوق متسعة ذات طرقات كثيرة وممماشٍ عديدة يشبه فى نظامه سوق الخضروات بمصر ولكن غير حديث العهد ويزيد عنه فى الاتساع عدة مرات به توجد جميع محلات بيع الجواهر الكريمة والاشياء الثمينة والطنافس التركية الجميلة ومحلات بيع الحرابر ورياش المنازل ومما يلفت النظر بذلك السوق وجود بعض أصحاب الحوانيت ومخازن التجارة من الاتراك اللابسى العمائم والاحزمة والسراويل بمحال تجاراتهم الموجود بها الاشياء المعروضة للبيع من الطنافس التركية والعقود الكهرمانية وبعض الاشياء الحريرية وامامهم الدواليب بابوابها المصنوعة من الزجاج والبللور بها الاشياء المعروضة للبيع وبينها النفيس من الجواهر الثمينة من اللؤلؤ وأحجار الماس البرلنتى مايساوى الآلاف من الجنيهات ومما دهشت له كثيرا انى نظرت عند

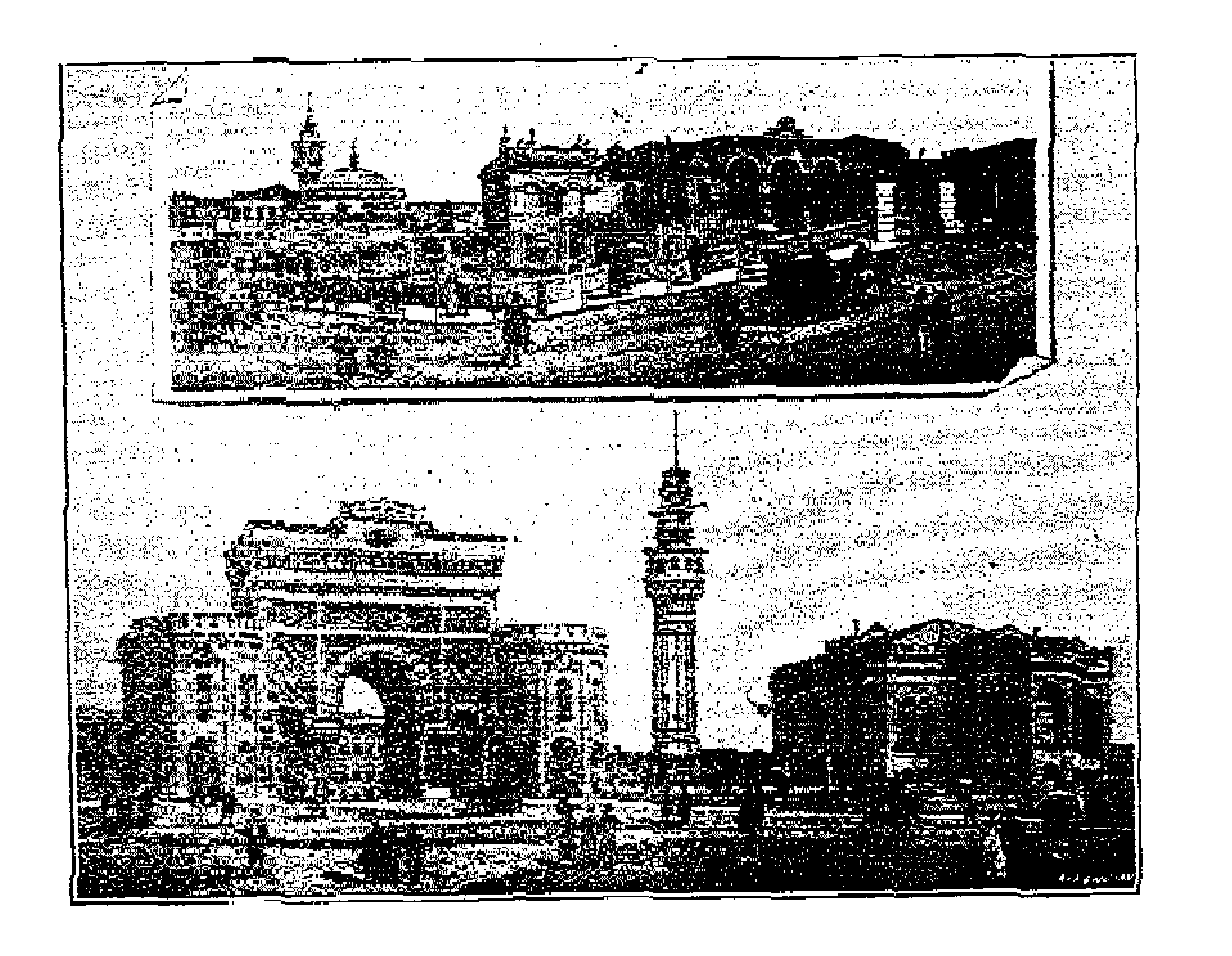
أحدهم بين تلك المروضات سبحة من اللؤلؤ النادر تزيد قيمتها عن عشرين ألف ليره عثمانية وقد شاهدت الاتراك ونساءهم يقبلون علي مشترى الجواهر والاشياء من تلك المحال الوطنية اقبالا عظيما حتى سمعت شكاوى كثيرة من أصحاب المحال التجارية من الاجناس الاخرى الذى لا تقبل على حوانيتهم الا الغرباء من تجار الجواهر وغيرها الذين يفدون الاستانة للبيع والشراء

وذلك السوق يحوى محال التجارة العديدة والمخازن الكثيرة التي بها من جميع الاصناف التجارية ويقصده الناس من كل فج لانه أكبر محل للتجارة بالاستانة وبجواره بعض الخانات العديدة صفت بها الحوانيت الكثيرة وأغلب مايوجد بها السجاد التركى والحرابر المزركشة بالقصب المشغولة بالاستانة وعلى العموم فان ذلك الحى المسمى (استانبول) يحوى جميع التجارة وبه المخازن التجارية والحوانيت الكبيرة

وقد فاتنى ان أذكر زيارتنا لبعض مدافن السلاطين مثل

مدفن السلطان محمود والسلطان عبدالعزيز الكائن داخل بناء عظيم تعلوه قبة عظيمة مزخرفة من الداخل ومنقوشة بالذهب الوهاج وبها من المصاحف الذهبية والفضية الشيء الكثير كما بها من اللوحات المكتوبة بخطوط بعض السلاطين ومعلقة في الجدران الشيء الوافر غير تلك الثريات الكبيرة المرصعة بالاحجار الكريمة ومدلاة من عرش القبه ومايقصر اليراع عن ذكر وصفه من تيجان الملوك المرصعة وموضوعة بعناية تامه فوق مقابرهم

وعلى كل فان الزائر لتلك الامكنه يسر كثيرا مما يراه ومايلاقيه من تأدب حراسها ومستخدميها ومما يرتاح له الزائر ان أكثر سلاطين آل عثمان العظام قد شيد كل منهم مسجدا أثريا فخما بالاستانة وبعض المساجد بعواصم الولايات لاتزال ناطقة بقوتهم وعظمتهم وقد جعل بعضهم مقصورة خاصة بصلاته باعلى المسجد حيث يرى الامام والمصلين ويصلي معهم ولا يراه أحد منهم وتلك المقاصير لها طرقات منحدرة خارج المساجد يصعد اليها السلاطين في مركباتهم والحرس امامها ويدخل



الباب العالي ـ (٥٠)



السلطان ليقوم بفرائض الصلاة ويعود لاعتلاء مركبته حيث يلتف به الحرس ويذهب الى قصره وهؤلاء هم السلاطين المتحجبون الذين كانت الامة تخشاهم وهم يخشونها وقد أبطل جلالة خليفتنا وسلطاننا الحالي السلطان محمد رشاد تلك المادة حيث يحب أمته وهي تحبه وصار يصلي في صفوف الناس كما كان يفعل الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم وكما يفعل الخلفاء والسلاطين العادلون

ويوجد بذلك الحي أكثر دواوين الحكومة وهناك الباب العالي وهو قصر فخيم ذو ثلاث بوابات عظيمة يليها بعض نظارات ودواوين الحكومة وامامه ميدان متسع ثم باب سر عسكر وبه نظارة الحربية وهو بناء عظيم بحوش واسع وبوابه أثرية فخيمة كما يوجد بذلك الحي محطة السركجي التي يقصد المسافر منها الجهات الاوروبية وهي محطة ذات حركة كثيرة ويلي ذلك الحي الموصل من جسر غلطة الى الترسانة البحريه وجامع أيوب الانصاري ويقع بينه وبين حي استانبول ذلك الخليج (المسمى قرن الذهب) ويوجد به جسر ثاني يشابه

جسر غلطه يوصل بين الجهتين وبه توجد الترسانة البحرية وهي بناء كبير توجد داخله نظارة البحرية وأقلامها وترسوا امامها فى ذلك الخليج البواخر والمراكب الحربية ويوجد بجانبها الاحواض لاصلاح سفن الاسطول العثمانى وكان يرسو امامها حين زيارتنا لها ثلاث دوارع كبيرة من الاسطول وهى مسعودية وحميدية وعبد المجيد فاستحصلنا على اذن لزيارتها فالفيناها فى غاية الاتقان والنظام وقد استقبلنا بها قومندانتها وضباطها بوداعتهم المشهورة وصاروا يطلعونا على جميع تفاصيل آلاتها ومعداتها وزرنا بها الاماكن المخصصة للصلاة والعبادة التى ازددنا سرورا بمشاهدتها وكان يوجد بجانب الترسانة الكثير من السفن والبواخر القديمة الجارى اصلاحها وتجديدها ويوجد بذلك الحى بعض الاسواق ومحال التجارة الوطنية ويتصل بجهة (الكاغدخانة)

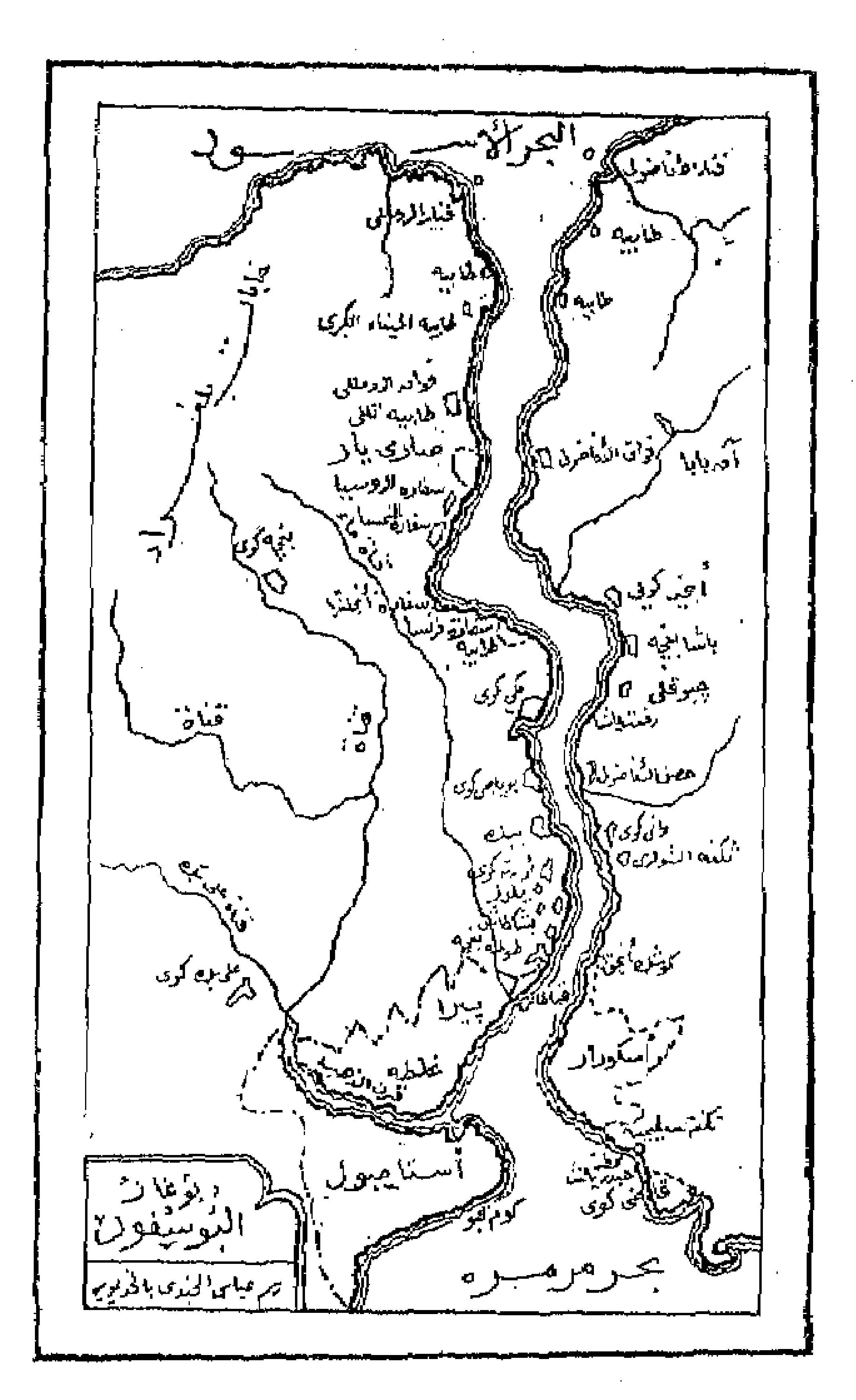
ومما لفت نظرنا بتلك الاسواق وجود بطيخ بحجم البرتقال اشترينا منه فوجدنا طعمه لذيذا وقد وضعنا الكثير منه داخل جيوبنا ويوجد بجوانب جسر غلطه والجسر الذى يليه بعض

الزوارق بها الكثير من النوتية يشتغلون بنقل الركاب من جهة الى أخرى وأما حي غلطه فيه من مخازن التجارة والحوانيت والخانات الكثيرة وأغلب سكانه من الارمن والاروام ثم حي باك أوغلى وهو الحى الافرنكى بتلك العاصمة ويوجد به دور السفارات ومنازل الاجانب وبه دار كبيرة للحكومة تدعى غلطة سراى بها المحكمة وبجانبها المكتب السلطانى وأكبر شوارعه شارع بيرا الفخيم الذى يوجد بجانبه المبانى العظيمة والمحلات التجارية الكبيرة كما ان أكثر الشوارع التي تصعد فيها العربات من غلطه الى باك أوغلى مرصوفه بالاحجار الصلدة الشبيهة بقوالب الطوب الاحمر عندنا وقد اضطر المهندسون فى وضعها بجعل الاحجار بارزة عن بعضها قليلا لكى تشتبك بها سنابك الخيل التى تجر وراءها العربات محملة بالاثقال العظيمة فتساعدها على الصعود ولا تدعها تسقط أو ترجع القهقرى لانها اذا كانت ملساء ولا انفراج بينها فلا تتمكن الخيل من الصعود عليها والارتقاء الى تلك الشوارع المرتفعه وقد سمعت الكثير من المصريين الذى زاروا تلك المدينة ينسبون اليها عدم النظام لعدم رصيف

الشوارع بها بطريقة منتظمة لما رأوه من تلك الانفراجات الموجودة بين الاحجار المرصوفة ولهم العذر فى ذلك لان قلة مدة مكثهم بالاستانة وعدم استكناههم لتلك الاسرار الغامضة وعدم اختلاطهم برجال البلدية حملتهم على قول ذلك ولعلهم الآن وقد أدركوا ذلك السر ان يعترفوا بخطئهم ويرجعوا عما ظنوه مما هم فيه واهمون

وتمتد المدينة على جانبي البوسفور فترى حى بشكطاش وامامه من الجهة المقابلة اسكدار وجهة (بكلر بكى) وقاضى كوى وأناضول حصار وبيك وروملى حصار وجبوقلى وطرابيا وبيوك دره وصاريار وينى محله والقوق وتلك هى الاحياء الشهيرة الممتدة على ضفاف البوسفور وتوجد بها القصور والسرايات الشاهانية البديعة الصنع بحدائقها الجميلة المحاطة بسوار من المرمر تتخلله الشبكات الحديدية الممزوجة بالنحاس الاصفر والمصنوع جميع وجهاتها ومنافذها من المرمر والرخام الملون على أحسن ابداع فى الاشكال الهندسية

وتمتد المدينة على ذلك البوغاز من الجانبين ويبلغ طوله



خريطة البوسفور ـ (٥٤)



الاربعين كيلو مترا ومن أراد التنزه بالبوسفور ورؤية مناظره الجميلة فما عليه الا أن يركب احدى البواخر من جسر غلطه فنها ماتذهب الى آخر البوغاز وتمر بمحطات الروملى فقط (الشاطئ الاوروبى) ومنها ماتمر بمحطات الاناضول (الشاطئ الاسيوي) ومنها ماتعرج على الجهتين وتسمى (زقزاق) ولكل قسم من تلك البواخر رايات مخصوصة منها الاحمر والاخضر وذو اللونين

ومن أراد أن يلقى نظرة عامة على جميع جهات البوسفور فما عليه الا ان يركب احدى البواخر الاخيرة ويكون ركوبه من بعد تناوله الغذاء حتى يقضى بها مايزيد عن الخمس ساعات غدوا ورواحا يتنقل فيما بين محطات (وأسا كل) البوغاز الشهيرة وهناك يشاهد القصور البديعة المشيدة على ضفاف البوسفور بحدائقها الممتدة على الجبال برسوماتها البديعة لان الراكب فى تلك البواخر يرى القصور تليها الحدائق ويقف بنظره على مافي الحدائق من الجوسقات والطرق حيث ان الحدائق ممتدة من القصور الي الجبال التي تعلو علوا شاهقا عن المنازل كما ان

المنازل والحدائق تعلو بعضها بتدرجها من سفح الجبل الى هضابه فلا يغيب عن نظر راكب الباخرة الا القليل منها

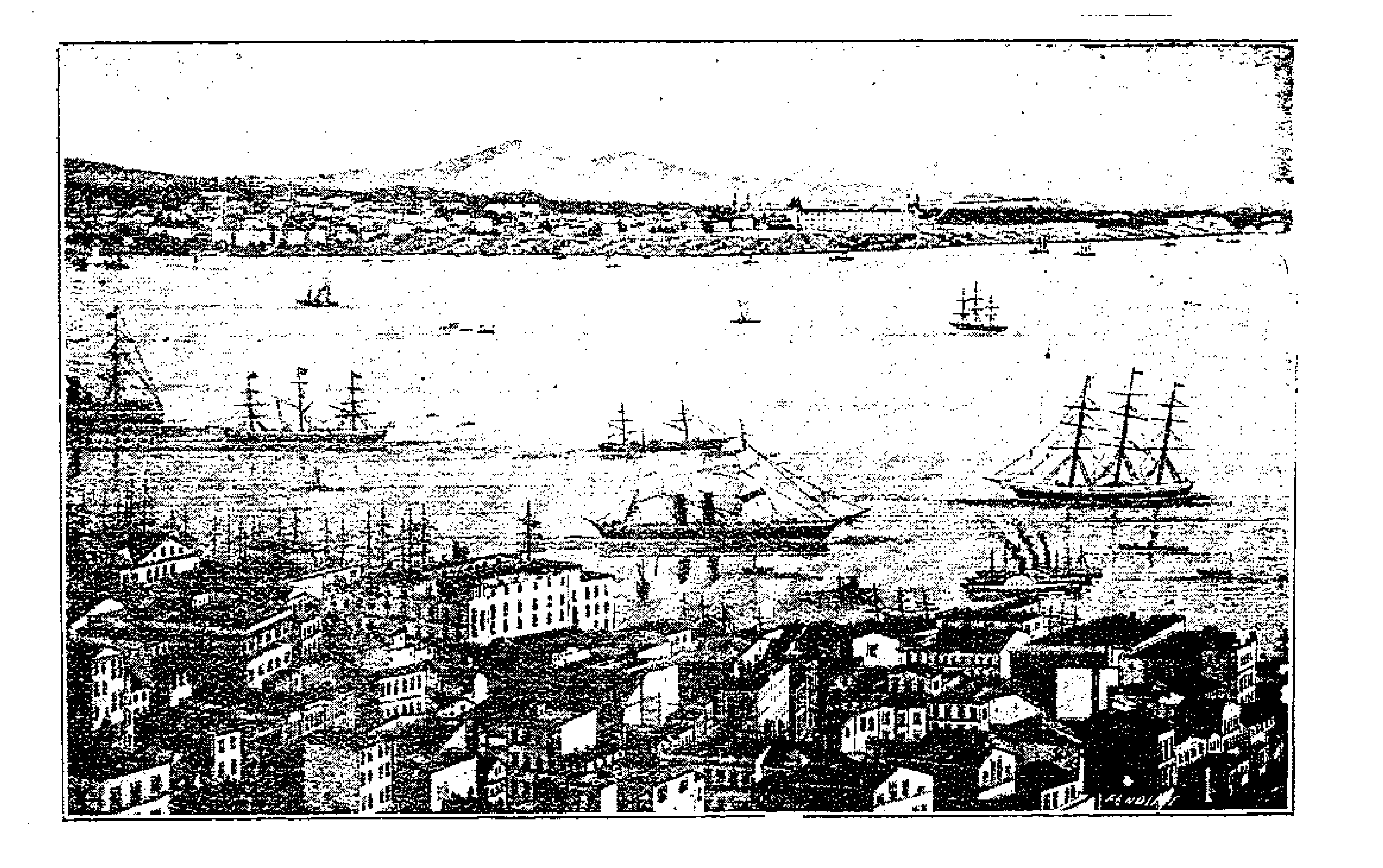
وقد يرتاح الزائر كثيرا من تلك المشاهدات والمناظر الطبيعية الكائنة على ضفاف البوسفور مما لا يرى مثله في بقعة أخرى انه منظر والحق يقال من أحسن المناظر الطبيعية في الوجود جبال تناطح السحاب تكسوها الحشائش بألوانها السندسية ومقام عليها الاشجار التي فيها من كل صنف زوجان تغرد فيها الطيور بأصواتها الشجية تتدفق منها عيون الماء السلسبيلية المشيد بينها القصور والمنازل بأشكالها الهندسية البديعة التي تماثل بها أوكار الطيور على أغصان الاشجار فيخيل للرائى بأن من يقيم بتلك الانحاء في جنات النعيم محاطا بأحسن ما أبدعه الله (جل وعلا) من صنعه كيف لا وبينما هو يقيم في قصره بين ما أسد له الله عليه من نعمائه اذ يرى الجوارى المنشئات تجرى أمام ناظريه فوق لجة من الماء تشبه ألوان الفيروز فاذا ارتد الي الداخل سار في حدائق تشبه جنات عدن وهو منصت الى نغمات البلابل وخرير الماء المتدفق من أعالى الجبال حتى

بوغاز البوسفور ـ (٥٦)



بجانب بجانب فسقية صنعت من المرمر الملون وبها الاسماك بألوانها المتعددة الجميلة منها الاحمر والاخضر والاصفر وذو اللونين والثلاث ألوان ومايسحر الالباب بتعدد ألوانه البراقة فاذاسقمت نفسه من المنزل وحدائقه وطيوره وأسماكه وأراد التنزه فما عليه الا أن يسير نحو حوض الماء المتصل بمياه البوغاز المحفوظة به زوارقه الخصوصية ويشير الى خدمه من البحارة بارتداء ملابسهم المزركشة فيجلسون بالزورق ويتناولون المقاذيف المتعددة فمنها ماهو بأربعة مقاذيف وستة وثمانية واكثر بحسب اقتدار وثروة صاحب المنزل فينزل الى الزورق المصنوع من خشب الجوز ومطعم بالسن والعاج ويجلس على رياشه الفاخرة المصنوعة من أجود أصناف الحرير والقطيفة ذات الالوان اللامعة الجميلة ويقبض بيده على الحبال الموصلة للدفة وهى جميعها مفتولة من خيوط الحرير وبها الكرات الحريرية الكبيرة تمر وسط حلقات من النحاس الاصفر أو الفضة البيضاء وعندها يشتغل البحارة بمقاذيفهم وهو يقودهم الى حيث يرغب فاذا شاءت نفسه الذهاب الي أناضول حصار للولوج بخليجة

بين الزوارق الاخرى التى تأتيه من جميع جهات البوسفور
فلا يمضى الا قليلا حتى تراه يتيه بزورقه فى ذلك الخليج المملوء
بالزوارق البديعة الصنع والمتفاوتة فى حسن الزخرف والزينة
وعليها ركابها المتنزهون محيطون بأكابر المغنين والمنشدين فلا
تسمع الا أصواتا كأصوات البلابل الممتزجة برخيم أصوات
العيدان الموسيقية والزوارق سائرة فى ذلك الخليج المجلل
بالاشجار الممتدة أغصانها حيث يكاد يلمسها الراكب والى
جانبيه ترى السهول المكتسية بالحشائش الخضراء تعلوها الجبال
بأشجارها وبينها المنازل والقصور بأنواعها وعلى تلك السهول
ترى الناس أفواجا يسيرون بينما السيدات والفتيات المرتديات
ملابسهن الحريرية المتنوعة جالسات على شواطئ ذلك الخليج
سافرات اللثام عن وجوه كالبدور وبايديهن من الخيوط والابر
مايشتغلن به وامامهن الجوارى والخدم حاملات من المأكل
والمشرب مايحتجنه فى مثل هذا المتنزه الذى كلما انتهى الانسان
من تناول الغذاء به زادت نفسه تشوقا الى اعادة تناوله لجودة
هوائه المساعد على الهضم

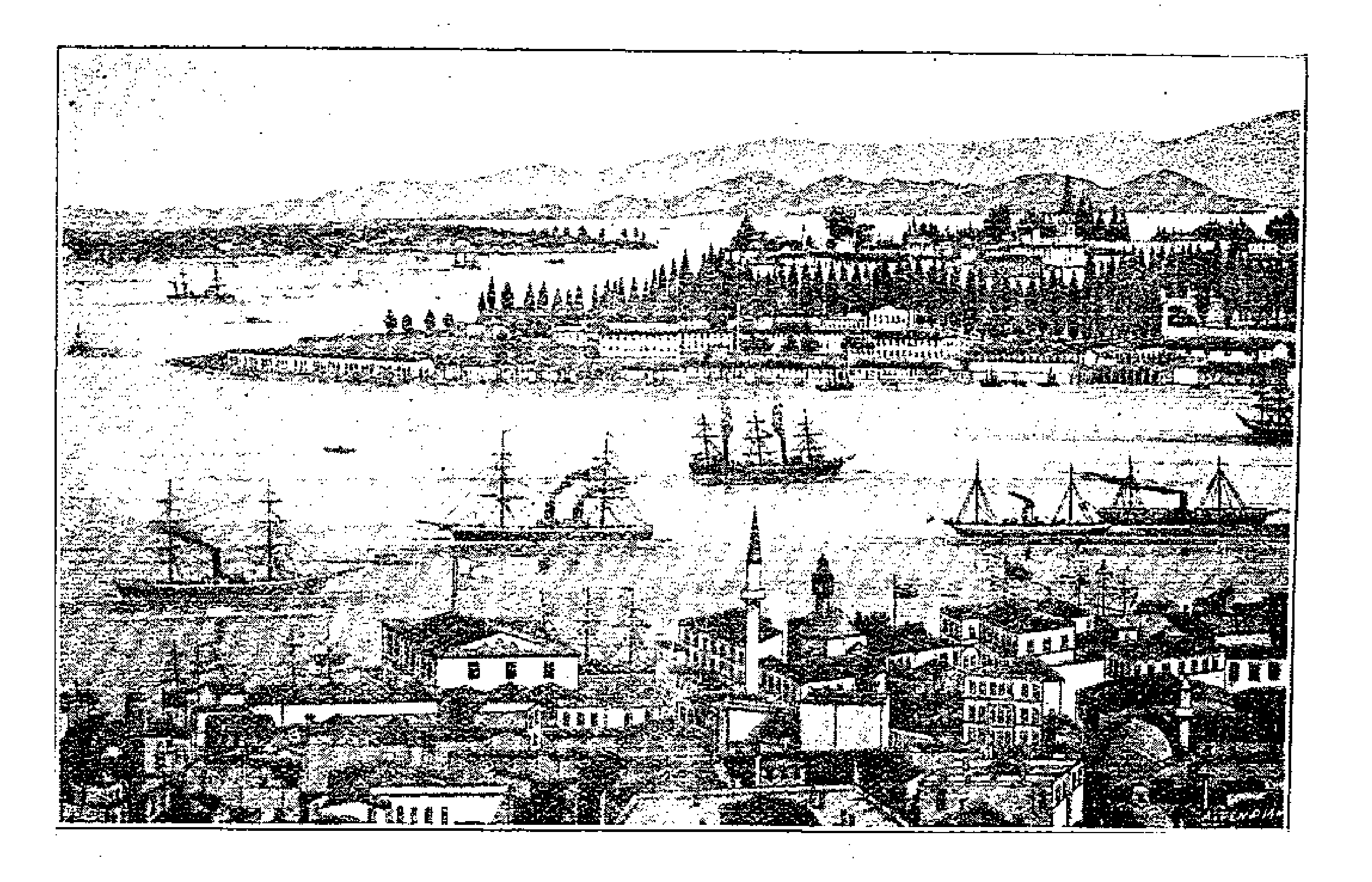


٢ بوغاز البوسفور – (٥٨)



وبينما ذاك الراكب الكريم يسير بزورقه بين الاغانى والاناشيد الوطنية ورخيم الاصوات البلبلية ملق النظر الى من بجاني الشاطئين يتأمل فيما أسدلته الطبيعية من أثوابها السندسية على تلك السهول والجبال الراتع فيها هؤلاء الاقوام ناظرا الى مايستنبطونه من دواعى السرور اذ يأمر البحارة بالرجوع الى القصر ليقيم بين حدائقه وطيوره وأسماكه حتى تتشوق نفسه الى التنزه وعندها يامر سائقي مركباته وسواس اصطبله بأعداد مارغب من العربات وحينذاك يعتلى مركبته التي تجرها الخيول الصافنات ويذهب الى (شرشرصو) أوالى البندلر أويسير بشوارع المدينة الكائنة على الشاطئ مارا بالقصور والسرايات الشاهانية ودور السفارات التي يقيم بها السفراء فى فصل الصيف وهناك يرى المتنزهين فى مركباتهم المطهمة كما يرى الغادات جلوسا على شاطئ البوسفور وبأيديهن مظلاتهن الحريرية فيقضى بضع ساعات فى تلك النزهة البرية فاذا قصد جهات (البندلر) وهى قناطر من الحجر والرخام شيدت فى أيام المغفور له السلطان محمود لحبس المياه هناك وارسالها الى الاستانه

فى مجرى مرفوعة على أعمدة حجرية متصلة ببعضها مثل العيون كما يشاهد من العيون الاثرية التى بجهة مصر القديمة فهناك يسير فى الطرقات الصاعدة الى نواحي الجبال فيمر بسهل به تتسابق الخيول بالاستانة فاذا سار من الطريق العمومى أو عرج على (سلطان طرقى) حتى يبلغ القناطر فيقيم متنزها بجانب تلك القناطر الاثريه المكتوب تاريخها على لوح من الرخام ملصق بها ثم يعود من طريق آخر حتى يبلغ قصره فقد قضى مايزيد عن ست ساعات في تلك النزهة فاذا كانت نزهته في جهة (شرشرصو) و (هنكارصو) وهو غالبا يفضل امتطاء صهوات جياده لما في ذلك من السهولة فى صعود الجبال حتى يبلغ (هنكارصو) فان كان قوى العضل يذهب بمركبته الى (شرشرصو) ومن هنالك يعتلى الجبال راجلا حتى (هنكارصو) والا فركوب الخيل أرجحية خصوصا فى تلك الجبال المرتفعة الناتئة الاطراف وعند مايصل الى (شرشرصو) ويكون الى جانب عين ماء مركب عليها حنفية تقطر منها نقط الماء الى حوض وقناة جارية ويرى الناس يلتقطون الماء بالاوعية التى



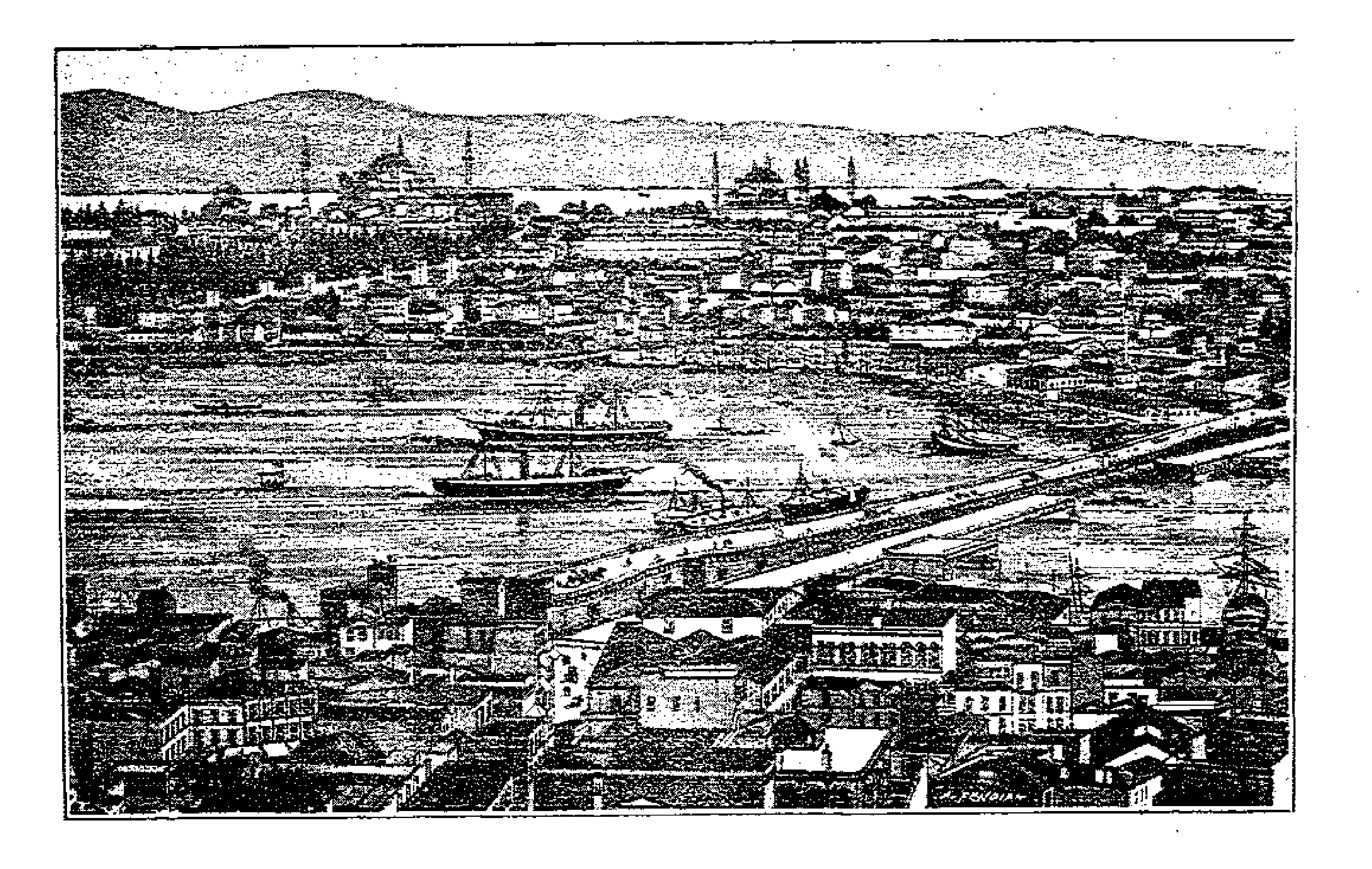
٣ بوغاز البوسفور ـ (٦٠)



استحضروها معهم فيصعد على بعض الدرج المجاور للعين حتى
يرتقي الى دار طبيعية مغطاة ومسورة بالاشجار وبجوانبها توجد
الكراسي الجالس عليها المتنزهون ملتفين بصيوان من الخشب
البديع الصنع يجلس داخله بعض المغنين والمنشدين وبايديهم
آلات الطرب يشنفون الاسماع برقيق الاغاني التركية والعربيه
فيجلس ويأتيه الخادم بزجاجة مملوءة من ماء ذلك العين وعندها
يطلب شيئاً من المرطبات أو القهوة فلا يمضي عليه بضع دقائق من
شربه من الماء حتى يذهب الي المبولة ويسيل منه البول مدرارا
وكلما زاد من شرب ذلك الماء ازداد معه ادرار البول لان ماء
ذلك العين نافع جدا للمصابين بمرض الجنب والكلى ومن عنده
رمل أو حصى وحبذا لو قامت شركة أهلية بالاستانة وشيدت
الفنادق بجانب ذلك العين وأوجدت محلات (وكازينو) بجانبه
وعملت الوسائل المسهلة لاقامة وراحة من يقصدون الاستشفاء
بمائها وأعلنت عن خاصيتها بالجرائد والمجلات وغيرها كما تفعل
الشركات الاوروبيه ببلاد الحمامات لاقبل عليها القصاد من كل
فج في فصل الصيف واكتسبت الشركة والحكومة وسكان

الاستانة مكاسبا طائلة من وراء ذلك

فعندما يسمع شيئاً من تلك الاغانى الرقيقة ينهض صاعدا الى جهة (هنكارصو) فيصعد على جبل مرتفع ويصل الي محل أشبه بذلك المحل الذى كان جالسا به فيجد كثيرا من المقاعد والمنضدات المعدة لتناول الطعام فاذا أحس بجوع يطلب من مطبخ ذلك المحل ماشاء من أصناف الطعام الذى يتناوله بسرعة وينهض صاعداً فى تلك الطرقات الجميلة التى تحف بها جميع أنواع الاشجار حتى يصل الى (هنكارصو) وهي عين ماء كبيرة يسيل منها الماء بغزارة فيشرب مايشاء من ذلك الماء الذلال ذي الطعم اللذيذ واللون النقى الشفاف ويجلس قليلا بقهوة بجانب تلك الابنية المحاطة بالعين ويعود الي طريقه حتى يصل الي المحل الذي تناول به الطعام فيشعر بجوع لا يتمالك معه الا أن يعيد تناول الطعام فاذا شاء بعد ذلك ان يجلس لسماع الاغانى والاناشيد بذلك المحل المشابه لما يوجد بجانب (شرشرصو) والا عاد الى منزله مارا بذلك الطريق الذى يجد به كثيرا من قادة الدب يسيرون وحولهم الاطفال يتفرجون كما يرى من



٤ بوغاز البوسفور ـ (٦٢)


KHEDIVIAL LIBRARY
CAIRO

بأيديهم المزامير يشنفون بها أسماع الملتفين بهم وعندها يرجع الي المدينة فيصل الى قصره

هذا ما يأتيه سكان تلك المنازل والقصور الممتدة على ضفاف البوسفور بينما راكب الباخرة المارة بالبوسفور معجب من تلك القصور والحدائق التي يشاهدها عمر والباخرة بالبوغاز ولا يستطيع النزول الى تلك الجهات مادام لم يكن له من الوقت متسع يقضيه باحداها وهناك يخصص لكل جهة يوما لزيارتها وقضائه بمتنزهاتها أو اذا شاء أقام بنزل طرابيا الفخيم التابع لفندق التقاتليان (بيك أوغلى) أو بأحدى الفنادق الموجودة (بيوك دره) أو اتخذ منزلا بسريا رأوينى محله كما يفعل أكثر المصريين حتى يقوم بزيارة آثار تلك الجهات وقضاء أيام وأشهر بمتنزهاتها وكذلك كنت أفعل حيث انى لما زرت تلك الجهة ونظرتها نظرة عامة بالباخرة التى كانت تعرج على جميع المحطات و (الاساكل) المهمة بالبوغاز حضرت وأقمت بضع أيام بفندق (بيوك دره) وكان يصحبنى صاحبي العربى المقيم بالاستانة فكنا نقضى النهار بين تلك المتنزهات بجانب عيون

الماء ونأتى فى المساء الى الفندق وكنا نذهب الى أناضول حصار ونستأجر الزوارق للتنزه به والاشراف على المتنزهين وقد زرنا عين الماء المسماه (قره قولاق صو) الذي يشرب من مائها السلطان والسراى الشاهانية وكان يقيم بجانبها الحراس المدججين بالاسلحة وحولها الكثير من المبانى ويقيم بجانبها الطبيب الكيماوي الخاص الذى يختم بختمه بالشمع الاحمر على جميع الزجاجات والصناديق التى ترسل الى السراى الشاهانية وكان ذهابنا الى تلك العين مارين بطرقات جميلة يحيط بها أشجار الجوز والبندق وقد رأينا بعض المحلات الذى يشتغل أصحابها بصنع بعض المقاعد والمنضدات والكتب من خشب وأغصان تلك الاشجار وقد وقفنا امام احدى تلك المحلات برهة من الزمن معجبين بتلك المصنوعات الجميلة الرخيصة الثمن وقد وجدنا منها الكثير موضوعا بحدائق القصور التى تيسر لنا دخولها لزيارة أصحابها وقد أشار على صاحبي بزيارة الشريف حسين بك (باشا) (أمير مكة الحالى) وقد كان وقتها غير ولى للعهد لان نظام الوراثة فى بيت أمارة مكة هى للاكبر فالاكبر

ه بوغاز البوسفور ـ (٦٤)



من العائلة وقد كان (عون الرفيق) أمير المكة ويليه في الامارة المرحوم الشريف (عبدالاله باشا) ولكن سوء السياسة في العهد السابق لم تنل الشريف (عبدالاله باشا) أمارة مكة بعد وفاة (عون الرفيق بل ظل ينتظر صدور الارادة بقيامه وتعينه أميرا لمكة وقد هنأه السلطان بأمارة مكة عند تشرفه بالسراى عقب وفاة (عون الرفيق) ولكن الارادة لم تصدر وبقيت موقوفة عدة أشهر حتى لعبت السياسة والنقود وأدخل المقربون الاوهام على السلطان السابق حتى أصدر ارادته بتعين (على باشا) ابن (عون الرفيق) الذى لم يكن وليا للعهد وحرم منها مستحقها ولكن المقادير لم تمهله كثيرا اذ من الله على الدولة بالدستور ورجعت الامارة الى أصحابها بعد عزل (على باشا) الذى كان تعينه بدون حق ولكن مما يؤسف له ان المرحوم الشريف (عبدالاله باشا) الذى أخذت منه الامارة بدون حق والذى كان ينتظر رجوعها اليه بفروغ صبر بعد ماساوى الدستور بين الناس وأرجع الحقوق الى أصحابها لم يمهله المرض حيث كانت

وفاته عقب صدور الارادة بتعيينه في يوم واحد وبذلك آلت الامارة لوارثها الشرعي الشريف حسين بك (باشا) وهو يقوم الآن بمهامها خير قيام

ولما قصدنا منزله الذى شيده قريبا من (بيوك دره) للاصطياف به وهو كائن على ربوة عالية تحيط به حديقة يبلغ اتساعها ثلاثين فدانا مصريا (كما أخبرني الشريف حسين نفسه) وقد صعدنا في طريق غير منتظم حتى وصلنا المنزل وكان الامير مهتما باصلاح طريقه والحديقة المحيطة به وعندها استقبلنا أنجاله الكرام بلطفهم المعهود وقد جلسنا معهم بغرف السلاملك التى كانت مكتظة بالعرب والاتراك وكنت أردت الانصراف فلم يسمحوا لنا بذلك الا بعد مقابلة الشريف وبعدها دعينا وأدخلنا الى الغرف فوجدت بها موائد الطعام أشبه بما يوجد في الافراح والولائم المصريه وكانت كثيرة ولم أشعر الا ويد قد قبضت على يدى فنظرت صاحبها فوجدته يلبس لباس العرب المقيمين بالاستانة وهو ذو لحية طويلة زانها الشيب فعلمت أنه الشريف صاحب المنزل لما رأيته من احترام الناس

اياه وقد أجلسني عن يمينه بالمائدة وكان يجلس عن يساره مدير دار الآثار بالاستانة (موزه خانة) وصار يحيينا بأحسن التحيات وكان يتكلم حينا بالعربية الفصحي وأحيانا بالتركية لان مدير الآثار لم يكن يفهم العربية وقد جلس القوم علي باقي الموائد التي بها أنجال الشريف يحيونهم وبعد تناول طعام العشاء دعينا الى حضرة الشريف فكنا نمر بغرف كبيرة وصغيرة مفروشة بأحسن الرياش حتي وصلنا الى غرفة بسيطة الرياش يجلس بها الشريف الذى استقبلنا وكان معى ذلك العربى الذى كان يصحبنى فجلسنا مع الشريف نتجاذب أطراف الحديث الذى كان يدور حول حديقة القصر وكان يشكو الشريف كثيرا من عدم وجود المياه بها وصعوبة ايصالها كما كان الحديث على أطيانه الموجودة بمصر والمؤجرة الى بعض المصريين وقد بالغ الشريف كثيراً بالاحتفاء بناحيتى انه لم يسمح لنا بالانصراف بل دعانا للنزول بضيافته ذلك اليوم وقد مكثنا بحضرته ما يزيد عن الثلاث ساعات قبل صلاة العشاء وبعد أداء الصلاة وقد جلس معنا أنجاله الكرام وأدخلونا الى غرف النوم التى

كانت مفروشة بأفخر الرياش وقضينا الليلة ونهضنا فى الصباح مستأذنين فى الانصراف الذى لم يسمحو النا به الا بعدما عاهدناهم على التردد لزيارتهم كلما سنحت الفرص وكلما حضرت الى الاستانة ثم غادرنا تلك الجهة بعد مازرنا جميع جهاتها وقد ذهبنا الى نهاية البوغاز من الشاطئين فوجدنا بها الكثير من الحصون والقلاع وثكنات جند الطوبجية المكلفين بحراسة البوغاز فوجدناها فى غاية الاهمية وأشرفنا من هنالك على مياه البحر الاسود ثم رجعنا الى حيث أقيم بششلى وقد عزمت على زيارة جزائر الامراء وعولت على الاقامة هنالك بضع أيام حتى أشرفت على جميع جهاتها وكان ذهابنا اليها من طريق البر

حيث ذهبنا الى محطة حيدر باشا الذى يبتدئ منها خط الاناضول وبه يتصل خط سوريا وبغداد فوجدناها محطة جميلة على الطرز الحديث وبجانبها شوارع جميلة على شاطئ البحر بها الاشجار المغروسة من الجانبين وتلك الشوارع متسعة ومرصوفة على نظام الشوارع التى على شاطئ البوسفور من جهة بيوك دره وطرابيا وهى نظيفة ويقصدها سكان

تلك الجهة للتنزه بعرباتهم بعـد الظهر وهي لهم بمثابة الجزيرة عندنا وقريبا منها يوجد مكتب الطب السلطاني وهو بناء كبير مبني حديثا على أحدث طراز وهو أفخم ما يراه راكب الباخرة القادمة الى الاسـتانة من بحر مرمره الى يمينه وكان وصولنا الى حيدر باشا مع احـدى البواخر الجميلة التي تقوم من جسر غلطة فتصـل حيدر باشا في عشرين دقيقة وقد ركبنا القطار الذاهب الى البندك فوجدناه نظيفا ومفروشا عرباته بالقطيفة وكل عرباته جـديدة فوصلنا الي محطة (مالتبه) بعد أربعين دقيقة من ركوبنا القطار فكنا نمر بضواحي ومحطات أشبه بخط المطرية عندنا بها المنازل الجميلة والحدائق البديعة وتلك المحطات من بعد حيدر باشا (قزل طوپراق)و(فناريولي) و(كوزنيه) و (ارندكوي)و (بوستانجي) الى (مالتبه) الذي وصلناها وقصدنا أسكلة البحر القريبة من المحطة وهناك وجدنا البواخر والزوارق المعدة لنقل الركاب الي جزائر الامراء التي كانت ظاهرة امامنا عن قرب ولم تمض الا بضع دقائق من ركوبنا احدى تلك البواخر حتى وصلنا الي الجزيرة الكبيرة (بيوك

أطه) وهي أكثرهن عمرانا وأوفرهن سكانا وقد وصلنا الي الاسكلة الموجود بها رصيف ممتد من الخشب ترسو عليه البواخر ويقيها من الانواء والعواصف حيث تكثر في تلك الجهات العواصف واشتداد الانواء وقد نزلنا بفندق قريبا من الاسكلة موجود على بضع خطوات منها لان جميع فنادق الجزيرة كائنة بنقطة واحدة بشارع الاسكلة الموجود به كثير من الدكاكين وبه كثير من باعة الخضروات وهنالك محل الشرطة الكائن امامه ميدان تقف امامه العربات ويوجد شارع بجانب الاسكلة ممتد على شاطئ البحر به القهوات والمحلات العمومية وبعض الفنادق وهو يشبه شارع مصيف رأس البر بمصر ولكن المباني في رأس البر من الخشب والحصير وهنالك من الاحجار والمباني المؤسسة كما يوجد امام تلك القهوات من جانب الشارع المشرف على الماء أقيمت بعض الحواجز المصنوعة من الاخشاب وبها من النوافذ الموضوع بها ألواح الزجاج لمنع الهواء وبجانبها موضوع الكثير من المقاعد والمنضدات تحت سقوف من الخشب مرتكزة على عمد خشبيه

جميلة يجلس عليها المتنزهون وامامهم البحر ومياهه التي ترسل أمواجها العظيمة وامامهم من الجهة الاخرى الشارع الذى به الكثير المتنزهون الذين يسيرون غدوا وروا حا وذلك الشارع والفنادق المجاورة منارة بالنور الابيض ويوجد سوق لتلك الجزيرة به الكثير من الدكاكين وبها بعض مساكن الذوات والاعيان المشرفة على البحر وبجانبها الجبال المرتفعة المكسوة بحشائشها السندسية والمظللة بأشجارها المتنوعة ومن يريد زيارة تلك الجزيرة فما عليه الا ان يستأجر عربة للمرور بها وهناك يرى مايسحر الالباب من جمال المنازل والقصور المشيدة وسط حدائقها البديعة ومايراه من أشكالها الهندسية البديعة ويغلب على الظن مما يراه الانسان من الآيات القرآنية والابيات الشعرية المكتوبة بماء الذهب على واجهات تلك المنازل والقصور مثل (ادخلوها بسلام آمنين) وغير ذلك ان هناك محط رحال الادباء والشعراء المبتعدين عن السياسة وشواغلها فى ذلك العهد وأن الناظر الى تلك القصور والحدائق والجبال ليتمنى ان يقيم بها أشهر وسنوات عديدة وبينما يكون

راكب المركبة سائرا في تلك الطرقات الجميلة ومشرفا على البحر وامامه جزيرة (هيبلى أطه) وهي جزيرة أصغر من تلك وبها دار كبيرة للحكومة وبعض الثكنات العسكرية وبعض المنازل وجزيرة كجوق أطه) وهي جزيرة صغيرة بها بعض المساكن و (خيرسزاطه) وهي جزيرة جرداء لاسكان ولا نضار بها و مشرفا على الجبال وطرقاتها التي تسير فيها العربة حتى يصعد الى قمة عالية بالجزيرة توجد بها قهوة ومطعم فيستريح هناك قليلا حيث توجد بجانبه عين ماء ومن هناك يشرف علي الجزيرة بأكملها وعلي الجزر المحيط بها ويرى بر الاناضول وجهة (مالتبه) ثم يواصل سيره بالجزيرة منحدرا الي محل السوق والاسكله حيث توجد الفنادق وبذلك يكون عمل دورة حول الجزيرة وصعد الي أعلاها وأمضى في ذلك ساعتين أو ثلاثا واذا شاء بعد ذلك ركوب احدي الزوارق للوصول الي باقي الجزر لزيارتها وتلك الزوارق موجودة بكثرة بجانب الاسكلة فيمكنه حينئذ زيارة (هيبلي أطه) و (كوچق أطه) وهما يشبهان الجزيرة الكبيرة ولكن يقلان عنها اتساعا وعمرانا

وأما فنادق الجزيرة (بيوك أطه) فهى أشبه بفنادق المصايف وبلاد الحمامات حيث يتناول النازل فيها الطعام وكل مايحتاجه وللطعام ساعات محدده تدق فيها النواقيس لاجتماع نزلاء الفنادق لتناول الطعام بفنادقهم دفعة واحدة وقد قضينا هنالك أسبوعا وجدنا فيه من جودة الهواء واعتدال المناخ وحسن الخدمة بالفندق مالا يمحى عن الاذهان مدى الزمان ورجعنا الى الاستانة راكبين الباخرة التى زايلت أسكلة الجزيرة فوصلت الي جسر غلطه بعد ثلاث ساعات تقريبا

وقد عولت بعد ذلك علي زيارة ادارة سكة حديد الحجاز بنظارة النافعة لاقدم ماتبرعت به للسكة المذكورة مما قدرنى عليه ربي وقد رأينا من وداعة مستخدمى تلك الادارة ومن حسن استقبالهم لنا ماخرجت معه لاهجا بالدعاء الى الله (جلا وعلا) بالهام رجال الدولة بسرعة انجاز ذلك الخط

وقد لاحظت أثناء مروري بديوان النافعة (الاشغال) والدواوين المجاورة كثرة وجود المستخدمين بها الذين لم يكن لديهم عمل من الاعمال وقد أخبرنى أحد هؤلاء الموظفين

بأن له عدة أشهر لم يقم بأداء عمل بل يحضر في الصباح ليقيم
امام منضدته التي يتركها عند انصراف الدواوين ولم تتحرك
يده بجرة قلم عليها وقد سألت عن سبب كثرة وجود المستخدمين
بالنظارات بدون أعمال لديهم يقومون بها فأخبرت بان وجود
المحسوبية وكثرة الانتساب الي المقربين جعلت الدواوين تحشر
حشرا بالموظفين فكانت أقرب للتكايا من نظارات للحكومة

وكنا حين ذلك في النصف الاخير من شهر أغسطس
وكبار الوزراء والموظفين والمقربين قائمون بتنسيق الزينات
البديعة على قصورهم بضفاف البوسفور وفي جهات نشان طاش
وبشكطاش وبجانب سراي يلديز حيث كان يقيم السلطان
السابق وكان ذلك استعدادا للاحتفال بعيد جلوسه الواقع
في أول سبتمبر من تلك السنة

وكنت ذات يوم انتظر صاحبي العربي بنزلي بجهة ششلي
وقد استبطأت حضوره فركبت عربة مارا من ششلي الي
نشان طاش فبشكطاش التي توجد بها العقارات السنية التي
كان ينزل بها فصادفته بالباب مستعدا للذهاب الي ششلي لمقابلتي

سراي طولمه بغجه ـ (٧٤)


KHEDIVIAL LIBRARY
CAIRO

وسرنا قليلا نتشاور في أي الجهات نقصد وقد دهشت حينما
قال لي بصوت منخفض (ذهب الرجل) ووقفت حائراً أتأمل
فيمن يعني بقوله والي أين ذهب وهل توفى السلطان وكان
الجند عند ذلك يتوافد من كل الجهات فلا تسمع الا ضرب
سنابك الخيل وصرير السيوف والاسلحة وبعد قليل من سيرنا
أشرت اليه بأخباري عن يقصد فأنبأني همساً بأن (السلطان
مراد) توفى فعلمت السبب وسرنا الي جهة المدينة مارين
بسراي طلمة بغچه التي أردت ان أراها من جهة البر حيث
شاهدتها من البحر أثناء مرور الباخرة الي البوغاز وهي فخيمة
ممتدة على البحر يبلغ طولها زهاء الثمانمائة متر اقدشيدها المغفور
له السلطان عبدالمجيد (والد السلطان الحالي) وبناها من الرخام
الابيض سنة ١٨٥٥ وأنفق الاموال الطائلة في زخرفتها وتزينها
حتى صارت آية العظمة والفخامة وصارت من أبهي قصور
الاستانة بل وفى مقدمة القصور المعدودة في العالم وكل واجهاتها
مصنوعة من الرخام الابيض المزخرف وقد كانت مقر السلطان
عبدالعزيز وأولمت فيها الولائم الملوكية الفاخرة لملوك الاجانب

واجتمع فيها مجلس المبعوثين لاول مرة فى أوائل حكم السلطان عبدالحميد وبها قصر فخيم مرتفع به غرفة الاستقبال الكبرى المعدة لمقابلة الاعياد والمواسم ويمكن ان يجتمع فيها زهاء الستة آلاف نسمة وذلك القصر يحوى ثلاث طبقات والي جانبيه أجنحة السراى ممتدة وهى ذات طبقتين وبها حديقة جميلة وأرصفة لرسو البواخر السلطانية أمامها ومحاطة من جهة البوسفور له بوابات كبيرة مصنوعة من النحاس الاصفر الممزوج بالذهب والي جانبها محلات الحرس والمطابخ التى لها رصيف على البحر ترسو به البواخر التى تفرغ شحنها فتحمله العربات علي أقضبة من الحديد تجرها الخيل الي داخل المطبخ وذلك المطبخ هو الذى كان يصرف منه علي عقارات سنية والتكايا المجاورة وقد أخبرنى صاحبي أن ما يصرف منه يومياً يبلغ خمسمائة مائدة لكل مائدة عشرة أشخاص وبالجملة فان تلك السراي هي أفخم السرايات الشاهانية بالاستانة حيث أنفق علي بنائها وزخرفها الملايين من الليرات العثمانية حتي قيل ان غرفة الاستقبال وحدها بلغت نفقاتها عدة ملايين

وقد ركبنا الترام من هناك الى غلطه فمررنا بدار الطوبخانة وهى دار كبيرة يشتغلون فيها بصنع المدافع الصغيرة وبعض البنادق والاسلحة وقد نسيت ان أذكر انه عند مرورى من ششلي الى بشكطاش مخترقا نشان طاش التي بها بعض السرايات الكبيرة المخصصة يسكن فيها الوزراء والصدور العظام قد مررت بدار كبيرة للحكومة معدة لحفظ الاسلحة من جميع الانواع ولما وصلنا الى غلطه بالترام وسرنا راجلين حتى وصلنا الى جهة استانبول مخترقين جسر غلطه وقد قضينا اليوم بتلك الجهة وقبيل العصر أخبرنا بان جنازة السلطان مراد قادمة من جهة البحر الى السركجي حيث يدفن بجامع الوالدة فطلبت من صاحبي الذهاب معي للسير بالجنازة فأخبرني انه لا يمكنه ذلك حيث لم يصدر أذن اليه

وعندها نهضت قاصدا الطريق التى تمر فيها الجنازة فوجدتها تكاد أن تكون عادية حيث لم يكن بها الا بعض الجند وضباطهم للمحافظة على النظام كما يسير بها مشايخ الاسلام والقليل من العلماء ولم يكن يوجد بها أحد من الوزراء المكيين

ولا من كبار الرجال العسكريين وبها جيش جرار من الجواسيس والبوليس السرى فلا يكاد الانسان يصدق ان هاته جنازة أحد الملوك والسلاطين أو الخلفاء السابقين وأما الشعب فى الجهات التى كانت تمر بها الجنازة فكان لا يبدى حراكا بل ظل الناس باهتين عند نظرهم الى الجنازة ولا تكاد تسمع أحدا منهم يتلفظ ببنت شفة فضلا عن لفظة (مراد) التى لم يكن أحد يجسر تلفظها وهكذا أورى المرحوم السلطان مراد التراب بدون احتفال كبير كاحد الناس ومع ذلك لم تقل همم القائمين بعمل الزينات وتنسيقها للاحتفال بعيد الجلوس الذى كان بعد ذلك بثلاثة أيام وقد قرأنا الجرائد يومها فلم نجد بها الا بعض كلمات لا تقرب السطرين وترجمتها (نظرا لوفاة السلطان مراد الخاقان السابق ودفنه بجامع الوالدة قد حزن مولانا السلطان حزنا شديداً وأصدر ارادته بأن تكون تشريفات عيد الجلوس بالملابس الملكية) وبعد ذلك أشار على ذلك العربى بالصعود الى سراى يلديز يوم عيد الجلوس فكان ذلك واستأجرنا عربة يومها وقد مررنا بجهة بشكطاش الى

طريق السراى الذى يرتفع قليلا قليلا وقد مررنا على بعض المنازل والسرايات المشيدة وهي تخص رجال المابين فمررنا على زاوية يقال ان السلطان كان يحضر اليها لسماع الاذكار حتى وصلنا الى أبواب السراى ولها بوابات كبيرة فى وسطها بوابة مزخرفة مقفولة لاتفتح الا عند خروج السلطان منها فدخلنا الى تلك البوابات وسرنا بطرقات بجانبها المباني الفخيمة وكلها مخصصة لدواوين المابين وكان الحراس والجند المدججين بالاسلحة منتشرين فى تلك الطرقات حتى وصلنا الى باب كبير على يسار الداخل وقد أخبرنى ذلك العربي بأن ذلك دائرة أغا دار السعادة (دار السعادة أغاسى) فدخلنا اليه وقد لاقينا بها كثيرا من الأغاوات والمستخدمين وقد أقبل بعض أصحاب الحاجات الذين كانوا موجودين بكثرة بالغرف السفلى وطرقاتها الي العربي قائلين له (استلطف لنا الاغا) وكل يلقى اليه بحاجته وقد ارتقينا الدرج حتى وصلنا الي غرف كبيرة بها الكثير من الأغاوات والخدم بينهم الكثير من الضباط والمستخدمين وهي مفروشة بأفخر الرياش ومحلاة بالنقوش الذهبية فمندها

دخلنا الي غرفة تلي غرفة حتي وصلنا الى غرفة كبيرة بها عبد الغني أغا (دار السعادة أغاسى) وأمامه الكثير من الزائرين جلوسا وعندها نهض للسلام علينا وقد قدمني اليه صاحبي مخاطبا اياه بالعربية التي يعلمها جيدا وقد بالغ في اكرامنا وعند جلوسنا أقبل الخدم بالسكائر والمرطبات والحلوى فتناول منها من شاء وكان أكثر الزائرين من العرب والاشراف فكنت تسمع أكثرهم يردد الدعاء الي الله ببقاء السلطان ونصره وكان عبد الغني أغا يجيبهم بالعربية وكان يفتخر [illegible] يرا قائلا أنا عرب وأولاد عرب وبعدها استأذنا بالانصراف وقد قصدنا دائرة التشريفات التي رئيسها الحاج علي باشا [illegible] يحضر السفراء والقناصل لأداء التبريكات فيقابلهم الحاج علي باشا رئيس التشريفاتجية وباقى التشريفاتجية ويكرموا مثواهم وكنا نلبس في أرجلنا أحذية خاصة ذات نعلين احداهما من الخارج والاخرى من الداخل لترك الخارجي بالباب حسب اصطلاحهم في التشريفات فصعدنا على درج جميل مفروش بالطنافس الفاخرة وكبير الاتساع بجانبه دربزونات من النحاس الاصفر الممزوجة

بالفضـة والذهب حتى ارتقينا الى بهو واسع منقوش بأجمل النقوش الفضية والذهبية وبه الطنافس والرياش التركية الفاخرة وقد وجدنا كثيراً من الزائرين بذلك المكان وقـد أشار لنا الخدم عن محل وجود الحاج علي باشا فدخلنا من أبواب مارين بغرف مختلفة الزخرف والزينـة حتى وصلنا الى غرفة الحاج علي باشا وهو رجل مملوء الجسم ذو لحية طويلة بيضاء فنهض قائماً لاستقبالنا فمنعه صاحبي عن اتمام النهوض وقدمني اليه فبالغ في اكرامنا وجلسـنا مع الزائرين الذين كانوا يملؤون الغرفة ولم يستقر بنا الجلوس حتى سمعنا صوت المؤذن بجانب الغرفة وقد أطرق الناس كأن على رؤوسهم الطير ولما انتهى المؤذن نهض الحاج علي باشا ونهض القوم يتبعونه وقد سار نحو باب آخر بالغرفة حتي وصل ووصلنا معـه الى بهو كبير مفروش بأفخر الرياش ومحلي بأجمل النقوش الذهبيـة فوجدنا الخدم قد فرشوا الطنافس التركية الجميلة علي هيئة الصفوف استعدادا لأداء الصلاة عليها وقد اصطف الناس وامامهم الامام وقد

دفعني صاحبي الي الصف الاول فكنت بجانب رئيس التشريفات ولم يكن بيني وبينه الا شخص واحد وبعد اتمام الصلاة جلس الجمع.وصار الامام يقرأ بعض الأدعية ببقاء السلطان ونصره ونصر الدولة وهم يؤمنون عليها واستغرقت تلك الأدعية مايزيد عن نصف ساعة وبعدها دخل رئيس التشريفات الي غرفته فاستأذنا منه بالانصراف وذهبنا صوب البوابة التي دخلنا منها فصادفنا هنالك المرحوم (الشريف عبدالاله باشا)، داخلا فأدت له الجند االسلام العسكرى

وقصدنا دائرة كتبة المابين التي كانت تصدر منها الاوامر في جميع شؤون الدولة والمشرفة على جميع أعمال الموظفين والمستخدمين ومنها تصدر التعيينات والعزل وبالاخرى مركز الحكومة التي تدير ثلاثين مليونا من بني الانسان بما يتبع ذلك من الممالك الشاسعة النائية الاطراف وكل ذلك كان تحت ادارة واشارة اثنين أو ثلاثة من الكتبة والرجال المقربين الذين اذاشاؤا أغنوا أو أفقروا واذاشاؤا أحيوا وأماتوا أو أعزوا أوذلوا وهناك كان كعبة القصاد من طالبي الاستخدام

والوظائف وممن يريدون الزلفي والتقرب

فدخلنا من بوابة كبيرة قريبة من تلك البوابات التى خرجنا منها وكان معنا أحد الأشراف الذى سار مع صاحبي العربى وتأخرت عنهما بضع خطوات فاعترضنى أحد الحراس الذين كانوا بالباب (قائلا الى أين تقصد) فنظره أصحابى وأشاروا اليه بتركي فالتفت الى قائلا بالتركية (الى عزت باشا) أجبته بنعم فقال تفضل بانحناء

فلحقت بأصحابي ومررنا وسط المبانى الفخيمة حتى وصلنا الى باب كبير فدخلناه واعتلينا الدرج فكنا نرى من اكتظاظ القوم والتفافهم بذلك المكان وازدحامهم به ما كاد يمنعنا عن الوصول الى غرفة الكاتب الأول وكبار الكتاب وقد قصدنا غرفة عزت (باشا) العابد الكاتب الثانى وأحد القرناء (للسلطان السابق) التى كانت تدور حوله محور الدائرة وهو مركزها واليه المرجع فى جميع شؤون الدولة (فى ذلك العهد) نظرا لتقربه من السلطان السابق لان الكاتب الاول للمابين (تحسين باشا) كان يمنعه كبر سنه عن المثول أمام السلطان فى كل لحظة

ولأي شأن خصوصاً أنه لم يكن من القرناء (ومعنى لفظة قرين المصطلح عليها بوظائف المابين تفيد التصريح لصاحبها بالدخول على السلطان في كل وقت وبطلب مقابلته في أي لحظة) ولما كان أحمد عزت (باشا) العابد أسبق موظفي المابين بالانتفاع بما لديه من وظيفة الكاتب الثاني للسلطان ووظيفة القرين فكان كعبة القصاد من كل فج وكانت تأتيه الوفود من كل أنحاء المملكة طالبة رضاه وحسن توسطه لدى السلطان فكان اذا شاء أوصل مطالبها الى السلطان لأجازتها والا لم يبلغها اليه وأرجعهم بخفي حنين سواء كانت أشغالها وطلباتها تختص بالمملكة أو بشؤونها الخصوصية

ومما أرويه لكم مما رأيته وشاهدته بعيني رأسي وسمعته بأذناي من المرحوم (صادق باشا المؤيد) وقد زرناه يوما بمنزله بدمشق الشام (وكان معي صاحبي العربي الشيخ عبد القادر كردي) وكانت تلك الزيارة عقب عودته من بلاد الحبشة التي ذهب اليها بهدية من السلطان السابق للنجاشي

فاننا بعد دخولنا المنزل ومقابلته لنا بلطفه المشهور (رحمه الله) قد وجدناه ناقما على المابين ورجاله والكاتب الاول وعزت (باشا) وأخبرنا أنه رجع من عدة أشهر من بلاد الحبشة وأرسل الهدايا الذى أحضرها معه من نجاشي الحبشة الي السلطان وحرر تقرير اضافيا عن تلك البلاد لتقديمه الى السلطان حسب ارادته عند ارساله اليها وأعطى التقرير الى الكاتب الثانى لتقديمه الى السلطان وكل يوم يذهب الى السراى الاستفهام عن التقرير فكان يعده (الكاتب الثانى) من يوم الى آخر ويبدى له من الأعذار التافهة كثيراً من مثل نسيت التقرير هذا النهار فى جيب ملابسى التى كنت ألبسها أمس وغير ذلك مما كاد معه ان يخرج المرحوم صادق باشا عن صوابه (حتى كان يفضل الاستقالة وقتها من منصبه ولكنه كان يتصبر ويتجلد) وكنا وقت المحادثة معه نرى الغيظ بادياً عن محياه حيث كان يقول لنا فى خلال المحادثة أى عمل يعملوه هؤلاء الناس هل هذه مأموريتى أو أشغالي انها أشغال أفندينا وأفندينا الذى أصدر أمره بأن أقدم له التقرير فما بالهم

يمنعوا به وصول التقرير اليه ويتركونى أذهب كل يوم الى السراى أنتظر الاطلاع على التقرير وتوجيه مأمورية أخرى الي لا أقوم بها حيث انتهيت من مدة من تلك المأمورية ولم يكن لدى عمل

وكان يصفهم فى محادثته لنا بالكذبة (لا بالكتبة) وذلك من حنقه وشدة غيظه منهم لكثرة وعودهم له وعدم تقديمهم التقرير الذي يطلبه السلطان وربما كان للمرحوم العذر فى هذا الغيظ لانه كان رجلا يحب الجد والعمل ويكره البطالة والكسل فكان بقاء مثله بدون شغل وهو في سن العمل يؤلمه كثيراً ولذلك فلم يمض على مقابلتنا له بضعة أسابيع حتى تعين قومسيرا عاليا بقومسارية بلغاريا وقتها وقد تنقل فى وظائف الدولة بعد الدستور حتى توفى رحمه الله ولم يبلغ الخمسين من عمره هكذا كانت أعمال الكتبة وحالهم مع كبار مأموري الدولة وفى الأشغال المختصة بالسلطان فما بال أعمالهم مع صغار المأمورين وفى باقى الأشغال أنهم كانوا بلا شك القابضين عليها ويسيرونها حسب أهوائهم

وكان السلطان السابق يثق بعزت (باشا) ثقة تامة حتى جعله من أعضاء القومسيون العالي لسكة حديد الحجاز ونفحه رتبة الوزارة وبثلاثة من النياشين المرصعة وكان يتردد بين الخاصة هنالك بأن السلطان قال (أن عزت) (باشا) هو يدى اليمنى فى عمل سكة حديد الحجاز

وكان عزت (باشا) المذكور من أشد المعارضين للسلطان السابق في منح الأمة الدستور ولما تغلبت فكرة الدستور على السلطان لم يسعه الا السفر من الأستانة يوم اعلان الدستور وقد أذن له السلطان بالسفر بعد مازوده بمكافأة نقدية وقد ركب احدى البواخر التابعة لأحدى الشركات الأنجليزية ولكن عند بلوغها الدردنيل أوقفها الدستوريون وأرادوا انزاله وارجاعه منها الي الأستانة لولا توسط سفير انكلترا الموعز اليه من السلطان السابق وتشبثه بعدم تسليمه لهم حيث أنه فى باخرة انكليزية والتهمة الموجهة اليه سياسية وعلى ذلك تم لعزت (باشا) السفر الى أوروبا ومنها الى لندن وقد أنذره الديوان العرفى وأرسل له طلبا بحضوره امامه لمحاكمته ولكنه

لما لم يزعن بالحضور حكم عليه بتجريده من رتبة ونياشينه ونفيه وحجز أملاكه كما حكم على زميله الباشكاتب بالتجريد والحبس باحدى القلاع وقد أقام عزت (باشا) مدة بأوروبا ولكنها لم توافق صحته فحضر أخيرا الى مصر للاقامه بها حيث اقتنى الدورو الأطيان

فلما دخلنا غرفة عزت (باشا) وجدناها غاصة بالزائرين ولكنا وجدنا مقعده خالياً فسألنا فأخبرونا بأنه لدي السلطان لأشغال فجلسنا قليلا مع بعض كبار الكتبة الذى يليه فى الوظيفة وقد سألنا عن تحسين باشا الباشكاتب فلم نجده كذلك فنزلنا ولم نقابل أحدا منهم وتركنا الكثيرين فى انتظارهما ومما ألفت نظري كثيراً فى تلك الدائرة عدم وجود النظام ووجود أبواب الغرف مفتحة يقصدها كل من أراد ولم نكد نصدق أن ننتهي من ذلك الازدحام حيث الطرقات والمماشي غاصة بالناس حتى قصدنا بشكطاش ا ومنها الي ششلى وقد عزمنا على الذهاب جهات البوسفور ذلك المساء لمشاهدة الزينات المنسقة تنسيقاً بديعا على قصوره ورياضه وكنا أرسلنا للترسانة البحرى لاستئجار

زورق ليقلنا الى جهات البوسفور فكان ذلك وركبنا الزورق بعد الغروب وذهبنا الي جهات البوغاز فكنا نمر على الزينات البديعة التى أقامها الأمراء والوزراء والسفراء أمام دورهم وسفاراتهم وكانت أشعتها منعكسة على مياه البوسفور مما جعل الزينة مضاعفة والأنوار مضاعفة وكان منظرا يكل عن وصفه الواصفون حيث تري بها الكتابة من أحرف من نور يعيش السلطان (يعيش أمير المؤمنين) يعيش خليفتنا الاعظم وهكذا من الآيات والاشعار العربية والتركية وأقواس النصر والاهلة وكان بكل سراى من السرايات موسيقي تصدح بألحانها بالباب بينما الفقهاء يرتلون القرآن داخل السراى ويدعون للسلطان بالبقاء وأغاوات وخدم السراي يستقبلون الزوار ويوزعون الصدقات على الفقراء ومما يلفت الانظار من تلك الزينات التى على شواطئ البوسفور زينة والدة سمو الخديوى بقصر بلك حيث كانت من أبدعها وأحسنها رونقا وكان مستخدمي الدائرة يستقبلون الزوار ويوزعون الصدقات بين نغمات الموسيقى التى كانت تصدح بالسراى وهكذا رجعنا مسرورين من الزينات

البديعة التي كانت تسطع على جوانبي البوسفور بينما البواخر الحاضرة فيه مزينة بأحسن زينة وعليها المصابيح التي تجعل الليل نهاراً وسارت تلك الليلة البواخر ماخرة والزينات غير منقطعة حتى الصباح وذلك بخلاف الليالي الاعتيادية التي لا تمخر فيها بالبوغاز الا لغاية الساعة أربعة عربية مساء٠

وبعد رجوعنا من البوغاز ورسونا بأسكلة بشكطاش استأجرنا عربة وذهبنا قريبا من سراى يلديز حيث شاهدنا زينات الرجال المقربين فوجدناها في غاية الابداع ومما يلفت النظر منها على الاخص زينة رضا (باشا) السرعسكر وزينات جهات نشان طاش حيث يوجد بها أكثر الوزراء وقضينا الى ما بعد نصف الليل في مشاهدة تلك الزينات البديعة ثم ذهب كل الى منزله وقد عولت بعد ذلك على مشاهدة حفلة السلاملك (صلاة الجمعة) وكلفت صاحبي العربي بالاستحصال على أذن لنكون بمصطبة التشريفات فاستحصل على ذلك الاذن وذهبنا الى دائرة الحاج علي باشا حيث أوقفنا مع بعض السائحين قريباً من محل خروج السلطان وكان الجند قد اصطف من الجانبين

من الباب الذى يخرج منه السلطان الى المسجد وكانت الجنود تحضر بموسيقاها وبازياتها المختلفة ومما كان يلفت الانظار منظر تلك الجنود ذات العمائم السوداء والاحزمة والسراويل فانهم كانوا مدججين بالاسلحة المختلفة الاجناس وكان الجند الفرسان بموسيقاه مصطفا الى جهة الميدان وخلفه العربات المنتظرة والعربات التى كان يركبها المتفرجون الذين لم يتحصلوا على أذونات (وقد منع ايقاف العربات بذلك الميدان بعد حادثة القنبلة التى تلت ذلك بسنة) كما منع صعود المتفرجين الى ذلك الميدان الا اذا كان معهم أذونات رسمية

وكان الجند المحتشد فى تلك الساحة يزيد عن الثلاثين ألفاً وقد فتحت البوابة الكبرى وخرج السلطان فى مركبته لابسا ملابسا بيضاء وامامه السر عسكر رضا (باشا) بملابسه الرسمية وحول المركبة بعض الامراء والوزراء وكبار رجال المابين يسيرون على الاقدام وقد نادى الجند دفعة واحدة بالسلام العسكري (بادشا هم چوق يشا) وبعدها سكت الجمع كأن على رؤوسهم الطير فلم تكن تسمع الا صوت المؤذن قائلا

(الله أكبر) وعند توسط السلطان الطريق نادى الجند بالسلام العسكرى ومثله عند وصوله المسجد فكان منظراً رهيباً يلقى الهيبة فى القلوب وأى منظر أرهب من ذلك ثلاثون ألفا من الجنود شاكى السلاح ينادون بالسلام العسكرى فى نفس واحد حتى ان أصواتهم باجماعها تشبه قصف الرعود والامراء والوزراء وكبار رجال الدولة بألبستهم المزركشة ونياشينهم المرصعة يسيرون على الاقدام حول مركبة بها رجل نحيف الجسم مطرق الرأس ذو لحية كسى أكثرها الشيب شاحب اللون لا يلتفت يمنة أو يسرة الا قليلا وامامه ناظر الحربية الرجل الممتلئ الجسم والكبير الرأس والغليظ الساعدين يضع يديه فوق بعضها على صدره تأدباً وخشوعا لمولاه

ان الانسان الواقف قريبا من ذلك الراكب العظيم لاتساعده عيناه الى النظر الى المركبة ومن فيها الا عن بعد خصوصاً اذا خالج فكره أن الراكب هو السلطان المطلق الارادة الحاكم فى رقاب ثلاثين مليونا من بنى الانسان وان كل كلمة تخرج من بين شفتيه تعز أناسا وتذل آخرين

هذا ما كان يدور فى خلد كل انسان شاهد هذا الموكب ولكن حوادث الزمان علمتنا بعد ذلك بأن هيبة الملك المستبد هيبة مصطنعة لا تلبس أن تزول ولا تلبث الا هيبة الملك العادل التى ترفرف حوله قلوب رعاياه وان للشعب هيبة رهيبة لا تقدر على مقاومتها الملوك والجبابرة وما الملك الا انسان كباقى الناس أقام على رأس الامة اعلانا على عظمتها وقوتها وليس له من أمرها الا النظر فى تنفيذ رغبات عقلائها ونوابها والسعى فى رقيها وتقدمها

وبعد أداء السلطان الصلاة رجع بموكبه ونادى الجند بالدعاء ثلاث دفعات حتى دخل السراى وعندها انفض الجمع وعادت الجنود وامام كل فرقة منها موسيقاها تصدح بأنغامها حتى تصل الى ثكناتها

وعلى العموم فان حركة يوم الجمعة بشوارع المدينة مما تستحق الاعجاب لانه يبتدئ سير الجنود بالشوارع من الصباح حتى تصل قبيل الظهر الى السراى ثم تعود بعد أداء الصلاة مخترقة شوارع المدينة فتصل قبيل الغروب الى ثكناتها ولذلك

فان الجيش الذي كان مرابطا بالاستانة قد كان من أنظم جيوش الدولة وأحسنها هنداما وأعظمها قوة وذلك من كثرة حركاته واستعراضه في حفلة السلاملك ولذلك فقد تكبدت الجيوش الدستورية الجرارة مشقة وصعوبة تامة في أخضاعه

وقد مكثت بعد ذلك بالاستانة الي أواخر شهر سبتمبر وركبت الباخرة عائدا الي مصر فمررنا بالموانى السابق مرورنا بها (ماعدا ثغر أزمير) ولكن لم تمكث بها الباخرة الا قليلا وقد عرجت على جزيرة رودس حيث كان ينزل بها بعض العائلات المصرية الكبيرة الراغبة العودة الى مصر وهى جزيرة كبيرة ذات فرضة صغيرة لا يوجد بها قريبا من مرسى البواخر الا بعض مبانى للحكومة وبعض الزوارق وأما المبانى الاخرى المعدة للسكن ومبانى بعض القرى فهى الى داخل الجزيرة وقد ركبت تلك العائلات وعدنا الى الوطن وعند أوائل الصيف التالى (صيف سنة ١٩١٠) عزمت على العودة ثانياً الى الاستانة حيث كنت مسرورا من جودة هوائها وحسن مناخها ولطف معاشرة أهلها

فركبت الباخرة يوم ١٩ يوليو سنة ١٩٠٥ من ثغر الاسكندرية وكان الجو صافيا والبحر هادئا وعند وصولنا (بيريه) الثغر اليوناني ضرب على الباخرة حجر صحي ثمانية وأربعين ساعة فنزلت مع بعض المصريين لقضاء تلك المدة بأثينا وقابلنا بها في تلك الساحة التي امام سراي الملك ذلك الرومي الذي قابلته في السفرة الاولى (وهو من أصحاب المطاعم بالمنصوره) كما نوهنا عن ذلك في حينه)

وعولنا في الصباح على زيارة سراي الملك وبعض الآثار بالمدينة فلما أصبح نهضنا وحضر صاحبنا الرومي وذهبنا الى سراي الملك وأخبره الحارس برغبتنا فأذن لنا بالدخول وعندها ارتقينا على درج به حاجز من النحاس الاصفر ودخلنا الى بهو فسيح ومنه الى الغرفة المقام بها عرش الملك حيث وضع مقعد فوق منصته ذو ثلاث درجات وفوقه الى جهة الحائط وضع ستار من الحرير على شكل نصف دائرة وعليه رسم التاج والمنصة والمقعد مفروش بالقطيفة الحمراء ولا يوجد بتلك الغرفة سوى العرش الذي يجلس عليه الملك حين مقابلته

لوزرائه ورجال حكومته في الاحتفالات الرسمية وهي ليست كبيرة الاتساع

ثم خرجنا من هنالك الي بهو فسيح مسقوف بالبلور ومصفوفة بجانبه المقاعد العديدة ومفروش بالخشب اللامع الذي يشبه ألوان الرمر فسألنا عن ذلك فأخبرنا بأنه (صالون البال) وبه يحضر كبار القوم للرقص على الطريقة الافرنجية في الحفلات الرسمية الكبرى التي يقيمها الملك

وبعدها دخلنا الى القسم المخصص بالملكة وهو مفروش بفاخر الرياش وقد نظرنا به كثيراً من الهدايا المهدية اليها من الملوك ومن ضمنها صينية بها وعاء للشوربة منشفة من الحرير اللامع كل ذلك مصنوع من البلاتين (الذهب الابيض) مما يندهش له الناظر الذى لا يفرق عند نظره المنشفة ويظنها انها من الحرير اللامع مع كونها مصنوعة مع الصينية والوعاء من البلاتين وهي المهدية اليها من جلالة نيقولا الثاني قيصر الروسيا وغير ذلك من الهدايا النفيسة

وبعد ذلك ذهبنا الي دار الآثار فوجدنا بها الكثير من

التماثيل والرسوم وذهبنا الى ميدان المسابقة فى الأعمال الاولمبية
(المسمي الستاديون) وهو مكان فخيم قد وضعت به المقاعد
صفوفا فوق بعضها الى قمة الجبل وهي منحوتة من الحجر
والرخام وشكل ذلك المكان بيضاوى وفى وسطه ميدان واسع
للسباق وفي الصدر وضع مقعد الملك والملكة والى جانبيها
مقاعد الملوك والامراء المدعوين وهكذا نرى المقاعد صفوفا
تلى بعضها فى الارتفاع حتى تسع تلك المقاعد عشرات الألوف
وقد قيل لنا انها تسع مئة ألف من الانفس البشرية وذلك المكان
هو من الأمكنة المشهورة للسباق فى جميع العالم ويحضر
فى حفلاته أكثر الملوك وقيل لنا ان أفيروف ذلك الغنى اليونانى
المصرى الشهير قد أوصى بملايين الفرنكات لاصلاحه واصلاح
مقاعده وترى الى جانبي الميدان قريبا من مقاعد الملوك بعض
التماثيل النصفية الاثرية القديمة وكذلك به بعض التماثيل
الكاملة عند المدخل

وقريبا من ذلك المكان توجد بعض الاعمدة الاثرية

وقد أمضينا اليوم فى زيارة تلك الأمكنة وعدنا فى الصباح الى باخرتنا راكبين عربة خيل من أتينا الي بيريه فكنا نمر بالامكنة الموجود بها بعض المطاعم وبها أحواض لسقى الخيل حتى وصلنا الى بيريه وركبنا الباخرة التى أقلعت قاصدة الأستانة ومررنا بأزمير وزرنا جامعها الفخم وقد أخبرنا أحد خدمة المسجد بأنه شاهد زيارة المرحوم السلطان عبدالعزيز لذلك المسجد وقد طفنا بها وبشوارعها الجميلة وعدنا الي الباخرة التى أقلعت الى الأستانة مارة بجزيرة مدللي وعند وصولنا الأستانة ذهبت توا الى (بيك أوغلى) حيث نزلت بفندق انبريال المواجه (ليرابالاس) وعند ما كنا بأتينا جالسين مع ذلك الرومى بساحة السراى اذ سمعنا باعة الجرائد يرددون ذكر السلطان فسألنا عن سبب ذلك فقرأ ذلك الرومي الجريدة وأخبرنا بأن قنبلة انفجرت امام المسجد الذى كان يصلى به السلطان الصلاة وكان ذلك عند عودته الى السراى ولكنه لم يصب بضرر وأصيب بعض القريبين منه وألقى القبض على الكثيرين والأستانة الآن فى هرج فعند ذلك تحيرنا كثيراً وكان يشير

علينا الكثير بعدم الذهاب الى الأستانة والاقامة ببلاد اليونان أو الذهاب الي أوروبا

ولكن لما حضرت بعد ذلك التلغرافات منبئة بأن الأستانة على حالتها الطبيعية وجرى تشكيل لجنة للتحقيق عن القنبلة وأسبابها ومسببيها اطمأنت أنفسنا وذهبنا الى الاستانة وقد لاقينا في تلك الدفعة زيادة التدقيق والبحث من عمال البسابورت حتى أنهم أمضوا معنا مايزيد عن أربعة ساعات في سؤال وجواب وبعد نزولي بالفندق عولت على زيارة أصدقائي والانتقال الي المنزل الذي كنت أسكن به في شيشلي ولما سألت عن صاحبي العربي الذي كان يرافقني في رحلتي الاولى علمت انه رجع الي مكة المكرمة وأوصى أحد أصدقائه بمرافقتي أثناء حضوري وهو شيخ جليل قد عرفني به صاحبنا في السنة الماضية وقد ذهبت الى المنزل الذي كنت نازلا به بشيشلي فقابلني أصحابه أحسن مقابلة وهم من الارمن ونقلت أمتعتي اليه وفي ثاني يوم من نزولي به حضر رجال الشرطة للاطلاع على البسابورت الذي كان معي وعندها اطلعتهم عليه ورصدوا

ما أرادوا بدفاترهم وذلك بخلاف السنة الماضية حيث لم يحضر
وقتها الي المنزل أحد رجال الشرطة ولكني علمت أن ذلك
استثنائى نظرا لحادثة القنبلة وقد أقمت بضع أيام بذلك المنزل
كنت ألاحظ خلالها كثرة مرور رجال الشرطة والجواسيس
بالشارع والشوارع المجاورة بما لم أعهده من قبل ومما راعني بينما
كنت جالسا ذات ليلة بعد تناول العشاء الى جانب نافذة
من نوافذ غرفة الاستقبال بالمنزل اذ شاهدت بعض العربات
المغطاة التي تجرها الخيل تحضر تلى بعضها وتقف امام منزل مواجه
للمنزل الذى كنت أسكنه ويخرج من كل عربة خمسة أو ستة من
الجواسيس وينزلوا امام ذلك المنزل حتى تكاثر جمعهم وقد
أحضروا العمله لهدم المنزل ولفحر الشوارع المجاورة له وبينما
أنا ناظر اليهم اذ حضرت صاحبة المنزل وأشارت الي من بعد
بأن أقفل النافذة وأتركها وعندها قفلت النافذة وذهبت الى
غرفتى وأنا مستاء جداً من تلك الغياهب المحيطة بجو الاستانة
في ذلك الوقت وبعد قيامى فى الصباح استفهمت من صاحبة
المنزل عن سبب حضور هؤلاء الناس الى تلك الجهة فأخبرتني

بتحسس بأن أصحاب المركبة التي انفجرت فيها القنبلة عند مسجد السلطان كانوا حضروا واستأجروا محلا للعربة من صاحبة المنزل الذي يحضر اليه الجواسيس وكانت صاحبة المنزل لا تعلم بما دبروه وعندها أسكنتهم وحدثت بعد قليل الحادثة التي عادت عليها بهدم مسكنها وقطع أرزاقها فلما سمعت ذلك منها علمت أنه تحيط بهاته الجهة الشكوك والاوهام وعولت على الرجوع الى فندق لاكون مطمئنا خصوصا وان جميع الارمن كانت تحيط بهم الريبة

فأخبرتهم بذلك وقد ساءهم كثيرا ولكني نفذت ماعولت عليه حيث نقلت حقائبي الي فندق امبريال بعد ماأخبرت محل الشرطة بذلك وقد تضايقت كثيرا لوحدتي وخصوصا وان العربي لم يكن يقابلني الا كل يومين أو ثلاثة مرة وكنت أجلس بالقهوات والمطاعم التي بشارع بيرا التي كانت غاصة بالجواسيس يتناقلون الاشاعات عن حادث القنبلة وماتم فيها فيوما تسمع ان الارمن دبروا ذلك وآخر تسمع فيه بأن قوما من المصريين قاموا بعمل ذلك وهلم من ضروب

الاشاعات وكانت الضبطية لاتصرح لاحد من الاجانب بالسفر حتى ان بعض المصريين الذين كانوا يرغبون السفر الى أوروبا قد حجزوا عن السفر مايزيد عن أسبوعين

وأخيرا هدأت الخواطر لما علم الناس ان أحد البلجيكيين مع بعض الارمن هم الذين دبروا ذلك وقد تقابلت مع أحد التجار الذى عرفتهم بمصر وكان يعرف كثيراً من تجار الاستانة فكنت أذهب معه اقطع الوقت الى جهة استانبول وبيوك شرشه ونمضى اليوم هناك واتفقنا أخيرا على السكنى بأحدى المنازل بشارع بيرا الذى نقلنا اليه أمتعتنا وقد ذهبت ذلك اليوم الى العربى وذهبنا الى (الموزخانة) لمقابلة مديرها حمدى بك الذى تعرفت به فى السنة الماضية بمنزل الشريف حسين بك (باشا) فقابلنا أحسن استقبال وأطلعنا على (الموزخانة) والقسم المصرى بها حيث به يوجد كثير من الآثار المصرية

منها مومياء موضوعة فى صندوق طوله متر واحد وخمسون سنتى وهى لأهوروس من قدماء المصريين وهو الذى كان متزوجا بأوزيريس وولده منها ايزيس وجسمه محفوظ حفظا

تاما وتوجد صورته الملوية منقوشة على الصندوق وبها بعض الصناديق الأثرية المحفوظة بها بعض مومياء قدماء المصريين منها ما وجد بالجهات المختلفة من الصعيد وبها الكثير من التماثيل المصرية القديمة على أحجار من الكس والسرباتتين والمرمر وبها الكثير من اللحود والقبور العتيقة منها ما أخذ من صيدا بولاية بيروت وغيرها من المدن القديمة بجبل لبنان وحمص وبيروت وسلانيك والاستانة

وبها الكثير من الآثار الحميرية المأخوذة من بلاد العرب وكثير من الآثار اليونانية القديمة ما وجد بأيدين وطاشوز وطرسوس وجزيرة استانكوى وبرغم ومدللي وبنغازى وطرابلس وغيرها من المدن والجزائر العثمانية التى كان بها آثار اليونان القدماء

وقد سررنا كثيراً من تلك الزيارة واستأذنا من المدير بالانصراف حيث ذهبنا الى منزلنا وقد ذهبت بعد ذلك الى جهات البوسفور وأقمت ببيوك دره بضع أسابيع للتنزه والرياضة بالجبال بجانب عيون الماء كما قضيت بعد ذلك بضع أسابيع

بجزائر الامراء ورجعت بعد ذلك الي البيك أوغلي عاقد العزم علي العودة الي الوطن العزيز وقد تعرفت بأحد الجراكسة التابعين الروسيا فوجدته زكي الفؤاد مليم بأكثر لغات العالم وقد ساح في جميع الاقطار حتى أنه لم تخل بلد في العالم من وطئ قدميه وطاف حول الارض ثلاث دفعات وأمضى مايزيد عن خمسة وعشرين عاماً سائحاً لا يستقر في بلد أكثر من أربعة أشهر وقد سألته عن مصر فأخبرني انه زارها من بضع سنين وذهب من هنالك الي السودان وقال انه ربما زارها هذا الشتاء ليتعلم العربية التي لا يحسن النطق بها جيداً وكنت أسأله عن أوروبا وأحوالها فكان يصف لي مدنها وصفا باهرا

فعدت الى مصر موطنا النفس على مقابلة ذلك الجر كسي الرحالة بمصر في أوائل الشتاء وقد تم ذلك اذ حضر في أول شهر دسمبر وأمضى الشتاء بمصر وتمكنت بيننا الصداقة وتوثقت عراها فابديت له رغبتي في السفر الى أوروبا في الصيف فوافق على ذلك وأشار علي بالذهاب الى ايطاليا أولا لمشاهدة معرض ميلان العام ومنها الي سويسرا فالمانيا ففرنسا وتم ذلك كما هو موضح بالفصل التالي بعد الخلاصة التاريخية

خلاصة تاريخيه

يبدأ تاريخ ايطاليا بتأسيس دولة الغرب بعد سقوط دولة الرومان التي لم تنقسم الا لمقاومة غارات المغيرين من البرابره المتوحشين ومنذ هذا السقوط صارت ايطاليا التي عنت لها رقاب العباد في أرجاء العالم القديم ووثقت بيديها عقدة وحدته عرضة لمطامع الشعوب الاخرى وازدادت علي نفسها انقساما وتخاذلا على أنها بالرغم عن خضوعها تباعا للافرنج فالجرمان فالاسبان فالنمسويين حفظت لغتها وتقاليدها ومدنيتها ثم لم تلبث في عهد نهضتها أن أخضعت لجبروتها تلك الامم التي كانت حاكمة عليها ولم شعثها بعد ذلك ملك من صغار ملوك جبال الالب بمساعدة الامة الفرنسويه وينقسم ذلك التاريخ الي أحد عشر دورا نذكرها بالتعاقب كما يأتي :

﴿ الدور الاول : مملكة الغرب من ٣٦٤ الي ٤٧٥ — م ﴾

الاسرات الحاكمة — فلانتان الاول سنة ٣٦٤ — م جراسيان (٣٧٥) . فلانتان الثاني (٣٨٣) . تيودوز (٣٩٢) . هنوريوس (٣٩٢) . فلانتينان الثالث (٤٢٤) . بترون مكسم (٤٥٥) . أفيتوس (٤٥٥) . ماجوريان (٤٥٧) . ليبيوس سيوير (٤٩١) انطيميوس (٤٦٧) . أوليبريوس (٤٧٣) . جليسريوس (٤٧٣) . يوليوس نيبوس (٤٧٣) . روموليوس أوغستول (٤٧٣ — ٤٧٥)

تغيرات الاراضي — كانت دولة الغرب منقسمة الي قسمين قسم ايطاليا ويشمل عـدا أبرشيتها أبرشية أفريقيه والمريا وكانت أبرشية ايطاليا مؤلفة منها ومن الجزائر المجاورة لها والاراضي الواقعة بين الآبن والدانوب أعني ليجوريا والبندقية جنوبا وريتيا شمالا وكانت مدينتا ميلان وراغين فيها تنافسان رومية في كونها عاصمة البلاد

انتظامات — كان رؤساء الجنديه في عهد الامبراطره المتأخرين ومعظمهم علي حالة التوحش والهمجية قابضين على زمام السلطة بلقب « قنصل » وكان مجلس السناتو موجودا بذاته الا أنه كان مجردا من النفوذ والشوكة وكانت الهيئة الاجتماعية منقسمة الي طبقات ممتازة عن بعضها البعض فطبقة السكوريال أى أشراف المدن كانت تفرض الرسوم الباهظة ثم لم تلبث ان هوت الى الحضيض وارتفع شأن الاساقفة فأصبحوا حماة المدائن وصار أسقفا راغين وميلان منهم وأسقف رومية بالخصوص علي مبلغ عظيم من السلطة الادبيه

الحوادث الكبرى — تنصيب فلانتنيان الاول (٣٦٤) . مقاومة سان انطوان لطيودوز (٣٩٠) . بقاء طيودوز وحده امبراطورا (٣٩٢) . تقسيم المملكة نهائياً (٣٩٥) . غارة الفيزغوط وانهزام الاريك في واقعة بولانتيا (٤٠٢) . الغارة الكبرى التي هزم فيها رداجيز (٤٠٥) قتل ستليكون (٤٠٨) . استيلاء الاريك على روميه (٤١٠) . غارة الهونيين وقبض ليون الاول علي تيلا زعيمهم (٤٥٢) .

تخريب الفندال مدينة رومية (٤٥٥) تنازل رومولوس أوجستول (٤٧٥)

المدينة — كانت ايطاليا خاضعة لنظام كثير التراكيب متضارب التضاعيف لم يتغير الا بغارات البرابرة والمتوحشين على البلاد وكانت الاخلاق فى انحطاط والعواطف السامية الشريفة على وشك التلاشى من الوجود لا سيما منها عاطفة الوطنية وكانت علوم الآداب التى تحلت بها مدينة رومية قد هجرت ربوعها ولم يبق بها من صنوف المعارف سوي علم الحقوق وفى سنة ٤٢٦ أصدر فلانتنيان الثالث أمر بجعل قرارات علماء الحقوق فى الجيلين الماضيين نافذة المفعول . أما الدين فقد حافظ الاساقفة على طقوس المذهب الأرثوذكسي وخول لاسقف رومية منذ سنة ٣٨١ حق النظر فيما يشجر من الخلافات بين الاساقفة الآخرين وحسمها

﴿ الدور الثاني : ممالك الهمج والمتوحشين ٤٧٥ — ٧٧٤ ﴾

العائلات الحاكمة — أودواكر (٤٧٥ — ٤٩٣) . عائلة اوستروغوط تيودوريك (٤٩٣) . اطلاريك (٥٢٦ — ٥٣٤) فتيج (٥٣٦ — ٥٤٠) توتيلا (٥٤١) . تيناس (٥٥٢ — ٥٥٤) من أسرة اللومبارد : اليوان (٥٦٨ — ٥٧٣) . أوطاريس (٥٨٤ ، اجيولف . (٥٩١) . ادلسالد (٦١٥) . اريوفالد (٦٢٥) . روتاريس (٦٣٦) . برطاريت (٦٦١ — ٦٧٨ . كونبيرت (٦٨٦ — ٧٠٠) . لويتبراند (٧١٢ — ٧٤٤) . استولف (٧٤٩) . ديديه (٧٥٦ — ٧٤٤)

تغيرات الاراضي — في عهد أودواكر استولى الفندال الذين كانوا أصحاب جزيرتي سردانيه وقورسقة على صقلية التي عاد الاستروغوط فاغتصبوها منهم : وبعد موت تيودوريك امتدت أطراف ايطاليا الى نهر الرون غربا بعدان امتدت الى نهر الدانوب شرقا ولكن لم يلبث جوستنيان ان أخذ الجزائر وجزء ايطاليا المتراميي الى جبال الالب : اما اللومباردوكانوا أصحاب الكلمة في سهول بوفقدا كنسحوا اليونانين الى وسط ايطاليا وجنوبها

النظامات — لقب تيودوريك ملك القوط بملك الايطاليين تحت رعاية امبراطور الشرق وحافظ على مجلس سالناتو في رومية ولم يحصل البرابرة من مناصب الحكومة وخططها الاعلى مناصب العسكرية وكان الاستروقوط من الاريين فلما فتح روم الشرق (بزانطية) بلاد ايطاليا أعادوا اليها الديانة الكاثوليكية وعامل اللومبارد أهل ايطاليا معاملة الغالب للمغلوب واحتجبوا لانفسهم الثلث من أموال الجبايات ونزع الاشراف لمزاولة الزراعه وانقطعت مشاركة الكونتات في الادارة البلدية لاكتفائهم بمراقبة مصالح اللومباردو السهر عليها وكان هؤلاء يتطلبون من سائر سكان ايطاليا القيام بالخدمة العسكرية

الحوادث الكبرى — غارة تيودوريك على ايطاليا (٤٨٨) . الاستيلاء على رافين (٤٩٣) . فتح مقاطعة روفانس (٥٠٨) . قتل سيماك (٥٢٦) . فتح بيليزير لايطاليا (٥٣٥ — ٥٥٤) . انتصار ناجينال (٥٥٦) . انشاء

ابرشية رافين (٥٥٤) غارة اللومبارد (٥٨٩) . انتصار تاثارو (٦٤٠) . الدستور الذي وضعه روطاريس (٩٤٤) . تدين اللومبارد (في الجيلين السادس والسابع) انتصار لويتبراند على اليونانيين (٧٢٧) . فتح بنتابول ورافين (٧٥٣) . أول حملة نبيان لوبريف والهبة التي وهبها للكرسي البابوى (٧٥٤). الحملة الثانية له وتأسيسه السلطة الزمنية للبابوات (٧٥٥) . شارلمان في رومية واستيلاؤه على بافيا (٧٧٤)

المدنية اجتهد تيودوريك في توسيع نطاق السعادة المادية بتشجيع الزراعة وتجفيف المستنقعات وانشاء الثغور . ثم رمم آثار رومية وأقام غيرها في رافين عاصمته وكان صديقه العالم بويس الذي شرح ارسطو وأقليدس وبطليموس وألف وزيره المسمي كاسيودور كتابا في تاريخ القوط وآخر في النظامات الآلهية والوضعية : واشتهر القوط من بين الاقوام المتبربرة التي احتلت ايطاليا باللطف والتسامح في معاملة أهلها بخلاف البيزنطيين (روم الشرق) فقد عاملوهم بأشد وأقسي مما عاملهم به أقوام الاستروقوط : اما اللومبارد فبالرغم عما ارتكبوه في فتوحهم للبلاد قد اندمجوا سريعا في الشعب المغلوب وامتزجوا به حينما تدينوا بالمذهب الكاثوليكي وتكلموا بلغته وشاركوه في مدارسة العلوم ومزاولة التجارة وكان لهم على الايطاليين فضل بث الروح الحربية فيهم



الدور الثالث . ايطاليا في عهد الكارولنجيين

(٧٧٤ — ٩٦١)

الاسرات الحاكمة — بيبان (٧٨١) برنارد (٨١٠) لوطير الاول (٨١٨) . لويس الثاني (٨٥٥) شارل الاصلع (٨٧٦) . كارلومان (٨٨٧) . شارل الغليظ (٨٨٠) بيرانجه الاول (٨٨٨) . هوج (٩٢٩) لوطير الثاني (٩٤٥) بيرانجه الثاني (٩٥٠ — ٩٦٠)

تغيرات الاراضي — في عهد شارلمان كانت مملكة ايطاليا ممتدة من الدانوب الى الابن وكانت شبه جزيرة ايطاليا ماعدا الولايات التابعة للكنيسة تدفع الجزية اليها أما الطرف الجنوبي منها وجزيرة صقليه فكانا تابعين لليونان : وفي ٨٨٨ عادت حدودها الى الالب بعد ان ترامت أطرافها بعيدا الي الشمال في عهد لوطير

انتظامات — قامت هيئة الالتزام واستتب نظامه بايطاليا البيزنطية ومملكة اللومبارد واستكمل شكلها في عهد الكارولنجيين ثم حصلت غارات جديدة انقسمت بسببها المملكة أقساما وشيعا واندثرت معالم القانون ولم يعرف من هو الحاكم الشرعي وظلت الحال على هذا المنوال الى أيام التملك الالماني

الحوادث الكبرى — هزيمة الدوق دي فريول (٧٧٦) . الاستيلاء على على كابو (٧٨٧) . تتويج شارلمان في رومية (٨٠٠) . الحرب بين برناردو لويس

التقي (٨١٧ — ٨١٨) واقعة فونتنواي (٨٤٠). معاهدة فردن (٨٤٣). غارت العرب على رومية ونهبهم اياها (٨٤٧). انتصارات لويس الثاني في باري (٨٧٠) وكابو (٨٧٤) تتويج شارل الاصلع (٨٧٦) ثم شارل الغليظ (٨٨١). في رومية الحرب بين برانجه وجي دي سبوليت (٨٨٨—٨٩٤). استيلاء الالمان على رومية (٨٩٦) هزيمة العرب في الابتن (٩١٦) غارة المجر (٩٢٤) حملة أوطون الاولي (٩٥١) تتويجه في رومية (٩٦٢)

المدنية — لم يأت حكم الكارولنجيين في ايطاليا بفائدة ولا جدوى للبلاد: نعم انه مهد القسم الجنوبي منها الذي صار يونانيا محضا من حكم جوستنيان ان يعود لاتينيا ولكن بالنظر لضعفه لم يلبث الانشقاق ان شاد نهائياً في ذلك القسم وفيما بقي من البلاد الايطالية ولا غرابة في ذلك فانه متي استضعفت السلطة وخارت قواها أفضت الي الانحلال والتلاشي: على ان ذلك الانشقاق وتلك الغارات قد أذنت باتساع نطاق الثغور البحرية ورواج أحوالها فان ثغر (امالفي) مثلا أصبح المستودع العام لتجارات البحر الابيض المتوسط والمستعمرات العربية في جزائر صقليه وسردانيا وقورسقه

﴿ الدور الرابع : ايطاليا في عهد الحكم الالماني : ٩٦٢ و ١٢٦٨ ﴾

الاسرات الحاكمة — من امبراطرة المانيا : أوطون الاول (٩٦٢) أوطون الثاني (٩٧٢). أوطون الثالث (٩٨٣). هنري الثاني (١٠٠٢). كونراد الثاني (١٠٢٤) هنري الثالث (١٠٣٩) هنري الرابع (١٠٥٦).

هنري الخامس (١١٠٦) . لوطير الثاني (١١٢٥) . كونراد الثالث (١١٣٨) . فردريك الاول (١١٥٢) . هنري السادس (١١٩٠) أوطون الرابع (١٢٠٩) . فردريك الثاني « ١٢١٨ » كونرادالرابع « ١٢٥٠ » . كونرادين « ١٢٥٤و١٢٦٨ » : من ملوك الصقليتين: روجر الاول « ١١٣٠ » . غليوم الاول « ١١٥٤ » . غليوم الثاني « ١١٦٦ » تنكريد « ١١٨٩ — ١١٩٤ » تغييرات الاراضي في عهد أوطون الاول وقفت حدود ايطاليا عند بلدة بنيفان وكان جنوبها تابعا لليونان وسردانيا والصقليتان للعرب ثم هؤلاء النورمانديون في سائر الجزر فبلغت أطراف مملكة الصقليتين في عهدهم الي ابروز وانقسم باقي ايطاليا أقساما صغيرة كان أعظمها قسماً جمهورية بيشة « بيز » التي استولت منذ الجيل الحادي عشر علي جزيرتي قورسقه وسردانيا

النظامات ـ كان امبراطرة المانيا الذين حكموا ايطاليا بلقب ملوك الرومانيين يتوجون أنفسهم في رومية علي يدي البابا ولكن لم يحكم البلاد حكما حقيقيا سوي البعض منهم وكان معظم اعتمادهم في أحكامهم وتوطيد سيادتهم ونفوذهم بوجه عام علي صغار الاشراف والطبقة العليا من رجال الاكليروس : أما البابا نفسه ومدائن الشمال المتحدة والنورمانديون الي عهد صيرورتهم أصحاب الصقليتين فكانوا خصوما لهم : وبينما كان أولئك الامبراطره يواصلون الاجتهاد والجد لنشر أعلام نفوذهم وتملكهم علي ايطاليا حاولت مدينة رومية مرارا متعاقبة ان تسترد دستورها القديم ونظامها السابق

الحوادث الكبري ـ هزيمة أوطون الثاني امام العرب « ٨٩٢ » . حكم كرسانتيوس في رومية « ٩٨٥ و ٩٩٨ » . حملة هنري الثاني في بوي وضد نا بلي « ١٠٢٢ » اقامة الدستور فى باني « ١٠٣٧ » تنصيب روبرت جسكار فى بوي « ١٠٣٨ » . انتصار النورمانديين فى بنيفان « ١٠٥٣ » أمر لاتران بشأن انتخاب البابوات « ١٠٥٩ » هنري الرابع فى كانوسة « ١٠٧٧ » . احتلاله رومية « ١٠٨٣ » حملة هنرى الخامس في ايطاليا « ١١٢٠ و ١١٢٤ » تشكيل الدولة النورماندية فى الصقليتين « ١١٢١ » تأسيس أرنوبرشيا جمهورية رومية (١١٤٣) . اسقاط فردريك بربروس هذه الجمهورية « ١١٥٤ » . واشهاره حقوق الامبراطور فى رونكاليا « ١١٥٨ » . تدمير مدينة ميلان « ١١٦٢ » . تأليف العصابة اللومباردية « ١١٦٧ » هزيمة فردريك فى لنيانو « ١١٧٦ » معاهدة سلم كونستانس « ١١٨٣ » . استيلاء هنرى السادس على الصقليتين « ١١٩٤ » انتصار فردريك الثاني فى كارتنوفا « ١٢٣٧ » . هزيمة فى فتوريا « ١٢٤٨ » . هزيمة كوتردان فى تلياكوزو « ١٢٦٨ »

المدنية — كان القانون الرومني يدرس فى الجيل الحادي عشر بوسطة ابوقان خصوصا فى بولونيا التى كان يوجد بها ١٠٠٠٠ طالب لذلك العلم وكان الالمانيون لاسيما فردريك بربروس يرغبون فى تطبيق ذلك القانون والعمل به بينما البابوات يذهبون الي وضع قانون غيره

ولهذا اشتهرت مدة حكم الالمانين فى رومية بانها كانت السبب فى ازدياد نفوذ البابوية : وفى ذلك العهد بدأت الحروب الصليبية فكانت سببا فى تكوين المدائن البحرية الكبري مثل البندقية وجنوة والتين وسعتادائرة تجارتهما مع الشرق : وفي جنوب ايطاليا الذى أدخل النورمانديون فيه أصول المدينة الفرنسوية لذلك العهد اهتم الناس بمدارسة العلوم وكان علم التنجيم أكثرها حظامن اقبال الناس على البحث فيه

﴿ الدور الخامس : استقلال ايطاليا « ١٢٦٨ و ١٤٥٣ » ﴾

الاسرات الملوكية — شارل الاول دانجو ملك الصقليتين « ١٢٦٦ — ١٢٨٢ » : أسرة انجوفى نابولي : شارل الاول السالف الذكر « ١٢٨٢ » : شارل الثاني « ١٢٨٥ » : روبرت « ١٣٠٩ » : حنة الاولي « ١٣٤٣ — ١٣٨٣ » شارل الثالث (١٣٨٢) . لاديسلاس (١٣٨٦) حنة الثانية (١٤١٤ — ١٤٣٥) : أسرة اراجوان فى صقلية : بطرس الاول « ١٢٨٢ — ١٢٨٥ » : فردريك الاول (١٢٩٦ — ١٣٣٧) : ماري (١٣٧٧ — ١٤٠٢) : الفونس الاول (١٤١٦ — ١٤٣٥) : الفونس الثاني ملك الصقليتين (١٤٣٥ — ١٤٥٨)

تغيرات الاراضي — ظهرت أسرة سافوا فى شمال ايطاليا وفي مقاطعة لومبارديا جملة جمهوريات مستقلة اما ميلان فاختص بها الفيسكونتى وتلاهم الافراد المعروفون باسم سفورزا الذين أنشأوا بها حكومة قوية كالتى أقامها المديسيون فى فلورنسة وامتد نطاق جمهورية جنوة فأطفأت بهجة جمهورية بيشة وظهر شأن جمهورية البندقية على سواحل بحر الادرياتيك

شرقا وغربا : اما جنوب ايطاليا نقد وقع في مبدأ الامر تحت حكم اسرة انجو التي لم تلبث ان تنازلت عن جزيرة صقلية لحكومة اراغون وظلت حكومة البابا على حالها بلا تغيير

النظامات — كانت تجزئة البلاد وتقسيمها على المثال السابق مقرونين باختلاف النظامات وتغيرها من القرن الحادي عشر الي القرن الخامس عشر حدثت في مدائن ايطاليا ٧٠٠٠ ثورة وفى آخريات القرن الثالث عشر بدأ النزاع بين الفنون الرشيدة والفنون القاصرة أى بين التجارة والصناعة ثم انتهى بتعيين أمير أجنبي أو باستيلاء مستبد ولم تحفظ دستورها من بلاد ايطاليا سوى الجمهوريات التجارية فقد لبثت فلورنسة خاضعة لسلطة متموليها وصيارفها المديسيين وبقيت جنوة والبندقية خاضعتين لحاكمهما المسمي بالدوج ولكن كان لكل منهما مجلس يسمي في جنوة بالمجلس الاعظم وفي البندقية بمجلس العشرة ثم لم تلبث هذه المدن الثلاث ان حاربت بعضها البعض بجنودها المحكمة التي كانت تدعى (الكوندوتيري)

الحوادث الكبرى — هزيمة البيشيين فى واقعة ميلوريا (١٢٨٤) أسر بابلونيا (١٣٠٩_١٣٧٨). هنري السابع في ايطاليا «١٣٠٨_١٣١٣» حملة لويس الخامس (١٣٢٨ — ١٣٣٠) : شارل الرابع فى ايطاليا (١٣٥٥ — ١٣٦٨) : الانشقاق الاكبر (١٣٧٨ — ١٤٤٩) انشاء دوقية ميلان (١٣٨٦). ودوقية سافوا (١٤١٦) . مجامع بيشة (١٣٠٩) وفراره (١٤٣٨) وفلورنسة (١٤٣٩) حكم كوسم

دى ميديتي في فلورنسة (١٤٢٩) وفرانسوا سفورزا في ميلان «١٤٥٠»

المدينة — اتسع باستقلال ايطاليا نطاق ثروتها فقد أنشئت الترع لجر المياه الى مقاطعتي توسكان ولومبارديا حيث تمت الزراعة: أما ميلان وفيرونه وفلورنسة وسينية فقد أصبحت زاهرة بصناعة الصوف وجنوة والبندقية بالتجارة في البحر الابيض المتوسط فكان تجارها يجلبون من الاسكندريه سلع الهند وحرير الصين وأنسجة دمشق ومن البحر الاسود وآسيا الصغرى أصناف السكر فصارت ايطاليا بهذه النهضة مستودعا لتجارة أروبا ومستقرا لماليتها ولاجرم ففي مدائنها أنشئت المصارف بفروع لها في سائر أرجاء البلاد المسيحية قامت بترويج النقود الايطالية كالفلورينو المضروب في فلورنسة والدوكا المضروب في جنوة أو البندقية وفي آخريات القرن الثالث عشر أضاف القديس توماس دا كان الى العلوم الدينية دراسة فلسفة ارسطاطاليس وارتقت الآداب الايطالية بنبوغ الشعراء مثل دانت وبترارك والناثرين مثل بوكاس واتقنت الفنون بابداع الحفارين مثل جابرتي ودوناتلو والمصورين بالالوان مثل سيمابويه ومزانشيو وجيوتو الذين كانوا جميعا يتنافسون في تمثيل الصورة البشرية علي أتقن وجه وفي أحسن تقويم

﴿ الدور السادس: دور النهضة وحروب ايطاليا ﴾

(١٤٥٣ — ١٥٥٩)

الأسرات الملوكية — مملكة نابلي: فرديناند الاول (١٤٥٨—١٤٩٤):

فرديناند الثالث (١٥٠٤) : شارل الاول (١٥١٦) : فليب الاول : (١١٥٦) الميلانيون : فرنسو سفورزا (١٤٥٠ — ١٤٦٦) . جان جالياس (١٤٧٦) : لودوفيك العربي (١٤٩٤) : لويس الثاني عشر الفرنسوي (١٥٠٠) : مكسيمليان دوتريش (١٥١٢) : فرنسو الاول الفرنسوى (١٥١٥): فرانسوا ماري سفورزا (١٥٢١ — ١٥٣٥)

تغيرات الاراضي — كان الفرنسويون قد فتحوا مملكة نابلي ثم قسموها بينهم وبين ميرأراغون ولكن اسبانيا بقيت مستقلة بالصقليتين اللتين صارتا فيما بعد من أملاك شارلكان : وقد حصل مثل هذا بالنسبة لمقاطعة ميلان فان ملوك فرنسا اغتصبوها من أيدى حكامها الدوقات ثم انتقلت منهم الى النمسا : وبينما كانت شبه جزيرة ايطاليا أقساما موزعة بهذه الكيفية علي الاجانب قويت شوكة البندقية وعلا نجمها حتي انها أخذت من العثمانيين جزيرتي كريد وقبرص

النظامات — في آخر القرون الوسطي لم يكن يوجد بايطاليا مجالس للحكومة الافى الاصقاع المنظمة منها كمملكة نابلى ودوقية سافوا وفي هذا العهد رسخت أقدام الاستبداد فى المدائن وقويت سلطة الاستعباد التى سوءها ما كيافل فى كتابه (الامير) وتبدلت الاحوال بالسوء على أثر تداخل البرابرة وثار ثائر الحرب بين الجنود المجكمة والفرنسويين فاجلى القتال الطويل بين الفريقين عن السياسة الدولية وكان من نتائج ظهورها ان عززت البندقية جانبها وجد شارلكان فى تنظيم أملاكه

الجديدة ولم يبق أثر للنظام والدستور الا في رومية وهب البابا نولس الثالث لمحاربة المذهب البروتستانتي فاعاد هيئة التفتيش وجعل مقرها رومية حيث أقام لها مجالس عليا (١٥٤٢)

الحوادث الكبرى — محالفة لودي ضد العثمانيين (١٤٥٤). محاربة حنادي كلابرلفرديان الاول (١٤٥٤—١٥٠٤). نبوات سافونارول في فلورنسا (١٤٨٨ — ١٤٩٨) . حملة شارل الثامن في ايطاليا (١٤٩٤ — ١٤٩٦) . هزيمة رجالاو (١٤٩٤) : وسان جرمانو (١٤٩٥) : عصابة البندقية وهزيمة فورونو (١٤٩٥) فتح لويس الثاني عشر لمقاطعة ميلان (١٤٩٩ — ١٥٠٠) فتح واقتسام مملكة نابلي (١٥٠٠) هزيمة الفرنسويين في سرنيول وجارليانو (١٥٠٣) هزيمة البنادقة في انيادل (١٥٠٩) العصابة المقدسة (١٥١١) . هزيمة مارينان (١٥١٥) الانتصار في بيكوك (١٥٢٢) وميلان (١٥٢٥) نهب رومية بواسطة الكونيتابل دي بوربون (١٥٢٧) احتلال الفرنسويين لبيمون (١٥٣٦ — ١٥٣٧) سقوط مدينة سيينة (١٥٥٥) . معاهدة شاتوكمبرزيس (١٥٥٩)

المدنية — في هذا الدور الذي كان كله اضطرابات وحروبا تفتقت اكمام أزهار العقول لانصرافها عقب توارد علماء اليونان على ايطاليا بسبب استيلاء العثمانيين علي القسطنطينية الى استطلاع علوم الاقدمين وطابق ذلك اختراع المطبعة فكانت خير وسيلة لانتشار هذه العلوم

وانبثاثها في ايطاليا : وقد نبغ بها في الآداب أثناء ذلك الدور أمثال ما كيافل ولوتاس وأريوست ولكنها امتازت على الخصوص بالماهرين في التصوير مثل ميكل انج بفلورنسة وليونارد في فنسي اللومباردي ورفائيل الروماني وتيسيان وفيرونيز وتنتوره البنادقة وكاراش البولوني : ومهر في النقش دوناتلو وميكل انج وفي هندسة العمارات بروتلليشي (كاتدرائية فلورنسية) وبرامانت وميكل انج (كاتدرائية ماربطرس في رومية) وفي الصياغة بنفنوتو سليني : ومع هذا فقد اضمحلت ثروة ايطاليا المادية بما اكتشفت من الاقطار البعيدة التي حولت عنها شطرا كبيرا من تجارتها وصار الامر في النهاية الى اضمحلال ايطاليا اضمحلالا تاما على أثر الحروب التي دامت فيها نصف قرن وتحكم الاجانب فيها زمنا طويلا

﴿ الدور السابع — بيت النمسا والبربون في ايطاليا ﴾

(١٥٥٩ — ١٧٩٢)

الاسرات المالكة — مملكة نابلي : فليب الثاني (١٥٩٨) : فليب الثالث (١٦٢٣) . شارل الثاني (١٦٦٥) . فليب الرابع (١٧٠٠) شارل الثالث (١٧٠٧) . شارل الرابع (١٧٣٥) فرديناند الرابع (١٧٥٩) . دوقات سافوا أمانويل فليبير (١١٥٣) . شارل امانويل الاكبر (١٥٨٠ — ١٦٣٠) . شارل امانويل الثاني (١٦٤٨) فكتور اميدية الثاني (١٦٧٥) : ملوك سردانيا فكتور اميدية الاول (١٧٢٠) شارل امانويل الاول (١٧٣٠) . فكتور اميدية الثاني (١٧٧٣)

تغيرات الاراضي — بقيت — شوكة الاسبانيين كما كانت الي أوائل القرن الثامن عشر الذي فيه انتقلت بعد معاهدة سلم أوترخت الي النمسا مملكة نابلي ومقاطعة ميلان وجزيرة سردانية والي بيمون التي كان قد اتسع نطاقها شمالا مملكة صقلية وعلي أثر ذلك ألفت أسرة هابسبورغ مملكة الصقليتين اذ قايضت علي سردانية بصقلية ومقاطعة بيمون ولكن لم تلبث أسرة بوربون الاسبانية ان وطدت قدمها في بارم وبليزنس ومملكة نابلي

النظامات بينا لم يكن لمدينة ميلان سوى حاكم كغيره من الحكام كان لمملكة نابلي وال معين من قبل اسبانيا ولصقلية مجلس اتحادي وللشمال الدوق دي سافوا الذي أخذ يستولي على مقاطعة ميلان قليلا قليلا استعدادا للتملك عليها حتى شبهه بمن يأكل الخرشوفة ورقة فورقة على ان فاتحة القرن الثامن عشر كانت لقسم من ايطاليا عنوانا علي نهضة جديدة فان شارل الثالث البربوني ألف في صقلية باشارة من وزيره تانولتي مجلسا وطنيا وسن قانونا خاصا ليخرج به من ظلمات قوانين نابلي المتضاربة المتناقضة لكثرتها؛ وعهد بالفرنسوى دوتيو عمل الاصلاحات في دوقيتي بارم وبليزنس وسن بواسطة بعض الفلاسفة الفرنسويين قانونا باللغة التوسكانية ونشر شارل امانويل الثالث ملك سردانية القانون المعروف باسم كوديكس كاروليوس وانحدرت في تيار هذه النهضة مقاطعة ميلان النمسوية وأملاك البابا ولم يكن لجنوة والبندقية نصيب منها

الحوادث الكبرى — لقب كوسم دى ميديسى غرندوقا لتوسكانا

(١٥٦٩) : حصول دوق دي سافوا على مركيزية سالوس (١٦٠٠) مسألة فالتلين (١٦٢٠ — ١٦٢٥) حرب الوراثة (١٦٢٧ — ١٦٣١) ثورة مزانيللو (١٦٤٧) مسألة الحرس القورشقي (١٦٦٢) ضياع قنديا من يد البنادقة (١٦٦٩) ثورة مسينة (١٦٧٤ — ١٦٧٨) مسألة كازال (١٦٧٩ — ١٦٨١) ضرب جنوة بالقنابل (١٦٨٤) ضرب عصابة أوجسبورج وهزيمة ستافارد (١٦٩٠) ومرساي (١٦٩٣) معاهدة تورين (١٦٩٦) حرب وراثة اسبانيا وانتصارات كارفي (١٧٠١) وكريمون (١٧٠٢) وتورين (١٧٠٦) معاهدتا أوترخت ورستاد (١٧١٣ — ١٧١٤) دسائس اليروني (١٧١٧ — ١٧٢٠): انشاء مملكة سردانيه ومعاهدات فينا (١٧٣١ — ١٧٣٨) واكس لاشابل (١٧٤٨) التنازل عن قورسقه لفرنسا (١٧٩٩) الغاء الجزويت (١٧٧٣)

﴿ الدور الثامن : ايطاليا في أيام الثورة الفرنسوية ﴾

(١٧٩٢ — ١٨١٥)

الاسرات الحاكمة — ملوك سردانية شارل امانويل الثاني (١٧٩٦) فكتور أمانويل الاول (١٨٠٢) : أوجين دي بوهارنيه والي بيمون (١٨٠٥) : ملوك نابلي : فرديناند الرابع (١٧٥٩ — ١٨٠٥) جوزيف بونابرت (١٨٠٦) مورا (١٨٠٨)

تغيرات الاراضى — انشاءالفرنسويون جمهوريةالالب (١٨٩٨) وجعلوا بونابرت رئيسا عليها فى (١٨٠٢) وقد صارت فى (١٨٠٥) مملكة ضمت اليها فنيزيا (البندقية)واسترياودلماسيا أما بيمون فأصبحت مؤلفة من ست مقاطعات فرنسوية ضم اليها مقاطعتابارم وبلينرنس وادخل تعديل كبير علي مملكة نابلي حيث العيت فيها حكومة البابا من ١٨٠٨ الي ١٨١٠

النظامات — قسمت ايطاليا فى مدة سيادة نابوليون الي جملة ممالك (أترورياوايطاليا ونابلى) والحق جزء من أراضيها بفرنسا (مقاطعات ليمن والجبل الابيض والااب البحرية ودورياوأريدان وستورا وتارو ومرانجو وبارم) وصارت لدولة نابليون فى ايطاليا نفس الحدود تقريبا التي كانت لشارلمان فيها ولم تكن مملكة نابلي الاتابعة لهـا تدفع الجزية السنوية اليها ونفـذت فى أنحاء ايطاليا كلها القوانين والنظامات الادارية والقضائية الفرنسوية ولكن الامبراطور بونابرت أقطع للثمانيـة عشر من أكبر قواده الاقطاعات الكبيرة من أراضيها التزاما

الحوادث الكبري — خسـارة نيقه (نيس) وسافوا (١٧٩٢) معاهدة صلح شراسكو (١٧٩٦) . حروب بونابرت (لودي واركول وريفولي) ومعاهدة كامبوفورميو (١٧٩٧) . بزتيبه فى رومية وشامبيونيه فى نابلي (١٧٩٨) انكسارات الفرنسويين (١٧٩٩) : المرور من سان برنار وواقعة مرانجو (١٨٠٠) : معاهدة فلورنسـة (١٨٠١) :

نابليون ملك ايطاليا (١٨٠٥) انتصار كالدير ووعهدة برسبورغ (١٨٠٥) : احتلال رومية (١٨٠٨) : الخلاف بين أوجين ومورا ونابليون فى جزيرة الالب (١٨١٤) معاهدات فيينا (١٨١٥)

المدنية — شام الايطاليون من خلال الثورة الفرنسوية بريق الاستقلال والحرية فلما استولى نابليون علي بلادهم وعمد الي اصلاح شؤونها تحسنت أحوال ايطاليا الشمالية وتوسكانا ورومية وارتقت فيها الزراعة والصناعة ولكن لم ينبغ في الآداب وصنع التماثيل الا العدد اليسير

﴿ الدور التاسع : ايطاليا الحديثة ﴾

(١٨١٥ — ١٩٠٠)

الاسرات الحاكمة — ملوك سردانية : فكتور امانويل الاول (١٨١٤) : شارل فيلكس (١٨٢١) ، شارل البرت (١٨٣١) : فكتور امانويل الثاني (١٨٤٩) : ملوك ايطاليا فكتورامانويل الثاني (١٨٦١) : همبرت الاول (١٨٧٨) : فكتور امانويل الثالث (١٩٠٠)

تغيرات الاراضي — فى ١٨١٥ أعيدت الى البابا وملك صقلية أملاكهما وصارت النمسا باتساع نطاقها شمالا صاحبة لومبارديا البندقية ثم استولت بيمون علي لورمبارديا بعد ان قهرت النمساويين بمساعدة الفرنساويين وأخذت أيضا مقاطعتى بوسكانا وامورويا ولكنها خسرت من جهة أخري مقاطعة سافوا وكونتية نيقه (نيس) علي انها لم تلبث ان استولت علي مقاطعة أومبريا فأصبح فكتور امانويل صاحب مملكة نابلي ملكا لايطاليا

ولم يبق له الا أن يضع يده على البندقية ويحتل رومية ليجمع ايطاليا كلها في قبضته ويوحدها نهائيا

النظامات — عدلت النظامات القديمة التي وضعها المتملكون السابقون فالغيت أولا المستحدثات الفرنسوية ومحيت آثار الادارة البونابرتية من كل مكان ولا سيما من رومية ولم تبق سوى مملكة نابلي حافظة للنظام الفرنسوي من الوجهتين الاجتماعية والادارية : وعقب ثورة ١٨٤٨ أنشئت في سردانيه مملكة دستورية أصبحت بعد زمن قليل القابضة بيدها على زمام البلاد الايطالية والدستور الحالي هو الذي وضع في تلك السنة ثم عدل لآخر مرة سنة ١٨٨٢ وبمقتضاه خولت السلطة لمجلسين أحدهما السناتو الذي يعين الملك أعضاؤه والثاني مجلس النواب الذي ينتخب أعضاؤه لمدة خمس سنوات بالاقتراع المحدود

الحوادث الكبرى — ثورة نابلي (١٨٢٠) : وبيمون (١٨٢١) : مؤتمر فيرونه (١٨٢٢) : ثورة ١٨٣٠ : ايطاليا الفتاة ومازيني والاضطراب في مودين (١٨٣١) : واحتلال أنكون (١٨٣٢) : محالفة بي التاسع مع مقاطعتي توسكانا وبيمون (١٨٤٧) : الثورة في صقلية وميلان (١٨٤٨) حرب بيمون وهزيمة كوستوزا (١٨٤٨) ونوفار (١٨٤٠) في الحرب مع النمسويين مداخله بيمون في حرب القرم (١٨٥٤) كافور في مؤتمر باريس (١٨٥٦) حرب ايطاليا ضد النمسا وانتصارات مونتبللو وبالسترو وماجنتا وسلفرينو وعهدة زوريخ (١٨٥٩) حملة الالف

(١٨٦٠) انتصار كاستافيداردو والاستيلاء على اجاييت (١٨٦١) :
هزيمة غاريبلدى فى شبرومونت (١٨٦٢) : السلابوس (١٨٦٤) :
الهزيمة فى كوستوزا وليسا (١٨٦٦) : احتلال رومية (١٨٧٠) :
قانون الكفالة (١٨٧٢) : ايطاليا والمحالفة الثلاثية (١٨٨٨) استعمار
مصوع (١٨٨٧) : استعمار الارثرة وحرب الحبشة (١٨٩٦—١٨٩٧)

المدنية — ممن نبغوا في الآداب الايطالية أثناء الشطر الاول من القرن التاسع عشر فوسكولو ومانزوني وسلفيو بالليكو وليوناردى وفى الشطر الثاني كاردوتشي وفرجا ونوجازارو ادمونداميسي ودانونزيو وهؤلاء لا يزالون من المعاصرين والمؤرخ كانتو والاثرى روسي هذا عدا النابغين فى العلوم الطبيعية وعلوم الجرائم مثل لومبروزو : هذا من جهة العلوم والآداب: أما من جهة الثروة المادية فلا تزال ضيقة النطاق على ان انشاء نفق جبل سنيس ونفق جبل جوتار قد جعل ايطاليا الشمالية من أهم نقط المواصلات فى أوربا هذا فضلا عن اتساع نطاق الحركة التجارية فى ميناء جنوه خصوصاً بعد ان تم انشاء نفق سمبلون وتجاهد ايطاليا الآن فى سبيل تقوية بحريتها الحربية وامتلاك المستعمرات ولقد حبطت آمالها هذه فى أفريقية ولكنها حققت منها بعض الشيء بمنافستها التجارية الدول الاخرى

السفر الي ايطاليا

ركبنا احدى البواخر الايطالية القاصدة الثغور الشرقية لايطاليا التى ببحر الادرياتيك وكان ركوبنا فى أول شهر يوليو سنة ٩٠٦ فوصلنا ثغر برنديزى بعد سفر اثنين وسبعين ساعة كان فيها البحر هادئا وذلك الثغر هو بلدة صغيرة بها حصن قديم عند المدخل وبها كثير من السفن ودار للحكومة وللبوستة ومحلات للجمرك وقد نزلنا لزيارة المدينة فالفيناها قرية بها بعض الشوارع والمنازل الصغيرة ولولم تكن أقرب ثغر لنقل البوستة من أوروبا الي الشرق لما كانت بها حركة تذكر ومما ألفت نظرنا اننا وجدنا أكثر العملة هناك حفاة الاقدام جالسين بجوانب الشوارع يتناولون الطعام كما يفعل أكثر العمال بمصر مما يدل على شدة فقرهم كما وجدنا أكثر ملابسهم قديمة وموصلة بعدة وصلات مما يدل على ان أجرة العمل هناك زهيدة ووجدنا هناك كثيرا من الالبانيين بملابسهم المزركشة وأسلحتهم التي يحملونها فى أحزمتهم وهم يأتون الى ذلك الثغر بمراكبهم الشراعية للاتجار ونقل ما يرغبون من التجارة الاوروبية لبيعها

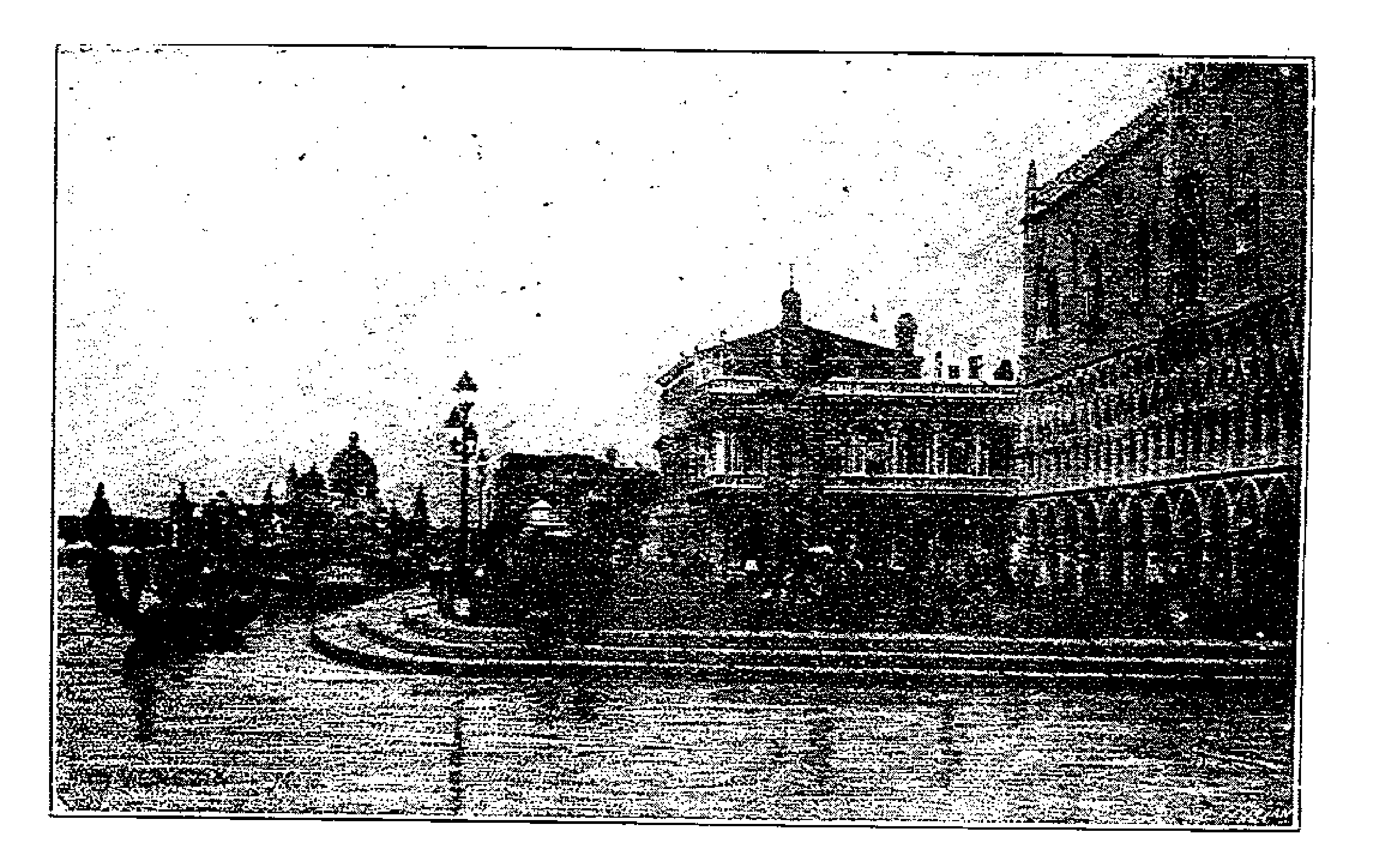
ببلادهم وقد وجدنا كثيراً من الايطاليين يركبون الزوارق ومعهم آلات الموسيقى يشنفون بها اسماع السائحين وبينهم الراقصات يرقصن استجلابا لحسنات ركاب البواخر وقد ركبنا زورقا وذهبنا حتى آخر البوغاز تجاه الحصن القديم ثم سارت الباخرة بعد ذلك قاصدة ثغر بارى الذى وجدنا أرصفة الميناء به كبيرة ومنظمة تنظيما بديعا ووجدنا به الكثير من السفن والبواخر ونزلنا الى المدينة وركبنا عربة واخترقنا شوارعها فوجدنا أكثر مبانيها مبنيا على الطراز الحديث وجميع شوارعها مستقيمة ومتقاطعة مما ألفت نظرنا كثيرا وقد وجدنا بها كثيراً من المعامل لعمل الزيت والاسمنت وأكثر المصنوعات الدقيقة وعدنا الى الباخرة التي سارت قاصدة ثغر انكونا وقد وجدنا الميناء جميلة ذات أرصفة كبيرة وبها الكثير من السفن والبواخر كما بها الكثير من الزوارق التى يشتغل أصحابها على آلات الموسيقى ويرقصون كما فى بارى وبرندزى وقد وجدنا كثيراً من الاطفال الذين يلقون بأنفسهم الى البحر. من علو شاهق لالتقاط الدراهم التى يلقيها السائحون فى البحر ويبدون

من الخفة والنشاط والغوص فى الماء ما يعجب منه ركاب البواخر الذين يكثرون من رمي النقود ليشاهدوا الفائز منهم في التقاطها وهنالك ترى الاطفال يندفعون اندفاعا عظيما لالتقاطها ويغوصون فى الماء كما تفعل الاسماك وعندها يخرج السابق فى التقاطها والنقود بين ناجزيه مشيرا الى السائحين ولسان حاله يقول (ارموا النقود فأنى لها بالمرصاد) وغير ذلك من الاحوال التى تسر السائح وتزيل عنه هموم السفر وجميع الثغور الايطانية بها الكثير من ذلك لان قوانين تلك البلاد لا تحرم السباحة بالثغور والموانى كما تفعل بعض البلاد الاخرى

وقد نزلنا الى المدينة وجبنا شوارعها الجميلة وجميع مبانيها حديثة وكل شوارعها مستقيمة ومتقاطعة كما يرى فى مدينة بارى وبها الكثير من المصانع والمعامل وبها محلات التجارة ذات حركة عظيمة وأهلها حسني الهندام وخصوصا ملابس الضباط الجميلة ومن النوادر اللذيذة انه قبل نزولنا الي البر جاءنى صاحبي الچركسى لابسا ملابس بيضاء وأخبرني أنه يريد أن يأتى بعمل يندهش له الركاب فسألته عنه فاخبرنى انه يريد ان يجلس

على الحاجز الاعلى لسطح الباخرة بجانب الركاب القائمين بمشاهدة السابحين وعندها يلقى بنفسه الى البحر كأنه سقط من الباخرة فينزعج الركاب وتذهب البحارة لنجاته ويغوص بضع دقائق بالماء ثم يعود ويظهر على سطح الماء فمانعته في ذلك خاشيا ان يغرق ولكنه صمم على ذلك وقال كن مطمئنا عليّ لاني أعلم السباحة جيداً ولي فيها فنون وقد تعلمتها بمدارس انكلترا البحرية فلما لم أقو على ممانعته تركته وذهبت بعيداً أراقبه وجلس فوق الحاجز بجانب الركاب ولم نشعر الا وقد سقط الى البحر وغاص في الماء فانزعج الركاب ونادوا البحارة لتخليصه ونجاته وصعد من بالعنابر الى سطح الباخرة لمشاهدة ذلك الغريق الساقط من الباخرة الى البحر وماكاد البحارة يلقوا بأنفسهم الي الماء حتى ظهر صاحبنا الچركسي على سطح الماء وكأنه نائم على سريره بكل هدوء وطمأنينة وأشار الى البحارة والركاب بأن لا خوف عليه حيث أنه في صحة تامة فابتسمت عند ذلك وسر الركاب سروراً عظيما وظل صاحبنا سابحا مايزيد عن ساعة ونصف أتى

في خلالها من فنون السباحة ما أدهش الجميع بما فيهم البحارة وصعد بعد ذلك الى الباخرة لتغيير ملابسه فكان يقابله الركاب والبحارة بكل بشاشة واعجاب مما رأوه من ضروب السباحة ولما صعد على سطح الباخرة التف القوم حوله متسابقين لمصافحته معجبين به كل الاعجاب وقد نادوا له مراراً بنداء الاعجاب (براڤو) وكان مرمى انظار الجميع حتى عندما خرجنا الى المدينة وجبنا في شوارعها كان كل من يقابلنا من ركاب الباخرة يأتي لمصافحته اعجاباً به وقد جلسنا قليلاً بقهوات المدينة وعدنا حيث أقلعت الباخرة قاصدة مدينة البندقية التي وصلناها في اليوم السابع من ابحارنا من الاسكندرية ورست الباخرة وسط القنال الكبير الملتفة حوله المدينة وأتى عمال الجمرك وصعدوا الى الباخرة وفتشوا العفش وأذنوا للركاب بالنزول وعندها ركبنا أحد الزوارق ووصلنا الى الرصيف وقصدنا فندق (اوروبا) ولما صعدنا اليه وجدناه مفروشاً بأحسن الرياش ومديره وجميع خدمه من الالمان وبعدها نزلنا ننظر المدينة نظرة تامة فوجدناها مشيدة على بعض الجزر الصغيرة وسط البحر والمياه تتخلل شوارعها كما ان مبانيها قد بلغت من الفخامة



البندقيه (فينيزيا) ـ (١٣٠)



وحسن الرونق مايقصر اليراع عن ذكره حيث ان جميع
واجهاتها ونوافذها مصنوعة من الرمر الابيض وبها بعض
المنازل المصنوعة من البللور الملون ومقامة على أعمدة من الحديد
والنحاس الاصفر ومقام امام المنازل الارصفة الحجرية المتينة
المركب بها الجسور الحديدية الموصلة بين الارصفة وبعضها وان
تلك المدينة عبارة عن كردسة من القصور والسرايات مبنية
على أوتاد وسط كثير من المستنقعات الواصل اليها مياه البحر حيث
يخترق جميع شوارعها التى هى عبارة عن قنالات وقد حلت بها
الزوارق محل العربات لانه لا يوجد بها عربات ولا حيوانات
للجر وبها القنال الكبير وهو متسع حيث ترسو البواخر بأوله
وبها كثير من المعامل المخصصة لصنع الزوارق والقوارب
وزوارقها لها شكل خاص بها حيث تجدها خفيفة جداً ومرتفعة
من مقدمها ومؤخرها ولا يمس الماء منها الا مقدار الثلث
الكائن بأواسطها وهى مصنوعة من الاخشاب المتينة الثمينة
ومفروشة بأحسن الرياش الحريرية بحلقاتها المصنوعة من النحاس
الاصفر ولكنها لا تحمل سوى راكبين أو ثلاثة وتسمى (جندولا)

وتوجد هناك كثير من الزوارق التي تسيرها آلات ميكانيكية صغيرة موضوعة وسطها وتسير بسرعة زائدة وبها الكثير من المعامل والمصانع لصنع الاشياء الحريرية الدقيقة ولصنع الاواني الزجاجية والبلورية والخزفية ويوجد بمعاملها آلاف من العملة والعاملات اللائي لهن أزياء خاصة تميزهن عن جميع سكان المدن الاخرى لانهن يسرحن شعورهن ويقفنه بهيئة خاصة قلما يعلمها غيرهن ويضعن بعضا من الاردية السوداء الطويلة على ظهورهن بحيث تمتد وتغطى أيديهن وتصل أطرافها قريبا من أقدامهن ويشبه ذلك الأزار التي تلبسه الشرقيات لولا ان رؤوسهن ووجوههن مكشوفات

وترى الارصفة غاصة بهن أوقات الفراغ عند الظهر وعند الساعة السابعة مساء حيث ينصرفن من المعامل الى منازلهن وخصوصا الرصيف الكبير المتسع الكائن امام الفنادق الكبرى والقهوات التي عبدأ القنال الكبير

ويوجد قريبا من القنال الكبير ساحة كبرى تدعى ساحة (سان ماركو) وهي ميدان فسيح مفروش بالرخام

الابيض مربع الاضلاع محيطة به الابنية الفخيمة المرتفعة بوجهاتها ونوافذها المصنوعة من المرمر وباسفلها توجد القهوات العمومية ومحلات التجارة والاشياء الثمينة ومحلات الجواهرجية وباحدى جوانبه توجد كنيسة كبيرة ويوجد بتلك الساحة اسراب الحمام أشبه بما يوجد بجامع بايزيد بالاستانة يقبل اليه السائحون ويشترون له من الحبوب التي مع الباعة فيركز على رؤوسهم وأكتافهم لالتقاطها من أيديهم بكل طمأنينة

وتوجد بتلك المدينة جزيرة كبيرة الى جهة البحر بأول مدخل القنال الكبير بها الكثير من الحدائق الجميلة والفنادق الكبيرة والمتنزهات المتسعة التي يقصدها السائحون بكثرة ويوجد بها حمام بحري كبير يقبل اليه السائحون من أهالى أوروبا الشمالية وأواسطها وقد وجدنا به كثيراً من الاميركان والانكليز والالمان لان مياه ذلك الحمام فاترة بخلاف مياه الابحر الشمالية البالغة من البرودة مبلغا عظيما

وعلى كل فان بتلك الجزيرة من الشوارع المتسعة والحدائق الكبيرة والمنازل والفنادق المنظمة تنظيما بديعاً ما يسر له السائح

وتسمى (جزيرة ليدو) وهى جزء من تلك المدينة العظيمة التى كانت فى الزمن السابق مسكنا لاشراف أوروبا وحكام البلاد ويسكنها الى الآن بعض اشراف العائلات الاوروبية وبينهم الطالبون بعروش بعض الممالك

وقد مكثنا بتلك المدينة يومين وجدنا فيها من رخاء المعيشة ورخص الاشياء ماجعلنا نأسف معه على تلك القصور الكبيرة والسرايات العظيمة الخالية من السكان حيث لم تكن معمورة الآن كما كانت فى أزمانها السالفة ولذا ترى جميع محلات السكنى بتلك المدينة رخيصة الأجرة للغاية

وذهبنا الى محطة السكة الحديد قاصدين مدينة ميلان لمشاهدة معرضها العام فوجدناها محطة عظيمة ومما ألفت نظرى على الاخص سير الساعات بتلك المحطة حيث كانت تسير من واحد الي أربعة وعشرين فيكون الظهر عند الساعة الثانية عشر ونصف الليل عند الساعة الرابعة والعشرين فسألت صاحبي عن ذلك فاخبرني بان ساعات ومواعيد طرق ايطاليا الحديدية وبعض أوروبا كذلك

وعندها اشتريت جدولا لمواعيد القطارات باوروبا فوجدت ذلك الاصطلاح في مواعيد القطارات بايطاليا ولكني وجدت صعوبة عظيمة في البحث في ذلك الجدول لكثرة الطرق الحديدية وتنوعها والطريقة المختصرة التي تحرر بها تلك الجداول حيث توضع أسماء المحطات تلي بعضها بشكل عمودي في وسط الصحيفة وتوضع أرقام المواعيد على الجانبين فمنها مايقرأ من أعلى الى أسفل وهو الكائن الى اليسار ويفيد بيان مواعيد القطارات التي تسافر من المحطة الموضوعة بالاعلى الى المحطة التي بالاسفل ومنها مايقرأ من الاسفل الى الاعلى وهو الذي الى اليمين ويفيد العكس

وركبنا القطار عند الساعة الحادية عشر فوصلنا ميلان الساعة السابعة عشر أعني الخامسة بعد الظهر وقد سار فوق جسر طويل من الخشب والحديد عند خروجه من مدينة البندقية مايزيد عن عشر دقائق مما يظهر معه ان تلك المدينة ضاربة الى أواسط البحر

وكان الطريق الى جانبي القطار غاص بالمنازل والحدائق

الفناء التي بها أشجار الفواكه والكروم وماهو خليق بتلك المنطقة الخصبة ذات الأثمار الوافرة والمغروسات البهية المسماة حديقة أوروبا وكان النظر يقع دائماً على منازل متفرقة مشيدة على جانبي الطريق مما يخيل معه للناظر أن ذلك مدينة واحدة ممتدة على الطريق الحديدية من الجانبين الى ميلان وكنا نجد عند كل كيلو متراجوسقا جميلا حوله المنازل والحدائق وبه رقم الكيلومتر الواقع به وما زلنا نمر ببعض المحطات التي كان يقف بها القطار حتي وصلنا مدينة ميلان

ميلان

ذهبنا الى فندق كان ينزل به صاحبي عند حضوره الى تلك المدينة ولكنا لم نجد به محلات خالية فسرنا نبحث على الفنادق الاخرى حتى نزلنا بفندق مجاور لساحة الكنيسة (جران دوما) وقد وجدنا المدينة في حركة عظيمة وجميع شوارعها مفروشة بالاسفلت والحجر الكبير كما يشاهد بالاسكندرية ولكن شوارعها متسعة ومبانيها أفخم كثيراً ويبلغ سكانها عدد سكان القاهرة .

ويتوسطها شارع كبير يسمى فكتور عمانويل ويليه شارع آخر يدعي باسم البندقية ويتصل بالحديقة العمومية وبها الكثير من أشجار التوت والمانيلا

وبها عمارة كبيرة تدعى باسم (فكتور عمانويل) مفروشة بالرخام الناصع البياض يخترقها بعض الشوارع والي جوانبها المباني الفخيمة ذات السبع طبقات التي يبلغ ارتفاعها تسعين متراً وتتوسطها قبة بللورية عظيمة يبلغ ارتفاعها ١٨٠ متراً وبأسفلها توجد القهوات العمومية ومحلات لبيع الاشياء الثمينة والمجوهرات .

وقريبا منها يوجد مرسح (اسكالا) وهو من أكبر مراسح ايطاليا الشهيرة بملاعبها المتسعة وأجواقها العديدة ويسع ذلك المرسح ما يزيد عن أربعة آلاف من المتفرجين

وبالمدينة دار كبيرة للآثار بها التماثيل والنقوش الدقيقة والاوعية والاشياء القديمة وبها الكثير من الملاعب والمراسح وأما كنيستها الكبيرة (جراندوما) فحدث عنها ولا حرج لأنها عظيمة الضخامة ذات بناء متين وبرج هائل كبير

ومنظرها من الخارج والداخل من أبهى المناظر الصناعية في العالم .

☼(معرض ميلان العام)☼

ولما كان المعرض موجودا بضواحى المدينة وكانت بعض أجزائه بعيدة عن الاخرى حتى أوصلوها بترام قد اختصر الطريق حيث نصب جسر طويل من الخشب والحديد مقام على عمد حديدية وجعل ذلك الجسر بأعلى المنازل والشوارع يسير عليه الترام بحيث لا تعوقه الشوارع والابنية التي بالطريق ولا يختلط ركابه بمن هم خارج المعرض

وكنت الى ذلك الوقت لم أشاهد احدى المعارض الاوروبية الكبرى فذهبت مع صديقي الجركسى الي المعرض التى كانت أبوابه غاصة بالزائرين من جميع الاجناس فدفع كل منا فرنكا رسم الدخول ودخلنا بعد مالاقينا من صعوبة الزحام وسرنا بين قصوره وأقسامه البديعة وقد شاهدنا من دقائق الصناعة اليابانية الذى كان القوم يقبل اقبالا عظيما على مشاهدة تلك

المصنوعات بعد أن حطت الحرب اليابانية الروسية أوزارها فكان اليابانيون واليابانيات الموجودون بالمعرض مرمي انظار الجميع وموضع افتخارهم لما أحرزوه من النصر الباهر كما كانت هيئتهم الشرقية ووجوههم الصفراء المربعة وقامتهم القصيرة وشعورهم السوداء التي لا يراها الا المتمكنون بالشرق من الاوروبيين وبعض سكان المدن الكبرى الموجود بمدارسها وكلياتها أبناء هؤلاء الشرقيين من المناظر الغريبة لدى الزائرين

وكان يبلغ مساحة المعرض مايزيد عن ١٣٠٠٠ مترا عليها القصور المشيدة المصنوع وجهاتها من المرمر وبها التماثيل العديدة .

وقد مررنا مارين بين المعروضات الفخيمة والاشياء العظيمة التي عرضتها الدول الكبرى التي بلغت شأواً عظيما في الصناعة والاختراع وكل منهن قد انتقت أحسن ما لديها لعرضه فكانت معروضات ألمانيا وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة وانكلترا وسويسرا مرمى أنظار الجميع وقد فاقت معروضات المانيا معروضات باقي الدول في الضخامة والاتقان

خصوصا في الاسلحة والمدافع اذ كان من ضمن معروضاتها مدفعان يزيد طول كل منهما عن عشرين مترا وكان ضمن المعروضات باخرة حربية يصعد الناس على درج لمشاهدتها وكانت تشغل جزءا عظيما من الارض التي نصبت عليها حيث يزيد علوها عن المائة متر وكان يدخل المتفرجون الى غرفها وعنابرها ومحال آلاتها

وليتصور الانسان مقدار ماتكبده عارضوها من النفقات الطائلة في احضارها وكان ضمن المعروضات آلات التلغراف ماركوني اللاسلكي وكذلك آلات ثقب الانفاق حيث أعدت جبلاية صناعية بها من الداخل بعض العربات فوق أقضبة من الحديد تجرها القاطرات الصغيرة لنقل الاحجار وفتات الاحجار المتساقط من النفق ونقلها الى خارج النفق كما يوجد داخله آلات كبيرة ضخمة تدفع المياه من فوهاتها بقوة عظيمة وتسلط نحو الصخور والاحجار المطلوب ازالتها بالنفق وعندها ترى الاحجار الصخرية تتساقط قطعا صغيرة كالنشارة المتساقطة من نشر الاخشاب وبينها بعض الاحجار

التى تقرب من حجم البرتقالة وذلك من شدة تأثير دفع المياه حيث لا يمكن ثقب الانفاق بخلاف ذلك لان استعمال الديناميت فى ازالة تلك الاحجار الصلدة تتلف النفق وتميل الاحجار التى بالاعلى والجانبين فتسقط وتتلف النفق ولا يمكن العمل بعد ذلك الا بصعوبة نظرا للزوم وقت طويل لازالة تلك الاحجار والصخور اذا كان من المستطاع ازالتها فضلا عن صيرورة النفق من تشقق جدرانه وعروشه الى حالة لا يؤمن معها المكث داخله أو المرور به

وأما أيدي العملة بالمطارق لا تقوى على ازالة تلك الاحجار الصلدة وعمل النفق

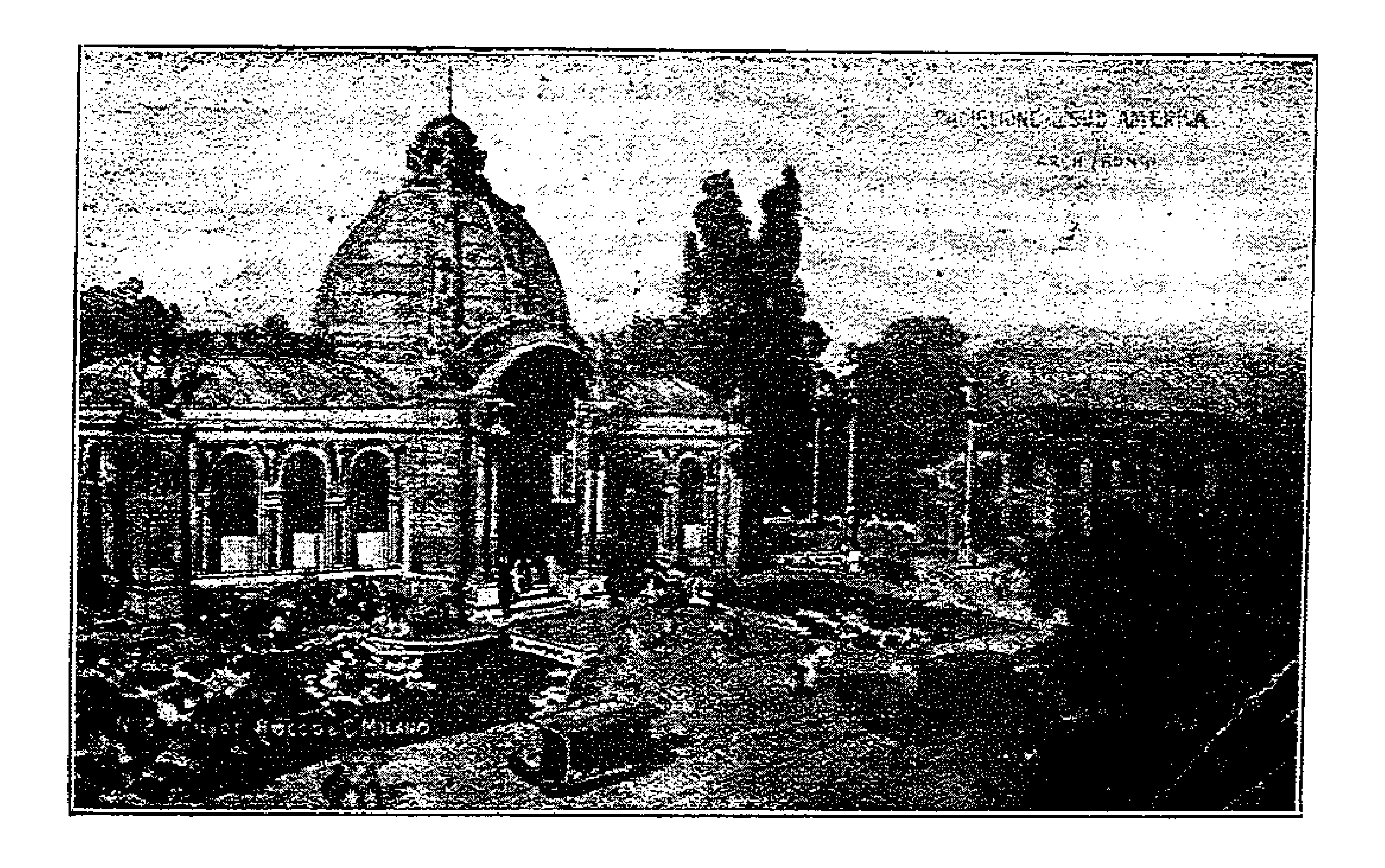
ولذا فان الواسطة الوحيدة والوسيلة لعمل تلك الانفاق تسليط المياه المندفعة بشدة من الآلات الى الاحجار وللقائمين بذلك فنون غريبة فى كيفية توجيه المياه الى تلك الاحجار لانهم بعد توجيهها بشدة لتفتتها يعودون فيوجهونها بخفة وتميل لاصلاحها بحيث ان الانسان اذا وضع يده بعد ذلك على المحل الذى وجه اليه الماء يجد سطحه يشبه سطح المرمر

وغير ذلك من الاختراعات والمصنوعات التى أوجدها العلم الحديث والتى تفتخر بها الامم العارضة وقد سرنا معجبين بتلك المعروضات العظيمة والاشياء الفخيمة

وكان قسم الآلات موجودا داخل القسم الثانى من المعرض حيث شغلت معروضات المانيا وبلجيكا وفرنسا وانكلترا وايطاليا فضاء عظيما لكثرة الآلات المعروضة وعربات السكك الحديد والقاطرات وغيرها من الاشياء الضخمة .

ومما ألفت أنظارنا معروضات الولايات المتحدة بأميركا وحكومات أميريكا الجنوبية فى أصناف الزراعة وآلاتها المستحدثة فكنت ترى أبناء تلك الامم يدخلون الى قصور ممالكهم الموجود بها المعروضات مفتخرين بها وأما نحن فقد سرنا نبحث عن معروضات تركيا ومصر

وقد شاهدنا بناء تعلوه قبة تشبه قباب المساجد فاتجهنا نحوه حتى اذا ما بلغناه وجدنا مدخلين مكتوب على أحدهما مصر والآخر تركيا فدخلنا الى المعرض التركى ومررنا داخله



معرض ميلان = (١٤٢)



فوجدنا الكثير من السجاد التركي والمقصب وغيره مما يشبه المصنوع بتركيا ولكن للاسف أن تلك المصنوعات لم تكن من عمل الاستانة وتركيا بل من الاشياء المصنوعة باوروبا برسم الشرق فيعود بها التجار الاسرائيليون ويبيعونها ثانية على الافرنج لنيل الارباح الوافرة

وبالجملة فان المعرض التركي أشبه بسويقة لبيع السلع التركية وياليتها كانت من مصنوعات البلاد وخيرات أراضي تركيا الخصبة ذات الاصناف المتنوعة

ومما تألمت منه كثيرا اني عند دخولي الى القسم المصري وجدت مايؤسف له من تمثيل هاته البلاد على يد من لا يهمهم الا ابتزاز الاموال أشنع تمثيل

حيث يرى الداخل على عينه بابا صغيرا مكتوبا عليه بالفرنسية والانكليزية (مكتب عربي) وبه بعض الاطفال الحديثي السن حفاة عراة لا يستر أبدانهم الا بعض جلاليب زرقاء مفتوحة الصدر وعلى رؤوسهم بعض الطواق القذرة

وهنالك ترى الفقيه المتصنع الذى لا يحفظ من القرآن الا اسمه ومن الكتابة والقراءة الا حمل الكتب واقفا امام هؤلاء الصبية الذين يهزون ظهورهم وبيده تلك العصى المصنوعة من جريد النخل يقرع بها الارض ويضرب هؤلاء الصبية الصغار المساكين لكى يكثروا من الاهتزاز كلما اجتمع بعض الزائرين من السائحين وكلما يكثر وجود هؤلاء الزائرين بالباب كلما زاد ذلك المتفقه من الضرب والصياح فيزيد الاطفال من الاهتزاز والدمدمة مما يقشعر منه الابدان ولا يقع الا فى بلاد التوحش والهمجية

وهنالك مسجد تقام فيه الصلوات فى غير أوقاتها ويؤذن بأذنته المؤذن كلما اجتمع نفر من السائحين

وقد علمت أن هؤلاء المتفقهين هم من خدمة قهوات الرقص بمصر قد استأجرهم بعض الدخلاء الذين لا وطن لهم ولا شرف وأحضروهم مع الراقصات اللائى يسرن في شوارع المعرض متمايلات وبأيديهن وأرجلهن الشخاليل الفضية التى تزعج برنينها الناس فضلا عن ألفاظ السباب القبيحة التى

كن يلقينها على من بالشوارع من أصحاب الحوانيت والباعة من الاجناس الاخرى الذين كانوا يحفظون بعض تلك الالفاظ لتعلمها من تلك الراقصات السفلة وكانوا يجاوبونهم بها وبالالفاظ القبيحة.

وأما الراقصات فكانوا أشبه بالاغجار والغازيات التى يسرن فى القرى الريفية للتسول ويستعملن أصواتهن المزعجة ورقصهن المشابه لرقص العقارب استدراراً لفتات الخبز أو بعض كيزان الذرة التى يلتقطونها من السكان

ويوجد الكثير من باعة الفول المدموس المستعمل بمصر وغير ذلك وكان أغلب هؤلاء الباعة وأصحاب الدكاكين من الحرافيش

وقد خرجنا مهرولين الي الخارج مستنكرين تلك الفعال والاحوال التى تتبرأ منها مصر

وحبذا لو اهتمت الحكومة المصرية وعملت قسما رسميا بالمعارض الاوربية وشجعت كبار المزارعين والصناع لعرض

محصولات أراضيهم الخصبة ومصنوعاتهم القليلة حتى تحفظ اسم مصر والمصريين من التدنس بأيدي هؤلاء الدخلاء

ومن بدائع المصنوعات فى القسم الايطالى المشيد له قصران من أفخم قصور المعرض الثريات والمصابيح الجميلة والاشياء البلاورية والزجاجية والخزفية المصنوعة فى مدينة البندقية وكثير من الصور المنحوتة وقدابيع أكثرها ونماذج من الزيوت المستخرجة من معامل ايطاليا والكثير من حاصلات أراضيها

وقد كان القسم البلجيكى ممتازا بمعروضاته من الاسلحة وآلات الزراعة وعربات السكك الحديدية وقاطراتها

وكان بالقسم السويسري بعض رسوم لبلاده الجميلة ببحيراتها المتسعة التي يقصدها السائحون للاصطياف وبه بعض المعروضات الدقيقة الصناعة مثل ساعات الجيب والحائط وغير ذلك

وأما القسم الاميريكي فكان معروض به حاصلات الولايات المتحدة ونماذج لآلات الزراعة المستعملة هنالك وأنواع حاصلات الارض وآلات لصنع الاحذية في مسافة

ربع ساعة وبعض نماذج لمعروضات البرازيل وكندا وغيرها من الجمهوريات الاميركية وكان العمال يجيبون علي الاسئلة التى توجه اليهم من الزائرين بخصوص الآلات الزراعية وغيرها بكل نشاط

ومن ضمن معروضات السويد منزل جميل مصنوع من الخشب بحيث يمكن نقله الى أى جهة يريدها الانسان فاذا شاء نصبه باى مدينة واذا أراد الاقلاع عنها فك أجزاءه وربطها كما يربط العفش وشحنها بالسكك الحديد أو البحر حتى يبلغ الجهة المقصودة وهناك يقيمه فيصير قصرا مشيدا وقد صعدنا ذلك المنزل علي درج جميل ووجدنا به الكثير من الغرف الموضوع بها المنضدات والمقاعد المصنوعة من ذلك الخشب اللامع الجميل وبه بعض العمال يجيبون عن الاسئلة التى تلقى اليهم

وقد عرضت اسبانيا بعض الآثار التاريخية في بلادها من زمن العرب وغير ذلك

وعرضت انكلترا غير الآلات الميكانيكية وأصناف الفحم وعربات السكك الحديد وقاطراتها كثيراً من حاصلات

مستعمراتها مثل الهند واستراليا وغيرها وكانت معروضات كندا أوفرهن نظراً لكثرة آلاتها الزراعية وحاصلات أرضها كما كانت استراليا والترنسفال وغيرها مرسومة بمناجمها الغنية المستخرج منها الالماس والذهب وغيره من المعادن الوفيرة

وكان يوجد بالمعرض قصر لامارة موناكو الصغيرة وداخله يوجد الكازينو الشهير باجتماع الاميركان والالمان والانكليز وغيرهم للمقامرة به

وكان لكل دولة قصر تخصوصت به المعروضات الكثيرة ويتبع ذلك الكثير من الملحقات الموجود بها باقي معروضاتهن حتى ان معروضات بعض الدول كانت تشغل أكثر من خمسة عشر مكاناً

وكان قسم الآلات يشغل جزأ عظيما من المعرض وقد أعد له جهة خاصة عرضت بها جميع أنواع الآلات كبيرة وصغيرة وكانت كل دولة قد أعدت لذلك القسم أحسن ما لديها من المخترعات الحديثة التي يحكم الخبيرون عند رؤيتها ومشاهدتها بمن من الدول أحرز قصب السبق والفوز في هذا المضمار ومن

أنجحهن في التقدم الصناعي ومتانة الآلات وسهولة استعمالها ويكون حكم الانسان عند ذلك لا يقبل الرد لانه بمجرد النظر الي تلك الآلات الميكانيكية تجس نبض الامم ويعرف أقدرهن على العمل وأعظمهن اختراعا ودربة ويكون بذلك الانسان قد قارن بين الامم وعلم اسبقهن الى الفوز في ميدان هاته الحياة

ومن تلك الآلات النافع والضار منها ما أعد لحرث الارض وانماء الزراعة ورفع المياه مثل الآلات الطاحنة والعازقة وما يحار في تنوعها الفكر

ومنها ما أعد لسحق الانسان وهلاكه وابادته من هذا الوجود وهي كثيرة متنوعة مثل السلاح الابيض والبنادق والمسدسات والمدافع والتربين والديناميت وماشا كل ذلك

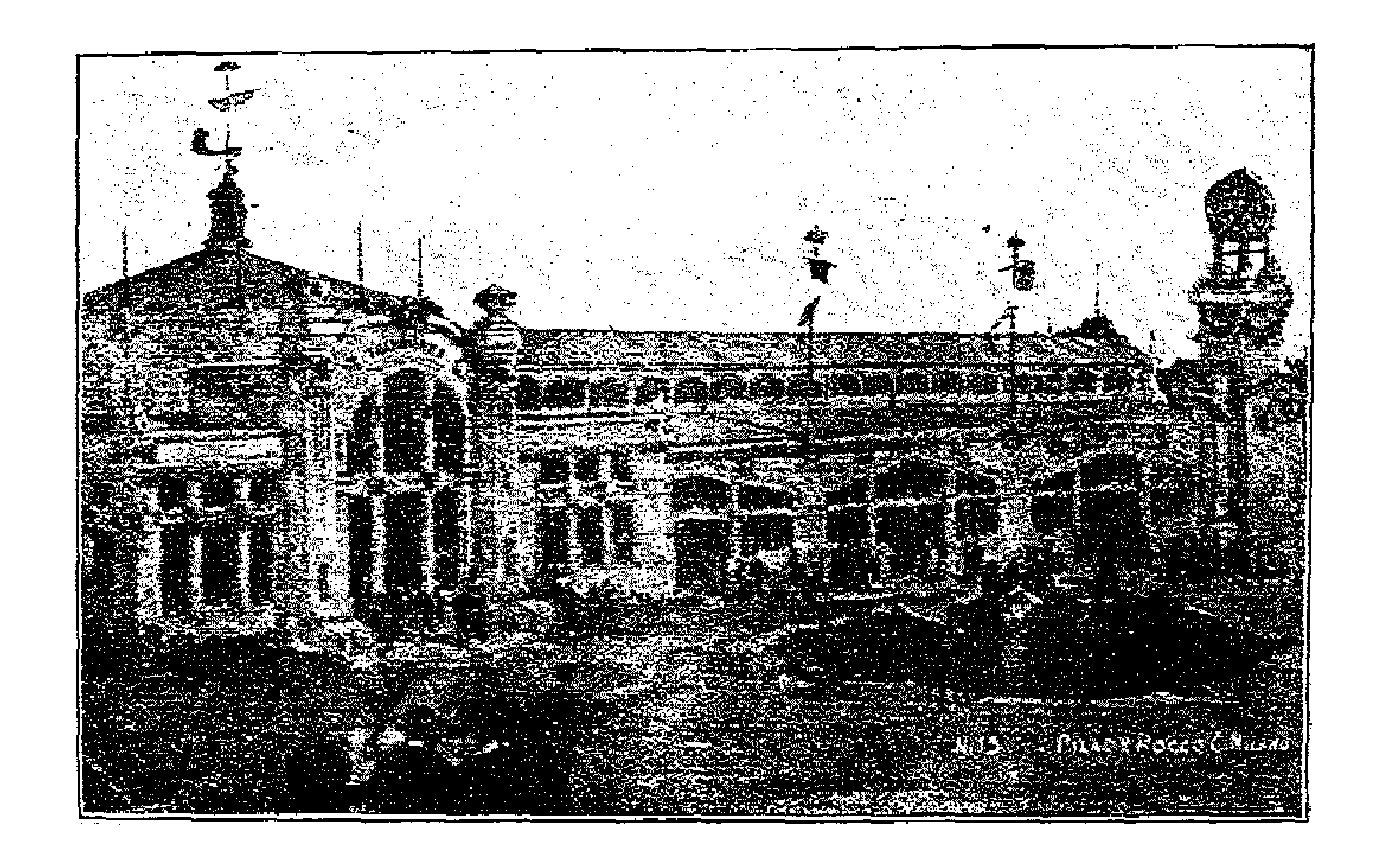
وقد تفننت كل دولة في تلك الاختراعات الساحقة وعرضت ماعندها من المخترعات الحديثة ولكنها أبقت أحدثها اختراعا وذلك المستعمل في بحريتها وفي أيدي جيوشها سرا مكتوما لان المفهوم ان الدول الكبرى مثل المانيا وفرنسا وغيرها

لا تبقى أسلحة جنودها المستعملة الا لمدة ثلاث سنوات فقط ثم تستبدلها بغيرها مما يخترعه أبناؤها الاذكياء بمعاملها ومصانعها الحربية ولذلك قد حظرت كل دولة في قوانينها كشف تلك الاسرار ووضعت عقوبات صارمة لمن يكشف سراً من أسرار مخترعاتها الحربية من المستخدمين ولذا فان المعروض من أسلحتها بالمعارض يختلف عن الطراز الموجود بأيدى جنودها والموضوع بقلاعها وحصونها وأساطيلها

وأما الاسلحة القديمة فتبيعها الى المعامل والمصانع التي تبتاع منها الدول الصغرى أسلحتها

وهنالك محل معد للكهرباء التى أنيرت بها جميع أجزاء المعرض ولاشك ان الكهرباء من المخترعات الحديثة ودليل التقدم العمرانى وقد استعملت للانارة وادارة الطلمبات الرافعة وجر الاثقال وغير ذلك من الشؤون

ومن عجيب التفنن انه كان من ضمن المطاعم العديدة بالمعرض مطعم يصعد الانسان الى بابه على درج ثم يهبط من داخل الباب على درج آخر وهنالك يرى المنضدات مصفوفة



معرض ميلان ـ (١٥٠)



بجانب بعضها بجوانب المطعم الذي يمثل في أوضاعه شكل دائرة ويجد الناس جلوسا يتناولون الغذاء على تلك المنضدات وهى دائرة بهم بجوانب المطعم بحيث لا يحتاجون لخدم لتقديم أنواع المأكولات اليهم بل تمر بهم المنضدات والمقاعد امام نوافذ المطبخ ومنه يطلبون طلباتهم وتقدم اليهم أصناف الطعام فاذا انتهى أحدهم من تناول الصنف الموضوع امامه ويريد صنفا آخر فما عليه الا ان ينتظر حتى يمر امام النافذة وهنالك يقدم اليه مايطلب لان تلك المنضدات والمقاعد موضوعة على ألواح من الخشب متصلة ببعضها ومثبت بأسفلها العجلات الموضوعة على أقضبة من حديد تدار بالكهرباء ويسمى المطعم المتحرك

ونظرا لاتساع المعرض وأشغاله مساحة عظيمة من الارض ولصعوبة الانتقال سريعاً الى أجزائه المتباعدة قد أوجدوا وسائل كثيرة للنقل منها الترام الكهربائى الذى يسير داخل المعرض وقواطر بخارية صغيرة تجر وراءها عربات يركب عليها الركاب ومقاعد متحركة تظللها المظلات ويدفعها العمال بأيديهم كلما جلس بها راكب وأكثر هؤلاء العمال من الزنوج يلبسون

الملابس الحمر والخضر وغير ذلك من وسائل النقل التي يعتنون في تنظيمها وأعدادها لخدمة زائري المعرض

وقد أعدوا بالمعرض مكاناً واسعا جعلوا به الكثير من محلات الرياضة واللهو وتفننوا في ذلك كل التفنن

وكان يوجد به المئات من المطاعم وبه الحمامات العمومية الكثيرة ومحلات كثيرة للبوسته والتلغراف ولبيع الجرائد ووضعوا طوابع خصوصية للبريد باسم المعرض وأقيمت به جداول المياه الجارية وعليها القناطر المشيدة وبجوانبها الحدائق البديعة والبحيرات الكبيرة التي باواسطها النافورات العظيمة وبالجملة فانه كان جامعا لاحدث وأفخم ما صنعته يد الانسان وبلغ اليه عقله وأجمل ما أسدلته الطبيعة على العالم من ثيابها السندسية ومناظرها البديعة وأزهارها المتنوعة

وأما منظر المعرض في الليل فكان منظرا تقصر عن وصفه الواصفون حيث تجلت فيه الكهرباء سلطانة المخترعات بحللها الوضاءة وكست بأنوارها القصور والحدائق والقناطر والاشجار فكانت كلها شعلة من نور فلا تجد مكاناً أو غصنا من الاشجار

الا وقد اتصلت به المصابيح الكهربائية التى بدلت الليل نهاراً وجعلت بدل الشمس شموسا وأقماراً وبدل الظلمة أنوارا فلا جداول جارية ولا نافورات نافرة الا وتتخللها المصابيح الكهربائية عقودا من المصابيح تمثل الدول العظمى باعلامها الخفاقة وقصورها البراقة فلله در الكهرباء وأعمالها فان مصابيحها كالنجوم السواطع بها يزدان المكان ويتطلع لاكتشاف أسرارها الباحثون من بنى الانسان

وبالاختصار فان ذلك المعرض كان جامعا لاجمل وأحسن شيء صنعته يد الانسان خصوصا وان الامم الاوربيه تهتم اهتماما عظيما بالمعارض لانها مرآة الرقى بين الامم وبها تجتمع الامم من أقاصى المعمور ويحصل التواد والتفاهم بينهم فهى رسول السلام وهداة الاقوام تتقابل بها الاجناس بازيائها المختلفة وبشرة وجوهها المتنوعة يتهادون فيما بينهم السرور والابتسام وقلوبهم وانظارهم متجهة الي نقطة واحدة هى حسن النظام وبديع الاتقان فهم لا شك اخوان فى السراء والضراء والمبدأ والختام

وكانت مساحه المعرض تزيد عن المليون مترا مربعا أقيمت عليها القصور والحدائق وغرست فيها الاشجار الباسقة والرياض الأنيقة ذات الرياحين العطرية والالوان البهية وأقيمت بينها الطرق والمسالك التي تسحر الالباب بديع هندستها وحسن نظامها

﴿ السفر الى سويسرا ﴾

وبعد زيارتنا للمعرض ومكثنا أسبوعا بمدينة ميلان قصدنا المحطة حيث ركبنا القطار عند الساعة الحادية عشر مساء فبلغنا حدود سويسرا بعد ساعتين وحضر عمال الجمرك بمحطة تدعى (كياسو) فمروا داخل العربيات بالقطار لسؤال الركاب عن أمتعتهم اذا كان بها شيء يدفع عنه رسوم الجمرك فكان كل يجيبهم بما لديه وبعدها سار القطار في البلاد السويسرية مخترقا جبالها التي يضرب بارتفاعها الامثال وقد مر القطار داخل كثير من الانفاق التي كان تزيد مدة اختراقه لبعضها عن العشرين دقيقة مع السرعة المتناهية التي كان يطوى بها الارض وكان يبلغ طول بعض تلك الانفاق ما يزيد عن

السبعين كيلومترا وعند دخول القطار بها كان يقفل المستخدمون الابواب والنوافذ ولا يدعوا أحدا من الركاب يفتح احداها خوفا من دخول زفير القطارات المتكاثر الصاعد بكثرة من القواطر الى العربات فيختنق الركاب

وقد يزيد السواقون من سرعة القطارات داخل تلك الانفاق حتي يبلغ سرعتها ما يزيد عن المائتين كيلو مترا فى الساعة وذلك لجلب الهواء وعدم تكاثر الدخان بالداخل ومع ذلك فانك تري تلك الانفاق ومصابيح الغاز الموضوعة داخلها وعربات الطرق الحديدية التي تكثر فى بلادها الانفاق مكسوة من الخارج والداخل بمادة عنكبوتية سوداء من آثار ذلك الدخان المتكاثر

وقد قضينا ليلتنا فى ذلك القطار وعند بزوغ النهار التفت يميناً وشمالا الى النوافذ فرأيت المدهش من المناظر الطبيعية المزدانة بها الاراضي السويسرية وجبالها ودساكرها

فبينما ترى القطار يسير وسط حدائق بها من جميع أنواع الاشجار اذ تراه ينقلب الي حافة جدول تسمع منه خرير الماء

ويتعرج في طرق ومسالك بجوانب تلك الجبال التي تناطح السحاب فترى ذلك القطار الكبير الكثير العربات يسير الى حضن ذلك الجبل الشامخ كالأفعى فيعدو على جسر تسيل من تحته الأنهار وينتقل الى جبل قد غصت جوانبه بانواع الكروم والاشجار وترى الجبال على قمتها الثلوج التي تماثل السحاب وتحتها الصخور تعلوها الحشائش وتتخللها الاشجار تجرى بينها غدر الماء فيتمثل أمام ناظريك منظر حقيق بالاعجاب ومنتهي العجب العجاب تلك هى المناظر الطبيعية الدالة على قدرة الخالق (جل وعلا) ويعلم الانسان من النظر اليها أنه فى هذا الوجود أقل من النملة والبعوض فسبحان القادر فوق عباده قد خلق الارض وجعل الجبال اطوادا

﴿ مدينة لوسرن ﴾

وقد بلغنا مدينة لوسرن عند الساعة السابعة صباحا وهي من أجمل مدائن سويسرا وبجانبها بحيرتها المعروفة باسمها ويقال انها لا تتجمد في فصل الشتاء بخلاف باقى بحيرات (سويسرا) نظرا لاعتدال هواء تلك المدينة وحسن مناخها

التي يقصدها السائحون من كل فج فترى بها الفنادق مشيدة بجانب المحطة وعلى أطراف البحيرة وفوق قمم الجبال وقد كتبت أسماؤها بالفرنسية والانكليزية على وجهاتها باحرف كبيرة من النحاس الأصفر وتبلغ مساحة بعضها من الاتساع ما تسع المئات والألوف من السائحين ومنازلها شاهقة البناء كثيرة الطبقات ويتكلم أهلها بالالمانية وبها الكثير من البواخر الجميلة تمخر بالبحيرة وعليها المتنزهون العديدون يسبحون فى بحار السرور ويتمتعون بالذهاب الى رياضها الغناء وبساتينها الفيحاء والسير فى سهولها الفردوسية

قضينا بها يوما وجدنا فيه من حسن المعاشرة ونشاط السكان وجمال المناظر وحسن المعاملة فى السفر والاقامة بالقطارات والعربات وفوق الارض وعلى سطح الماء ماجعلنى أعلل النفس بالعودة اليها وقضاء جزؤ من الصيف بها ولو انها كثيرة الامطار وماؤها شديد البرودة وسكانها حمر الوجوه تنفرز العروق بوجوههم بالوانها الزرقاء لشدة ما عندهم من القر

﴿ مدينة بال ﴾

وبارحناها مساء اليوم قاصدين مدينة بال وهنالك عرضنا حقائبنا لرجال الجمرك وسرنا فى طرقات المدينة مخترقين شوارعها الجميلة ومبانيها الفخيمة وكانت نهاية بلاد سويسرا التى كان ينتقل القطار فى أراضيها بين غياض فيحاء وجنات شهية الى جبال شماء وسهول ووهاد سندسية وكانت قمات الجبال تعد بالعشرات والقطار يدور حولها حيناو ينساب داخل الأنفاق آخر

وزرنا حديقة الحيوانات الموجودة بتلك المدينة وهى قريبة من المحطة فوجدنا الكثير من أنواع الحيوانات النادرة الوجود ببلادنا وعدنا بعد ذلك الى القطار الذى سافر بنا بعد الظهر فوصل مدينة ستراسبورج عاصمة الألزاس واللورين عند الساعة الثامنة مساء

﴿ مدينة استراسبورج ﴾

عند ما انتهينا من الاراضى السويسرية وسافرنا من مدينة بال وسار القطار يخترق البلاد الألمانية ومحطاتها صادفنا كثيرا من المتظاهرين الالمان وبايديهم الاعلام يحملون فوق ظهورهم

Basel, neue mittlere Rheinbrücke

مدينة بال — (١٥٨)



قربا صغيرة مملوءة بالجعة المنتشرة في تلك البلاد حتى أن أهلها قد استعاضوا بها عن شرب الماء

وكلما كان يقبل القطار على احدي المحطات كنت أري الارصفة غاصة بالمتظاهرين وبايديهم الرايات الالمانية حتى أن جميع القطارات التى كانت تفد الى تلك المحطات مزدحمة بالمتظاهرين الذين كانوا ينشرون أعلامهم ويصيحون مترنمين بأناشيدهم الوطنية فيقابلهم من بالارصفة بترديد الأناشيد الوطنيه فكانت المحطات والقطارات تموج بهؤلاء المتظاهرين

وركب معنا بعضهم بالقطار المتجه نحو ستراسبورج فكنا نراهم يملؤون الكاسات بالجعة ويقدمونها للمجتمعين وقد رأيت من حماسهم وقوتهم ما كنت أخشى معه من تحرشهم بنا ولكني رأيت بعد ذلك من لطفهم وآدابهم ما هو جدير باسم المانيا العظيمة

ولاحظت وجود أحد الركاب بالقطار منزويا الى كوة بينما القوم فى ابتهاج وسرور فسألت صاحبي الچركسى عن سبب ذلك فاخبرنى أن الرجل من أهل تلك الولاية الأصليين

وهذا اليوم يوم عيد عند الألمان لدخولهم في مدينة من سنة ١٨٧٠ الى مدينة ستراسبورج وانتصارهم على الفرنساويين بعد محاصرتها ٤٩ يوما وكانت أولا تابعة لألمانيا وأخذتها فرنسا في حرب سنة ١٦٨٠ وردت بعد ذلك الي الألمان في حرب السبعين وهي عاصمة ولاية الألزس التابعة لها وتعد من أكبر استحكامات الألمان حيث جمعت بها الجيوش ونصبت المعاقل والحصون وبها معسكر للألمان يبلغ تعداده ثمانين الفا من الجنود

وعند وصولنا محطتها نزلنا فوجدنا المحطة متسعة ونظرنا بها صورة الامبراطور وهليم الأول جد الامبراطور الحالى وصور بعض قواد الجند فخرجنا الي ميدان متسع واعتلينا عربة حتى وصلنا الى نزل يدعى (شمتزاوئل) حيث أودعنا أمتعتنا ونزلنا الى شوارع المدينة فوجدنا مطاعمها وقهواتها العمومية موجودة داخل المبانى حيث لا نرى مقاعد ومنضدات مصفوفة بالشوارع وعلى الأرصفة كما يشاهد ببلادنا وبالمدن العثمانية والايطالية وقضينا ليلتنا بالنزل وقمنا مبكرين لزيارة المعاقل

والحصون القديمة لان الالمان عند محاصرتهم تلك المدينة قد هدموا قلاع وحصون الفرنسيس بمدافعهم الضخمة وقنابلهم الكبيرة وأقاموا بدلها عند دخولهم بها قلاعا وحصونا لا تقدر على وطئها أكبر قوة فى الارض بينما أراضى الحصون والقلاع القديمة استعملت منتزهات لسكان المدينة واستبقت آثار تلك الحصون شاهدة على ما أحرزه الالمان من النصر كما وضع بجميع ارجاء المدينة النصب والتماثيل التى تمثل كبار القواد من الالمان الذين حضروا المعارك السالفة

وتوجد بتلك المدينة كنيسة كبيرة ذات برجين هدم أحدهما وقت الحصار من شدة فعل القنابل الالمانية وبها ساعة فلكية عظيمة تدق أشكالا ويعرف منها أسماء الشهور والسنين والايام وحالة الجو والمطر

وقد بلغ عدد المقذوفات وقت الحصار فى حرب السبعين ما يزيد عن مائتين ألف قنبلة دمرت جميع القلاع والحصون وبلغ ما غنمه الالمان من الفرنسيس بعد سقوطها ما يزيد عن

أربعة عشر ألف بندقية وألفين حصان وألف وثلثمائة مدفع غير عشرين ألف أسير

ومن التماثيل الشهيرة الموجودة بتلك المدينة تمثال لكليبر القائد الفرنسى الذى حضر الي مصر مع نابليون وكان وكيله فى الجيش وقتل بها سنة ١٨٠٠ وهو من أهل ستراسبورج ولد فيها ١٧٥٣ وتاريخه محرر على جوانب التمثال المصنوع من النحاس الاصفر

ويوجد بالمدينة قصر عظيم يقيم به الامبراطور عند حضوره الى المدينة للتفتيش علي الجنود وهو ذو حديقة غناء وبجانبه مدرسة كبيرة ذات شهرة زائعة فى أوروبا

وقريبا من المدينة نهر الرين وبه جسر متسع من الحديد على أحدث طراز وبجانبه بعض القلاع والحصون القديمة والمنتزهات المتسعة

ومكثت بتلك المدينة ثلاثة أيام تركني فيها صاحبي وذهب الي بعض البلاد الريفية لقضاء بعض الشؤون فكنت أسير فى الطرقات وأرى الجنود الالمانية وعلى رؤوسهم الطاسات

النحاسية المصنوعة من النحاس الاصفر وبايديهم الاسلحة الحديثة الطراز وكان صاحبي له معرفة سابقة برئيس المستشفى العسكرى وهو من كبار الضباط الالمان فلما تقابلنا معه دعانا لزيارة المستشفى وكان يعرف الفرنسية جيداً ولكنه لا يحسن النطق بها كعادة الالمان والانكايز

فزرنا المستشفى وقد دهشنا كثيرا لحسن نظامه ونظافته المتناهية ودخلنا غرف الأمراض العفنة به فكانت موضع اعجابنا لنظافتها وعدم وجود أشياء قذرة بها أو روائح كريهة (وقلما تخلو من ذلك المستشفيات الاخرى) وقد شاهدنا كثيرا من الآلات الجراحية المستحدثة ولو كنت طبيبا لاستفدت فائدة كبرى من زيارتى ذلك المستشفى النادروجوده بين مستشفيات الدول الأخرى وزرنا محلات المطبخ وتحضير الطعام فوجدنا بها من أجود أنواع المأكولات وقد قدم لنا الطهاة بعض الاصناف فوجدنا طعمها لذيذا

وقد سررنا كثيرا من تلك الزيارة واستأذنا الدكتور رئيس المستشفى للانصراف فخاطبنا بالفرنساوية عند السلام

متفاخرا قائلا عند حلولكم بباريس أجروا زيارة المستشفيات التي من هذا القبيل ومدة الثلاث أيام التي مكثناها بتلك المدينة ذقت أثناءها مرارة العطش الشديد لانه ليس من عوائد القوم وضع الماء الذلال بالموائد بل يستعيضونه بالجعة فكنت اذا طلبت ماء يأتونى بقدح صغير من الماء لا يكفى عشرون قدحا منها لارواء العطش ولذا كنت أطلب دائما المياه المعدنية مثل مياه أفيان وغيرها

﴿ السفر الى الحدود الفرنساوية ومنها الي نانسى ﴾

ركبنا القطار بعد ظهر اليوم الثالث قاصدين مدينة (نانسى) من أعمال فرنسا فوصلنا الى الحدود الفرنساوية وكنا نلاحظ حين اقبالنا عليها كثرة وجود الحصون والاستحكامات الالمانية المقامة على نواصى الجبال وفوق المرتفعات ونرى فوهات مدافعها مصوبة نحو السهول والاراضى الفرنساوية حتى أنها تحكم بقذوفاتها الضخمة على مئات الكيلومترات من الاراضى الفرنساوية لانه اذا نشبت حرب بين الدولتين لا يمكن لجيوش فرنسا المدافعة عن تلك السهول بل تتمكن

الجيش الالمانى من احتلالها فى بضع ساعات تحت حماية تلك المدافع والحصون

وقد خطت تلك الحدود قهرا عن فرنسا بعد انتصار المانيا عليها فى حرب السبعين وأخذها ولايتى الالزاس واللورين

ومما يلاحظ هناك كثرة وجود الطرق الحديدية الالمانية الحربية المتشعبة التى تشبه بتشعبها شبكة الصياد وكلها آتية من داخلية البلاد الالمانية ومتجهة نحو الحصون الممتدة على طول خط الحدود

وأن النظامات الحربية الالمانية الموضوعة لتلك الحدود هي من أدق النظامات الحربية فى جيوش العالم لما تحتويه من السرعة المتناهية لاجتماع الجيوش وسرعة حركاتها لانه يتيسر لتلك الدولة الفنية مع هذا النظام أن تجمع وقت الحرب جيشا لا يقل عدده عن مليون جنديا ينتشر على طول الحدود ولا يستغرق حضوره واستعداده سوى ثلاث أيام فقط كما يمكنها أن تبلغه الى ثلاثة ملايين فى خلال اسبوعين فقط لان النظام

يقضي على تلك الجنود ان تأتي من اقاصي البلاد ومعها ملابسها العسكرية وخيولها وذخائرها وتذهب الى توابيرها وفيالقها بدون أن تعرج على المعسكر العام أو تذهب الى نظارة الحربية ببرلين لتسليحها وأعدادها كما يجرى بالبلاد الاخرى

لان كل جندى يعلم ترتيبه من تابوره وفيلقه ومكانه من الحدود فتحمله القطارات الحديدية وتسير به الى مكانه بسرعة متناهية فيصل متأهبا للحرب بفضل ذلك النظام الباهر المعدود من معضلات الاسرار الحربية

وقد ضمنت ألمانيا بذلك النظام عدم رجوع الولايتين الى فرنسا وبقائهما في قبضتها بل ضمنت بذلك غزو فرنسا وانتصارها عليها بأسهل الطرق وأقرب الاوقات

والمطلع على السياسة الدولية والمشاهد لقوات وحصون واستحكامات كل من الدول عن كثب لا يعجب كثيراً من القاء فرنسا بنفسها بين يدى الدب الروسى وعندما رأت ضعفه بعد انخزاله في الحرب اليابانية عادت فرمت بنفسها بين أحضان انكلترا وصدشد أزرها والزود عنها أمام أفواه تلك

المدافع الضخمة المصوبة نحو بلادها تصويباً رهيباً وان الانسان لا يسعه الا العطف على فرنسا تلقاء تلك القوة القاهرة التي تهدد كيانها من حين الى آخر وليلتمس المصري العذر لتلك الدولة القديمة في سياستها الجديدة بعد ما بلغ عدوها من العز والسؤدد والعظمة والقوة ماأزال عنها مرتبتها السياسية السامية التي كانت موجهة الى نصرة الحرية والذود عن الامم الضعيفة .

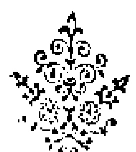
وبعد قليل من قيام القطار من ستراسبورج وصلنا الى الحدود الفرنساوية ومررنا بمحطة صغيرة تدعى فروتنيير بها الجمرك الالماني وبجانبها ببضع دقائق محطة تدعى فروتنيير بها الجمرك الفرنسي وقد حضر عمال الجمرك الفرنساوى لمناظرة أمتعة الركاب وتفتيشها وعند ما كنا بالمحطة الالمانية كانت الساعة احدى عشر فلما انتقلنا الى المحطة الفرنساوية التي لا تبعد سوى ثلاث دقائق عن الالمانية نظرنا الساعة فوجدناها عشرة فقط وكنت عند سير القطار أسائل صاحبي الجركسي عن سبب تأخر القطار لان ميعاد دخوله الي نانسي عند الساعة الحادية عشر

مع اننا بلغنا الحادية عشر الا ربع وتوجد مسافة كبيرة حتي نبلغ نانسى فكان يخبرنى انه بعد بضع دقائق يجيئي وعندما بلغنا الحدود الفرنساوية علمت السبب لان فرنسا تختلف أوقاتها عن أوروبا المتوسطة بالنظر لخطوط الطول ولذلك اضطريت لتأخير ساعتي ساعة تمامها حتى عند بلوغنا نانسى كانت الساعة الحادية عشر تماما

﴿ مدينة نانسى ﴾

عند وصولنا الى تلك المدينة ذهبنا الى فندق مجاور للساحة التى أمام المحطة وهى ميدان فسيح مفروش بالبلاط والاحجار وبأواسطه حديقة صغيرة جميلة وبجوانبه الشوارع المتسعة التى بها الترام وعلى حافتها مخازن التجارة والقهوات والمطاعم والفنادق العظيمة وبالجملة فانها مدينة جميلة جميع شوارعها نظيفة ومبانيها حديثة الطراز ويزيد تعداد سكانها عن المائة ألف نسمة

قضينا بها ليلتنا وقمنا في الصباح قاصدين (كونترا كسفيل) من بلاد الحمامات بفرنسا



كونترا كسفيل

وصل بنا القطار الى تلك المدينة بعد سير ثلاث ساعات من نانسي وكان يخترق خلالها جبال (الفوج) المرتفعة التي تعد من أعلا جبال فرنسا وبها الاشجار الباسقة المختلفة الانواع والحدائق البديعة والرياض الانيقة وتشبه بحدائقها وجبالها وأشجارها وعيون الماء المتدفقة في أراضيها بلاد سويسرا وان كانت جبالها لاتبلغ ارتفاع الجبال السويسرية

ومدينة كونترا كسفيل بلدة صغيرة لايزيد عدد سكانها عن الالف نسمة أقيم بها كازينو كبير وبها الكثير من عيون الماء المعدنية المفيدة في الامراض الكثيرة مثل النقرس والرمل والحصى وأمراض الكلى ويفد اليها الكثير من السائحين في فصل الصيف للتنزه والاستشفاء بمائها وقد شيدت بها الفنادق العظيمة التي يقيم بها السائحون ويبلغ عدد الغرف في بعضها مايزيد عن المائتين وبني بعضها وسط الكازينو والبعض فوق نواصي الجبال ومنها الفندق العظيم المسمى (كوزموبوليتان) وغيره من الفنادق

والمنازل المعدة لنزول السائحين ويتبع الكازينو حديقتان جميلتان احداهما داخله وتعزف فيها الموسيقى كل ساعتين والاخرى أنشئت حديثا وهى أجمل من الاولى نظرا لسعة أرجائها وماتحويه من الرسومات البديعة وماغرس بها من الاشجار الباسقة والرياحين البهية وماتجرى جانبها من جداول الماء ومابها من الانخفاضات والارتفاعات لامتدادها من سفح الجبل الى هضابه حتى ان المتنزه بها اذا جلس على تلك المقاعد الموضوعة باعلاها تحت ظل تلك المظلات الخشبية الجميلة التى تعلوها لشاهد تلك المدينة الجميلة والى جوانبها الجبال بقماتها المرتفعة المغروس بها من الاشجار الزاهرة والمكسوة بثيابها الخضراء مما يجعل لها منظراً في غاية البهاء ويرى الفنادق مشيدة الى جوانب الجبال والمعامل والمصانع بمداخنها المرتفعة ممايبعث السرور فى نفسه

ويوجد داخل الكازينو حمامات صنع احداها حديثا على أحسن طراز وبه المغاطس الباردة والحارة والراشات يقف الانسان تحتها فيتساقط عليه الماء رذاذاً ويصيب جسمه مدة خمس دقائق ثم ينتقل ويصوب اليه الخادم أنبوبة كبيرة

ذات ثقوب يندفع منها الماء بشدة وتسلط على الزراعين والساقين والعمود الفقرى بينما الواقف يحول جسمه بانتظام نحو الانبوبة ويدور كلما انتهى تصويبها الى أحد الاعضاء ولذلك مدة يحددها الطبيب ولا تزيد عن أربعة دقائق ولضبط الوقت قد جعلوا آلة صغيرة مثل الساعة تتصل بالانبوبة يؤشر فيها الخادم عن الدقائق المطلوبة فعند مضيها تقفل الانبوبة ويمتنع الماء فيذهب الخادم لدلك جسم العليل وتمسيده بماء الكولونيا على الطريقة الافرنكية المأخوذة عن العرب

والحمام الآخر يشبهه ولكن يقل عنه فى الدرجة وأجرته رخيصة وقد جعل بهذين الحمامين درجتان لكى يتمكن الاغنياء والفقراء من الولوج بهما

ويوجد داخل الكازينو ملهى عمومي للتمثيل يشتغل خمس ليال في الاسبوع والى جانبه قاعة كبيرة للمطالعة محلاة بأحسن النقوش الذهبية وبه الفندق الملوكي الكبير الذى نزل به المرحوم مظفر الدين شاه (شاه العجم الاسبق) حين ذهابه الى تلك المدينة للاستشفاء بمائها كما ينزل به الكثير

من أمراء العائلات الملوكية بأوربا وقد شاهدنا به الغراندوقة (ڤلاديمير الروسية) الملقبة في الروسيا بملكة البترول حيث نبعت في أملاكها عيون البترول الغزيرة.

وينابيع تلك المدينة كثيرة وأشهرها (الباڤيون) وينبوع (الدكتور تيبرى) وكلها باردة وطريقة المعالجة بها أن يخرج المستشفون جماعات عند الساعة السادسة صباحا ويقصدون تلك الينابيع فيشربون منها حسبما يقرره لهم الاطباء فيتناولون أقداحهم الموضوعة برفوف كثيرة بجانب النبع وعليها أرقام متسلسلة لكى لا يخطأ أحدهم ويتناول قدح الآخر وعند ذلك تتناولها البنات الحسان الواقفات بجانب النبع وتملأنها بالماء الذي يتناول منه الشاربون حسب وصف الاطباء فمنهم من يشرب نصف القدح وغيره الثلاث أرباع والآخر قدحا كاملا وهكذا يستأنفون الشرب كل عشر دقائق أو ربع ساعة حتى يبلغ مايشربه أحدهم من تلك الأقداح أربعة أو خمسة أو سبعة وهى النهاية العظمى ويجب عليهم خلال ذلك أن يسيروا على الاقدام بين الحدائق والاشجار الى الساعة

الثامنة وبعدها يجلسون على المقاعد بالكازينو لسماع الموسيقى التى تصدح باصواتها الشجية حتى قبيل الساعة العاشرة تدق نواقيس الفنادق داعية القوم لتناول طعام الغداء لان المتبع فى تلك الفنادق تحضير الغـذاء عنـد الساعة العاشرة وطعام العشاء عند السادسة مساء مراعاة لصحة المستشفين الذين لا يتناولون شيئاً فى الصباح من الطعام حتى ينتهوا من شرب الماء والرياضة الواجبة ويعودون الى الفنادق عند دق النواقيس لتناول الطعام

وتلك الينابيع لها شهرة عظيمة وتباع مياهها بجميع الصيدليات بجميع الأقطار ويقصد تلك المدينة عشرات الالوف من السائحين فى فصل الصيف حيث يبتدئ وفودهم عليها من أواخر شهر ابريل الى أواخر ستمبر لان مياه تلك الينابيع تتجمد في فصل الشتاء حيث تتهاطل بالمدينة الأمطار وتتراكم بها الثلوج

وتلك المدينة واقعة علي سهل منبسط ينتابه جبلان عاليان غرست بهما الاشجار الباسقة وأقيمت بجوانبهما الغابات والكروم وبينهما الطرقات المتسعة والماشي العديدة

ويوجد بالمدينة محلات أعدت لتأجير العربات السيارة الخصوصية والعمومية التي يركبها السائحون بأجرة تختلف بين عشرة فرنكات الى ثلاثين فرنكا ويقصدون التنزه بالبلاد المجاورة التي تبعد من عشرين الى أربعين كيلو مترا عن كونترا كسفيل مثل مدينة (ڤيتيل) و(أكس ليبان) و (بوربون) وغيرها وأكثرها من بلاد الحمامات والمياه المعدنية الباردة التي يقصدها الناس للرياضة والتنزه والاستشفاء بمائها

(ڤيتيل) ويوجد قريباً من كونترا كسفيل مدينة ڤيتيل التي تبعد عنها أربعة عشر دقيقة بالقطار وهى مدينة جميلة بها ينابيع الماء المعدنية المفيدة للكلى والمثانة ولكن مموادها أخف قليلا مما يوجد بمياه كونترا كسفيل خصوصاً لقلة احتوائها على المعادن الكبريتية ومن أشهر ينابيعها (الجراند سورس) وتباع مياهه بجميع الصيدليات

ولتلك المدينة (كازينو) متسع بحديقة فيحاء وبها الكثير من الفنادق الكبيرة التي شيدت حديثاً لان تلك المدينة لم تكن معروفة من القدم بمياهها بل أن مدينة (كونترا كسفيل)

هي صاحبة الشهرة التاريخية بخاصية مائها وبمن قصدها من الملوك حتى أن نابليون كان يرسل جنوده اليها وقد أخبرني رئيس المستشفي الالماني بستر اسبورج انهم يرسلون المرضى من الضباط والجنود الالمانية اليها

ومما يستنبطونه من الوسائل لترغيب السائحين الاقامة بتلك البلاد وعدم مللهم وتضجرهم منها وجود شركات تقوم بعمل أعياد وحفلات أسبوعية وشهرية يجتمع فيها السائحون من كل البلاد وسكان البلاد المجاورة مثل حفلة السباق التي تقام دائمًا (يفيتيل) وحرب الزهور الذي يعمل (بكونترا كسفيل) وغير ذلك من الحفلات البديعة التي لا يمضي يوم الا ويشاهد الناس احداها فتراهم في حرب الزهور يجتمعون بميدان فسيح بضواحي المدينة أعدت به مقاعد للجلوس ويأتي الناس بعرباتهم الفاخرة المجللة بالورود والازهار وسياراتهم العظيمة المكسوة بالحشائش والرياحين فترى من تفننهم في وضع الازهار بالعربات ما يسحر الالباب حيث لا ترى العربة والخيول الا زهورا في زهور ومنها ماتمثل بمقدمها شكل زورق به النوتية بايديهم المجاذيف ومنها

من وضع على مقدم سيارته شكلا برسم الديك ومنها من كسى عربته لحشائش والاعشاب ووضع عليها الاطفال محاطين بالزهور والرياحين وأغصان الاشجار فيتمثل للرائى تنظرهم الطيور على أغصان الاشجار وغير ذلك من الاشكال البديعة والمناظر الفائقة التي لا يمل الناظر من مشاهدتها ويتمنى لو تطول تلك الحفلات وتمكث مدى الدهور والايام

قضينا ثلاث أسابيع بتلك الجهات وسافرنا بعدها قاصدين مدينة (باريس العظيمة) واني أراني مضطراً قبل ان أخوض في وصف عروس المدائن على الاطلاق الي سرد نبذة من تاريخ فرنسا لكي لا يفوت القارئ تاريخ بعض الاماكن والميادين الموجودة بباريس ولها علاقة تامة بالتاريخ

وقد توخيت في ذلك كل الايجاز بعدما أتيت على تاريخ ايطاليا وعلاقته بحوادث الدولة الفرنساوية ووقائعها وملوكها

(مختصر تاريخ فرنسا)

لا يعرف من تاريخ فرنسا القديم ما يذكر قبل أحد ملوكهم المسمي (ميروفيوس) اسس الدولة الميروفنجية وأشهر افرادها (كلوفيس الاول ولي سنة ٤٨١ ميلاديه وهو في سن العشرين وقد حارب الرومان وأخيرا فرنسا وألمانيا فانتصر في حروبه وجعل (باريس) عاصمة مملكته ومات سنة ٥١١ فخلفه أولاده الاربعة وقد قام بينهم نزاع لضعف ارادتهم فتضعضعت المملكة وقلت هيبتهم وانتقلت السلطة منهم الي رؤساء معيتهم وكانت رئاسة المعية صارت وراثية في عائلة رجل يدعي (بين ارستال) جاء القائد الشهير (شارل مارتل) من نسله ولما توفي شارل مارتل ورث رئاسة المعية ابنه (بين القصير) وصار الملك في أيام ذلك الرجل بلا مركز يعرف حتي أن البابا وافق الوزير علي أخذه الملك فعزل آخر ملوك الدولة الميروفنجية ويسمى شلدرك ونصب (بين القصير) ملكا في سنة ٧٥١ فكان ذلك بدء الدولة الثانية لفرنسا وتعرف باسم الكارلوفنجية

وتوفي ذلك الملك سنة ٧٦٨ بعد أن ملك البلاد ١٧ سنة وورث الملك بعده ابناه شارل وكارلومان توفي الثاني بعد حين من توليته واستبد شارل بالملك وقد اشتهر في التاريخ باسم شارلمان أى شارل الكبير وقد

لقب هـذا اللقب باستحقاق لانه كان ملـكا كبيرا وقائدا عظيما حارب الحروب الـكثيرة وانتصر وقد وسع مملـكته وجعلها تتصل من آخر حدود فرنسا الغربية الى حدود الرين والدانوب وضم جزؤا كبيرا من النمسا وايطاليا وألمانيا وأسبانيا وكان فى أيامه من أكبر ملوك الزمان لايمتاز عنه فى الشهرة الاهرون الرشيد سلطان العرب الذى كان صديقه وحميمه وظل ذلك الملك يفتح البلدان حتي توج سنة ٨٠٠ امبراطورا على يد البابا

وتوفي شارلمان سنة ٨١٤ وقد ناهز السبعين من العمر فخلفه ابنه لويس دبونايرِ وجعل مدينة أيكس قاعدة لمملـكته ولم يمكث قليلا حتي قسم المملـكة بين أبنائه فى حياته فصاروا يتخاصمون ويتحاربون بسبب ضعف أرادته حتى انفصلت ايطاليا والمـانيا عن فرنسا وضعفت فرنسا وكان جميع الملوك الذين أتوا بعد شارلمـان ضعافا حتي قام وزير يدعي (هوك كابت) فى أيام لويس الخامس واختلس الملك من دولاد وأسس دولة تدعي باسمه سنة ٩٨٧

وقد قام من نسله فروع ملوكية كثيرة مثل آل فالووا واورليان وبوربون وفيليب ومنهم فيليب الثاني الملقب باوغسطس تملك سنة ١١٨ واتحـد مع ريكاردوس قلب الاسـد علي تجريد حملات لمحاربة العرب والترك فى فلسطين مـدة الحروب الصليبية المشهورة ولهم من الوقائع الشهيرة كثيرة مع الملك صلاح الدين الايوبي العادل وتقدمت البلاد قليلا

فى حكم فيليب الثالث ما بين سنة ١٢٧٠ و ١٢٨٤ ولكنها ضعفت فى أيام فيليب الخامس حيث حدثت حروب طويلة بين فرنسا وانكلترا تعرف بحرب المائة سنة كان أغلب النصر فيها لامة السكسون حتي أن هنرى الخامس ملك انكلترا تقدم بجيوشه على فرنسا وحارب جنودها فانتصر عليهم في معركة أجنكور سنة ١٤١٥ وتقدم على باريس واحتلها بعد فرار ملكها الضعيف شارل السادس وقد ظلت فرنسا تحت حكم الانكليز تسع سنوات متوالية حتي اذا مات هنرى الخامس عاد الفرنساويون الي نوال استقلالهم وقد تم ذلك سنة ١٤٥٠ علي يد فتاة تسمي جان دارك اعتقدت انه جاءها وحي بطرد الانكليز والحث على ملك بلادها المعزول وامرأته أن يسلموها قيادة الجيوش وتقدمت فى طليعة الجيش وحاربت الانكليز فانتصرت عليهم فى جميع المواقع وهي بكر لا تبلغ الثامنة عشر من عمرها ولكن تدكي جوادها فى الموقعة الاخيرة فأخذها الانكليز أسيرة وأحرقوها بالنار لزعمهم انها ساحرة فلم يفدهم ذلك فتيلا حيث أنه بانتصارات جان دارك قد استقلت فرنسا ورجعت الي أهلها .

ولتلك الفتاة ذكر عظيم فى فرنسا وبتاريخها يضرب المثل بالوطنية الفرنساوية وقد أقيم لها تماثيل عظيمة في أنحاء باريس منها التمثال المقام أمام سراى التولري والتمثال الموجود بسراى الانفاليد وغيره وقد أقيم لها تماثيل عظيمة فى كل بلاد فرنسا وعند استقلال فرنسا شرع ملكها شارل السابع فى اصلاح شؤونها وكان زكيا عاقلا وخلفه ابنه لويس

الحادي عشر فحذا حذو والده واهتم بالطباعة وكانت يومئذ شيئاً حديثاً
اهتدى اليها جوتنبرج سنة ١٤٥٠ فنقلها الملك الى باريس ونشط العلم
والصناعة وخلفه ابنه شارل الثامن وكان قائداً عظيماً حارب ايطاليا وامتلك
جزءاً كبيراً منها ثم أضاعه وتوفي في حداثة سنه وخلفه لويس الثاني عشر
الذي أعاد جزءاً من شمال ايطاليا ثم خلفه فرانسوا الاول وهو من أشهر
ملوك فرنسا حارب في عدة مواقع ولكن خصمه كان أكبر منه سلطانا
وأعظم قوة وهو كارلوس الخامس ملك أسبانيا وأمبراطور ألمانيا فكان
النصر لكارلوس في أكثر المعارك ولكن ذلك لم ينقص من قدر
فرانسوا العسكرية من أعظم ملوك فرنسا وقد توفي سنة ١٥٤٧ فخلفه ابنه
هنري الثاني ولم يكن له ذكر في التاريخ غير أن الخلاف كثر في البلاد
بين المذاهب الدينية واشتد في أيام ابنه هنري الثالث وحفيده فرانسوا
الثاني وحصلت في تلك المدة حروب كثيرة بين تلك الاحزاب اشتهر
فيها البرنس كوندى والبرنس هنري نافار الذى ملك فرنسا بعد ذلك
باسم هنري الرابع والاميرال كوليني وكلهم من البروتستانت وقد تصالح
المتحاربون بعد حروب أهلية طويلة في أيام شارل التاسع
ملك فرنسا الذي نصب ملكا في التاسعة من عمره سنة ١٥٦٠ وكان
تحت وصاية أمه كاترين ده مديسي ولكن الحزازات ظلت تحك في
الصدور وقد ساعد على أعمالها تعصب الملك وأمه فدبر حزب الكاثوليك
دسيسة لقتل البروتستانت جميعهم في ليلة واحدة في كل أنحاء فرنسا
واتفقوا أن يكون ذلك يوم ٢٣ أغسطس من سنة ١٥٧٢ وهو يوم عيد

أحد قديسيهم فلما جاء انوعد قام الكاثوليك على اخوانهم البروتستانت وقتلوا منهم ألوفاعديدة وظلت البلاد في ارتباك الى آخر حكم هنري الثالث فلما قتل سنة ١٥٨٩ خلفه هنري الرابع الذي تقدم ذكره وكان عادلا حكيما فلما ثبت له الملك أصلح ما اختل من أموره وأطلق الحرية للاديان وقرر انتظامات العادلة للمملكة وكان من أعقل ملوك فرنسا وأعظمهم ولكنه قتل بيد راهب متعصب سنة ١٦١٠ وخلفه ابنه لويس الثالث عشر وكان في التاسعة فجعلت والدته ماري دومديسي وصية عليه وكانت عاقلة استوزرت الكردينال ريشليو المشهور فأظهر الرجل من البراعة ما حير أوروبا حارب المانيا وايطاليا وغيرها حروبا طويلة كان النصر في أكثرها لفرنسا وهي تعرف بحروب الثلاثين سنه من سنة ١٦١٨ الي سنة ١٦٤٨ وقد أسس ريشليو المذكور مجمع العلوم الفرنساوى المعروف باسم (أكادمى) ورفع فرنسا بحسن تدبيره الي أعلا مقام ولكنه كان حقودا طماعا واشتغل طول عمره بالفتن والدسائس

لما توفى لويس الثالث عشر ورثه حفيده لويس الرابع عشر وهو طفل في الخامسة من عمره فجعلت أمه مارى هابس برج وصية عليه حتي عند بلوغه الرشد استلم زمام الملك وأظهر اقتدارا فائقا وكان أعظم ملوك زمانه وقد حارب اسبانيا والمانيا وايطاليا وانكلترا وهولندا وكان النصر في جانبه في أكثر تلك الحروب ولكن الانكليز انتصروا عليه في بعض الممالك وكان الكردينال مازارين وزيره في أوائل حكمه فأصلح مالية

البلاد أصلاحا تاما وسارت فرنسا في سبيل العز مدة هذا الملك حتى عدت أكبر دول أوربا ومات لويس الرابع عشر فى الثانية والسبعين من عمره بعد ان حكم خمسة وستين سنة وهو أطول حكم فى تاريخ ملوك أوربا وكان موته فى سنة ١٧١٥ واشتهر حكم هذا الملك العظيم بتقدم العلم والصناعة وقيام الابطال الكثيرين وبناء القصور الفخيمة منها قصر ملوك فرنسا فى فرساي من ضواحى باريس ولكنه اشتهر ايضا بتعصبه الدينى والضغط على حرية الافراد والاديان فنشأ من ذلك ان نزح اكثر البروتستانت من فرنسا الى انكلترا وبلغ عدد المهاجرين نحو خمسمائة الف نفس اكثرهم من اهل الزكاء والصناع الماهرين فخسرت فرنسا معارفهم وكسبتها انكلترا وكان رحيلهم من الحوادث المشهورة فى تاريخ لويس الرابع عشر وخلفه لويس الخامس عشر وكان فاتر الهمة كثير الميل الي اللهو منغمسا فى اللذات جمع فى قصره النساء الحسان من كل ناحية وآثر معاشرتهن علي تدبير مهام الملك وكثر ظلم الحكام فى ايامه وزاد تبذير البلاط الملوكى عن الحد المعتاد فكانت الحكومة تلجأ الى ابتزاز الاموال اللازمة لذلك التبذير بالعنف والقسوة من الاهالي وشاعت عن الملك امور كثيرة نفر منها الناس فكانوا يقرؤن كتابات فولتير وغيره من الذين مهدوا السبيل للثورة وحدثت فى ايامه ان ولاية اللورين سلخت من المانيا وضمت الى املاك فرنسا وكذلك جزيرة كورسيكا أخذت من ايطاليا وضمت الى فرنسا وتوفى لويس الخامس عشر سنة ١٧٧٤

وكان لويس السادس عشر الذى خلفه وحدثت الثورة فى ايامه رجلا بسيط النية سليم القلب محبا لخير بلاده الا انه كان ضعيف الرأي فلم يقدر على ايقاف تيار الافكار التي قادت الاهالي كلهم الي كره الملوك والامراء فحاول جهده أن يرضي الامة وجمع مجلس نواب افتتحه بنفسه وعرض على أعضائه كل ما يمكن للملك اعطاؤه للامة من الحقوق وتساهل ما امكن التساهل فلم يهدأ غضب الشعب ولم يغنه ذلك فتيلا وظل الشعب على الهياج حتي لم يبق للملك سلطة واحاطوا بقصره يقصدون قتله وقتل أفراد عائلته وعاث الثائرون فى البلاد مفسدين وارتكبوا الاهوال والفظائع وعمت فى البلاد فوضى غريبة وثورة على الامراء والاغنياء ورؤساء الدين . فلما رأي الملك انه لا يمكن له استرجاع الملك بعد ذلك الهياج حاول الفرار مع عائلته فعرفه بعضهم وأرجعوه مع عائلته الى باريس ذليلا مهانا وهنالك أقاموا عليه وعلي عائلته الحجر وتولي رجال الثورة وزعيمهم يومئذ رجل يدعى روسبير لا شفقة عنده ولا شعور ولا ذمة فبعد أن طال زمان نظائمهم وقتلوا الوفا من نبلاء فرنسا قادوا الملك الي المحاكمة واجمعوا على انه خان المملكة وحكموا عليه بالاعدام فأعدم فى ميدان الكونكور بباريس فى صباح ٢١ يناير سنة ١٧٩٣

ولما وقف على آلة الذبح — المسماة جليوتين حيث ان الفرنسويين بعد موت المجرمين ذبحا بتلك الآلة القاطعة ويقال ان الملك نفسه هو

الذى اخترع بعض آلاتها التكميلية وقد دخلت عليه الملكة حينما كان يبدى تفصيلاتها لرؤساء حكومته. فلما نظرتها سقطت الى الارض مغشيا عليها حيث انها عند ما كانت فى صباها فى البلاط النمساوى وكانت تتنزه مع بعض الخدم فسارت الى راهب يتنبأ عن المستقبل وعند ما وضعت يدها فى يده خاطبها قائلا بانك ستكونين ملكة عظيمة ولكن يخشى عليك عند ظهور آلة حادة وضعت بكيفية خاصة ستعدمين بها وكان ذلك اذ اول من أعدم بها بعد اضافة تلك الاشياء التكميلية اليها ذلك الملك الطيب القلب ومن بعده تلك الملكة السيئة الحظ وعند ما وقف الملك على تلك الآلة فى ذلك الميدان المتسع خاطب الحاضرين قائلا ايها الفرنساويون انى اموت بريئا مما اتهمنى به هذا الشعب واسامح الذين يريدون قتلي وأطلب الى الله ان يجعل كل قطرة من دمي تسقط على ارض فرنسا خيرا وبركة ولم تسمع بقية كلامه لان الطبول قرعت وعلت ضوضاء المنتقمين واعدم لويس السادس عشر ولم يقم بين ملوك فرنسا اطيب منه قلبا ولا اسلم نية وزاد رجال الثورة فى الهول والفظائع بعد ذلك فأتهموا الملكة مارى انطوانت زوجته وهى ابنة مارية تريز امبراطورة النمسا المشهورة بالاشتراك فى الخيانة وحكموا عليها بالاعدام فقادوها الى الجليوتين محملة علي عربة حقيرة وقبل ان تسقط الآلة القاطعة علي عنقها صرخت (يا الهي اسألك ان تسامح قاتليّ) وهكذا سفك دم امرأة لا ذنب لها وتمت فظائع الثورة الفرنساوية بأن سجن بقية

أعضاء العائلة المالكة ومات ولي العهد وهو صبي معذبا في سجن كثير الظلام وتمادت فرنسا في المبادئ الثورية فهاج شعبها هياجا عظيما وما ابقوا على كبير ولا اثر للنظام الملوكي ونادوا بالحرية والاخاء والمساواة واعلنوا في الاقطار انهم يساعدون كل امة على ثل عرش الملوك فيها ونيل الحرية والاستقلال فارجف اعلانهم الملوك واهتزت لذلك ممالك اوربا وبدأ اصحاب النفس الامارة بالسوء في بقية الممالك يفكرون في الثورة علي ملوكهم فاتحد اكثر ملوك اوربا على محاربة الفرنساويين وازلالهم قبل ان يستفحل امرهم وتعم مبادؤهم ولكن شبان فرنسا كانوا قد ثملوا بخمرة النصر في الثورة والاستقلال فحاربوا اعداءهم حربا يشيب لهولها الولدان واظهروا من البسالة ماحير العقول وانتصروا على جميع الاعداء وردوهم عن حدود بلادهم. وفي سنة ١٧٩٣ اجتمع نواب المملكة بعد كل تلك الاهوال وانتخبوا اثنى عشر عضوا من رفقائهم لادارة الاحكام فأداروها على نسق غريب من الفظاعة والشناعة حتى القوا الرعب في القلوب وسمى حكمهم (بحكم الرعب) لكثرة ماقتل فيه من الناس وماحدث من الامور المغايرة لطبائع الانسان من ذلك انهم غيروا اسماء الاشهر وحساب السنة وسارت فرنسا على نظام جديد جعلت سنة الثورة بدأ سنيه وذبح الوف من الابرياء على تلك الآلة القاطعة حتي نفر الناس من فظائع تلك الحكومة وقادوا رؤساءها واشهرهم روبسبير الزعيم الاكبر وداتون الي الجليوتين فضربوا اعناقهم واراحوا البلاد من شرورهم وقامت

علي اثر ذلك حكومة جمهورية جديدة تسمي (دير كتوار) وهي الجمهورية الفرنساوية الاولي كانت مركبة من خمسة اشخاص يحكمون البلاد برأى مجلسين احدهما مركب من خمسمائة نائب والثاني من مائتين وخمسين نائبا ودامت هذه الحكومة الى سنة ١٧٩٩ حين ابدات بحكومة القنصلية

وبينما كانت البلاد في حروب واضطرابات داخلية قام فيها شاب شديد الزكاء عجيب الاقتدار كان جنديا بسيطا لايعرف الناس عنه شيئاً حتي اذا شرع الانكليز والتنيان في محاصرة تولون كان حاضرا تلك المعركة وأبدى من حسن الراي والبسالة ماعاد المدينة الي قبضة الفرنساويين وكان ذلك الشاب المقتدر (نابليون بونابرت العظيم) ولا حاجة الي سرد تاريخ هذا الرجل لان حملاته وحروبه العديدة وشهرته الزائعة قد جعلته من اعظم قواد الارض طرا من يوم ذكر الناس حربا وقيادة واني اكتفى هنا بسرد بعض وقائع هذا العظيم النابغة حيث انه عند مااتصل بحكومة الديركتوار زكاؤه رقته حتي جعلته قائد جيش حارب النمسا والمانيا وايطاليا وانتصر في كل المعارك انتصارا باهرا وضم ايطاليا الى مملكته وسن لها القوانين والنظامات بعد طرد جنود النمسا منها ثم عاد الي باريس فتلقاه الشعب بسرور عظيم واحتفلوا به احتفالا لامثيل له وارتفع ذكره بين الانام الى حد ان حكومة الديركتوار بدأت تحسب لشهرته الزائعة حسابا فعرضت عليه قيادة العمارة البحرية لمحاربة انكلترا وغزو شطوطها ولكنه آثر ان يغتصب منها الهند أولا وطلب جيشا يسير به الي مصر والشام

ليفتحهما ويتقدم الى الهند فجندت له الحكومة ثلاثين ألفاً سار بها الي مصر في تلك الحملة المشهورة فانتصر ثم خذل في الشام وتحطم أسطوله في أبي قير واضطر الي الرجوع الي فرنسا. فلما وصلها قلب الحكومة وجعلها قنصلية يحكمها ثلاثة قناصل هو أولهم وحارب النمسا وايطاليا مدة القنصلية فانتصر عليهما ثم رقي الي رتبة امبراطور في سنة ١٨٠٤ فصار أعظم أهل زمانه

وقامت أوربا على بونابرت بعد هذا الارتقاء فحاربها وانتصر في كل جهة حتي انه نظم الممالك الجديدة وتصرف بالبلدان فانشأ مملكة باڤاريا في المانيا وجعل صهره مورات ملكا عليها وجعل أخاه يوسف ملكا على نابلي واسبانيا وعين أخاه لويس ملكا لهولانده ونصب أخاه جيروم ملكا لوستفاليا في المانيا وقسم المانيا تقسيماً حتى أضعفها ولعله نظر بذلك الي صالح فرنسا وخاف على بلاده من اتحاد الجرمانيين عليها كما حققت الايام ظنونه

وظل ينصب الممالك ويعزل ويولي حتي دانت أوروبا له بعد انتصاراته الباهرة ماعدا انكلترا فانه حاول عزلها وعقد المحالفات مع الدول على قطع المخابرات معها فأخافت روسيا وعدها من هذا القبيل فقام لمحاربتها ودخل بلادها ووصل موسكو ولكن اتساع البلاد ومقاومة الاهالي أضعفت قواه فعاد من روسيا وقد فشل لاول مرة في حروبه فلما وصل فرنسا في سنة ١٨١٢ جند جيشا جديدا وخرج لمحاربة الدول المتحدة عليه وهي روسيا وانكلترا والنمسا وبروسيا فغلب وتقهقر الى باريس ثم

دخل ملوك الدول المتحدة عاصمة فرنسا وعزلوا نابليون وولوا مكانه لويس الثامن عشر وهو اخو لويس السادس عشر الذى قتل فى الثورة ونفى نابليون الى جزيرة البا فى البحر المتوسط ولكنه عاد الي باريس بعد مارحلت جنود الدول فى سنة ١٨١٤ وجند جيشا جديدا قام ليحارب به الدول فكانت آخرته انخزاله فى معركة وترلو المشهورة

وأخذ بونابرت بعد ان سلم نفسه للانكليز أسيرا حيث نفى الي جزيرة القديسة هيلانة فى الاقيانوس الاطلانطيقى عند شطوط أفريقيا الجنوبية حيث توفى فى ٥ مايو سنة ١٨٢١ ونقلت جثته بعد ذلك الي باريس باحتفال عظيم

وقد كان لهذا القائد العظيم زوجة تسمي جوزفين عاشت معه حتي صار امبراطورا ولم تلد له نسلا فاضطر الاقتران بغيرها ليولد له من يرث ذلك الملك العظيم ولهذا فانه طلق جوزفين بالرغم عن البابا ورجال الدين واقترن بالارشيدوقة مارى لويزا ابنة مكسيميليان امبراطور النمسا فرزق منها ولدا واحدا سمى يوم ولادته ملك رومه وأوصي له والده بمملكة فرنسا من بعده نعرف باسم نابليون الثاني ولكنه لم يملك بعد أبيه ومات مسلولا فى قصر شونبرن من ضواحى فينا

واتفقت دول أوروبا بعد نفى نابليون علي اعطاء الملك ثانيا للويس الثامن عشر فعاد وملك الي يوم موته سنة ١٨٢٤ وخلفه أخوه شارل العاشر وحصلت فى أيامه ثورة لانه اراد ادخال نظامات لم يوافق الشعب

عليها فتنازل عن الملك وخلفه لويس فيليب من آل اورليان ودامت دولته الي سنة ١٨٤٨ وهي سنة الثورة الفرنساوية الثانية حين سقطت الملوكية ونودى بالجمهورية الثانية

وتقدم لرئاسة الجمهورية لويس نابليون ابن اخي نابليون الكبير فانتخب رئيسا في سنة ١٨٤٨ ثم نادي الرجل بنفسه امبراطورا سنة ١٨٥٢ ولقب نابليون الثالث وأحسن السياسة حتى صارت فرنسا في أيامه الي أرفع مراكز العز والشرف وأصبحت باريس مركز سياسة الارض واسم نابليون عنوان القوة فى كل البلاد وحاربت فرنسا الروسيا سنة ١٨٥٤ بالاشتراك مع انكلترا والدولة العلية فى حرب القرم وكان لها النصر ثم حاربت الصين مع انكلترا سنة ١٨٦٠ واحرزت النصر وسنة ١٨٥٩ حدثت الحرب الايطالية المشهورة وكانت فرنسا معضدة لايطاليا ضد النمسا ونالت النصر فاستقلت ايطاليا وأخذت فرنسا بلاد سافوى ونيس أجرة مساعدتها وفى سنة ١٨٦٢ حاربت المكسيك وانتصرت الجنود الفرنساويه ونصب مكسيليان أخو امبراطور النمسا الحالى امبراطورا للمكسيك وما زال السعد مرافقا لنابليون الثالث وبلغت بلاده أعلا دركات العز والمنعة الى أن جاءت سنة ١٨٧٠ وحدثت الحرب المشهورة مع بروسيا فخذلت فرنسا انخذالا هائلا وسقطت الامبراطورية فعادت البلاد الى النظام الجمهوري وأسست جمهورية ثالثة كان أول رؤسائها المسيو تيرس وتلاه المارشال مكماهون ثم المسيو

جريثي ثم المسيو كارنو وبعده المسيو كازمير وتلاه المسيو فلكس ثم المسيو لوبيه وأخيرا المسيو فاليير الرئيس الحالي ولا حاجة الى سرد تاريخ فرنسا في أيام هؤلاء الرؤساء لان أكثره حديث العهد لم يذهب عن الاذهان

وبالجملة فان فرنسا بعد سقطتها في تلك الحرب السبعينية كانت تحاول النهوض وقد ساعدها بعض الرؤساء في ذلك مثل جريثي وكارنو وفلكس فور ولكن عدوتها بروسيا التي تم لها الاتحاد مع باقى ممالك المانيا فى تلك الحرب قد قوي ساعدها وصارت امبراطورية عظيمة فاضطرت فرنسا لعقد المحالفات مع الروسيا والاتفاقات الودية مع انكلترا وغيرها حتى صارت تابعة فى السياسة لغيرها من الدول بعد ما كانت الزعيمة التى لا يبرم امر في اوروبا ولا فى باقي الممالك والبلاد الا طبق رغبتها وكان لها من سياستها الاخيرة بمراكش ومصر ما كاد يوقعها فى حرب مع المانيا وقد انتهت تلك السياسة باثلال عرش المسيو دلكاسه وزير خارجيتها (الذى عقد الاتفاق مع الانكليز علي مسألة مراكش) مرضاة لالمانيا ولم يخرجها من تلك الورطة الا مؤتمر الجزيرة المشهور وكانت نتيجة تلك السياسة وقوعها فى حروب كثيرة بمراكش وتقلص ظل نفوذها الادبي من مصر والشرق وقد ظل تعداد سكان فرنسا من بعد حرب السبعين الي اليوم ٣٨ مليونا كما كانت وقتها وزاد تعداد المانيا عدوتها وكان ٣٥ مليونا وقت الحرب فبلغ الآن مايزيد عن الخمسة وستين مليون وصارت اعظم واقوي دولة برية فى الارض كما صارت ثانية الدول البحرية فى العالم

فوائد السفر والسياحة

قبلما أقدم على وصف مدينة باريس العظيمة التي زرتها أربع دفعات في سنين متتابعة حيث كانت أول زيارتي لها في صيف عام ١٩٠٦ وثانيتها في صيف عام ١٩٠٧ ثم في سنة ٩٠٨ وأخيرا في سنة ١٩١٠

أقول أنه طالما قرأت انتقادات كثيرة في كثير من الجرائد المصرية على سفر المصريين الى أوروبا وقد افترى بعضهم الاكاذيب ونسب الى أغلب المصريين عدم اهتمامهم بزيارة آثار البلاد التي يسيحون فيها وانشغالهم باللهو في تلك البلاد وقد بني بعضهم تلك النظرية على محادثة وهمية مع صديق موهوم أخبره فيها أنه لم يزر سراى اللوفر مع طول مكثه بباريس

ولذا فقد أرسلت في صيف عام ١٩١٠ قبل سفرى الى معرض بروكسل مقالا ردا على تلك الافتراآت الى جريدة العلم التي تصدر بالقاهرة وقد نشرته بعددها رقم ٣١ الصادر في يوم ١٢ يونيه من سنة ١٩١٠ فأري من الواجب عليّ الاتيان على ذلك المقال بنصه في هذا الكتاب لما أرى فيه من الحجج

الدامغة على دحض تلك الافتراءات ورد تلك الاكاذيب وبيان فوائد السفر الى البلاد الخارجية خصوصاً عند وجود المعارض الكبرى بالبلاد الاوروبية وذلك بنصه

ماذا نعمل فى فصل الصيف

أقبل الصيف بحره وابتدأ المتادون السفر الي البلاد الخارجية في أعداد معدات الرحيل.

وقد سمعت بعضهم يشوهون أغراض كثير من هؤلاء المصطافين فهل نسى هؤلاء المعترضون بأن الذين يبرحون البلاد الي البلاد الخارجية أن كثيراً منهم من خلاصة المصريين الوطنيين الذين تتوقد صدورهم غيرة على بلادهم وكمداً من رؤية جيوش الاجانب تروح وتغدو بين جوانبها بينما بلاد الاجانب يروح ويغدو فيها جيوشها الوطنية بين تهليل الوطنيين وتكبيرهم واعجابهم بما هنالك من المناظر الوطنية يرجع السائح الى بلاده ونفسه قد تشربت من وطنية القوم وحبهم لبلادهم ورغبتهم في اعلاء شأنها يرجع الى بلاده ليبث فيها مما علم ويكفيه فخراً وخدمة لوطنه أنه حين رجوعه يقص على أصدقائه ومجالسيه

ماشاهده هنالك من آيات الوطنية ومعجزاتها وما رآه من نظام تلك البلاد وعيشة أهلها ونشاطهم في أعمالهم من المشاهد التي شاهدها عرأى العين والتي يكون وقعها مؤثراً في نفوس سامعيها وأنفذ الى قلوبهم من مقالة طويلة عريضة خطها قلم كاتب لم يفارق بلاده

ألم يعلم هؤلاء الحساد أن الوطنية التي ظهرت آثارها في هذه البلاد والتي تخلل نورها جميع الاقاليم كان ظهورها بفضل بعض هؤلاء السائحين وبفضل شجاعتهم الادبية

أن السائح المصري عندما يكون في البلاد الاوربية بينما تراه معجبا بالقوم تري الغيرة تأخذه علي بلاده الاسيفة وما يتم فيها من تنفيذ سلطة المحتل الغاصب بينما يرى الامم الصغيرة باوروبا بجانب الامم الكبيرة في رغد من العيش راتعة في بحابح الحرية لا تفكر الا فيما يزيدها عزة وسعدا

يري السائح الدول العظمى في تلك البلاد تحترم هذه الامم الصغيرة والشعوب الضعيفة وتحافظ على كيانها بينما هي تفعل ضد ذلك في البلاد النائية عنها

ان هذه المناظر والنظريات التى يراها السائح المصرى
فى تلك البلاد تزيده شعورا بالواجب نحو بلاده وعلما بان الحرية
حق طبيعى للامم قد اعترفت به للامم الصغيرة التى بجوارها
هذا هو شعور السائح المصرى فى أوروبا وبعد رجوعه الى بلاده
وأما قول بعضهم بعدم اهتمامه فى زيارة الآثار بتلك البلاد
والمثل الذى ضربه ذلك الاجنبي بصديقه المصري (الموهوم)
بأنه لم يزر سراى اللوفر فهذا كلام عار عن الحقيقة لان النفس
عادة مهما كانت ميالة لرأي الاشياء الجديدة والمناظر العجيبة فما
بالك بسراى اللوفر التى هى أهم الآثار التي فى باريس
انى أتذكر جيداً انى رأيت صديقا قد تربى تربية عالية
وحين قابلني ذات يوم بباريس رأيته منهوك القوي عاجزا عن
السير وقد أخبرني بأنه لم يذق طعاما في يومه الا في الصباح ذلك
لانه مكث تسع ساعات بسراى اللوفر لمشاهدة مناظرها
وآثارها وقد تمنى لو كان مصورا أو رساما لمكث سنين وأشهرا
في هاته السراى لتصوير ماأعجبه من الرسوم

وأما القليل من المصريين أصحاب الثروات الطائلة الذين يسافرون للاسراف وهم يعدون على الاصابع فهم ليسوا حجة على مصر

فهلموا أيها المصريون الى السفر ما استطعتم اليه سبيلا لانه كلما ازداد منكم المسافرون ازداد عدد من يجاهدون بحقيقة ميولنا الوطنية

هلموا الى البلاد ولا يقعدن بكم اختراق البحر الابيض المتوسط وانه من العيب علينا ان نصرف المئات من الجنيهات في اقامة الزينات والافراح والولائم ونقصر عن الذهاب الى تلك البلاد القريبة منا لنعرف من عادات القوم وأخلاقهم ونرى بأعيننا الوسائل التي توصلوا بها لبلوغ المجد والعظمة والقوة وننظر بأعيننا الى أوروبا التي هى أصغر أقسام الدنيا الخمس وقد ملكت بنشاطها وقوتها وعظمتها نواصي العالم

واني أوجه قولي خاصة الى عمد وأعيان البلاد الذين ما فتئوا يتنافسون في بناء القصور الشاهقة وتشييدها وعمل الولائم وتنويعها وما شاكل من وسائل الظهور الكاذب الذي هو مضر بمصر لذهاب

ثروتها فيما لا ينفع ولا يفيد لان هؤلاء الوجهاء والاعيان لو بذلوا قليلا مما ينفقونه جزافا على قصورهم وولائمهم فى السفر الى تلك البلاد لوقوف الراي العام هناك على مقاصدنا ودراسة اسباب ترقى تلك الامم وما يبذله اهل تلك البلاد فى سبيل النقابات الزراعية وتعميمها وتقدير ما يعود من فوائدها على الجميع حتي اذا رجعوا الى بلادهم عملوا علي انقاذ الفلاح المسكين من الهوة السحيقة التى سقط فيها وبلادنا على ما يعلمون من التأخر الزراعى والاقتصادى

أن هؤلاء الاعيان لو اجتمعوا وذهبوا وفودا الى تلك البلاد فى شهرى أغسطس وستمبر الذين لم يكن لديهم أشغال زراعية فيما تضطرهم للاقامة فى بلادهم مستصحبين فى رحلاتهم أبناءهم المتعلمين باللغات الاجنبية خصوصا فى السنين التي تقام فيها المعارض فى تلك البلاد لأتوا الى بلادهم حاملين من الفوائد مالا يأتي به عمل الزينات فى الافراح والولائم فاليك أيتها الامة العزيزة والى وجهائك وأبنائك الازكياء أوجه قولى عسى أن يقع منهم موقعا مقبولا ؟

نجيب حسين الجندي — بهمشه

﴿ السفر من كونترا كسفيل ﴾

(الى باريس)

لما كان ذهابى الى باريس من طرق متعددة فأرى أن أصف أولا الطريق من كونترا كسفيل اليها ثم آتى على وصف المدينة وأما الطرق الاخرى سيأتى الكلام عنها عند وصف المدن الاخرى مثل مرسيليا وغيرها

عند نهاية اليوم الواحد والعشرين من مكثنا بكونترا كسفيل قصدنا المحطة وركبنا قطار الساعة الثالثة بعد الظهر الذى يصل باريس عند الساعة التاسعة مساء لان المسافة بينهما ست ساعات بقطار الا كسبريس عن طريق (لانجر) وقد مررنا على بعض المحطات الشهيرة مثل (ايكس ليبان) وهى مدينة تشبه كونترا كسفيل بها ينابيع معدنية يقصدها السائحون للاستشفاء بمائها وبها (كازينو) كبير وفنادق عديدة وهى تبعد عن كونترا كسفيل نصف ساعة بالقطار وقد زرناها أثناء وجودنا بكونترا كسفيل فوجدناها غاصة بالسائحين من كل

الاجناس وبها الحدائق الغنّاء والجبال الشماء المكسوة بالاشجار المتنوعة ذات الاثمار الوافرة

وأما مدينة (لا نجر) فهى مدينة كبيرة بها محطتها العظيمة التى تلتقى بها خطوط السكك الحديدية بالخط الكبير الموصل من باريس الى ميلان مارا بالأراضى الفرنساوية والسويسرية والايطالية

وكان بالقطار عربة خاصة بتناول الطعام كما يوجد بجميع القطارات الاوروبية وكان يسير بسرعة ٥٥ كيلوا مترا فى الساعة ولما اقتربت الساعة التاسعة وصلنا الى ضواحي باريس وأطليت من النافذة فشاهدت أنوارا ساطعة ينعكس شعاعها فى الجو انعكاسا هائلا حتى أن الانسان ليخيل له أنه قادم على بقعة يسود فى جوها نور النهار بينما يسدل على الجهات الاخرى الظلام الدامس فلم أدهش من ذلك لعلمى أنى قادم على مدينة باريس ذات الانوار ومصدر النور والعرفان وكنت أرى الشوارع تملؤ القطار حينا والناس والعربات تسير بأعلانا على جسور من الحديد وطوراً نرى الشوارع بالناس هابطة تحت

القطار وهو يعدو فوق الجسور الحديدية وآخر نراه يمر فى نفق بعد نفق حتى وصلنا تلك المحطة الكبيرة (محطة الشرق) وهى احدى محطات باريس العديدة فوجدناها غاصة بالمستقبلين والمسافرين يسيرون بين تلك الارصفة العديدة التى يزيد عددها عن الثلاثين وبها القطارات والناس فى حركة والزحام شديد فذهبنا الى محل المخزن المسمى (كونسيني) لاستلام العفش الذى كنا سلمناه لهم بمحطة كونترا كسفيل لان المسافر في القطارات الاوروبية لايتعب نفسه بحمل أمتعته ووضعها معه بالقطارات كما يجري عندنا بمصر بل يمكنه أن يسلمها فى المحطة القائم منها الى المخزن ويستلمها عند المحطة المقصودة لانه مصرح لكل حامل تذكرة سكة حديد أن يأخذ معه ثلاثين كيلو جراما من العفش ويسلمها الى المخزن ليصدرها عفش ركاب فى نفس القطار الذي يسافر فيه وذلك مجانا لايدفع عليه سوي عشر سنتيمات ثمن التمغة فقط ويستلم بذلك شهادة ليستلم بها العفش فى محطة وصوله واذا شاء دفع لهم أجرة زهيدة ليوصلوه له الى محل اقامته

(مدينة باريس)

ذهبنا الى محل (الكونسيني) فوجدناه غاصا بالركاب الذين يطلبون أمتعتهم ووجدنا الكثيرين من العمال يهتمون بتحضير العفش من القطارات على عربات صغيرة يدفعونها بأيديهم ويأتون به لوضعه بالمخزن لفرزه وتسليمه الى أصحابه بواسطة عمال آخرين كل ذلك يجري بسرعة متناهية وعندها استلمنا العفش وأخذه الحمالون ووضعوه على عربات صغيرة وساروا به نحو الباب ومررنا أمام رجال البلدية الذين سألونا عما اذا كان يوجد شيء يدفع عليه رسم البلدية فأجبناهم سلبا وعندها وضع الحمالون أمتعتنا على عربة سيارة واعتليناها بعد ما نفحناهم فرنكا أجرتهم وسارت بنا السيارة تطوي الارض والشوارع طيا.

وقد شاهدت عند ذلك من الانوار الزاهية واكتظاظ القوم بالشوارع وسطوع الجواهر النفيسة بالدكاكين وانعكاس الاضواء عليها ما جعلني آثرت عدم الخروج تلك الليلة من الفندق الى شوارع ومحلات بها حركة هائلة وانوار ساطعة وبهاء.

منظر باريس من برج ايفل — (٢٠٠)



كامل لم أعتدمثله من قبل وخفت على عيني ان يعتريها الرمدو على عقلي أن يعتريه الذهول اذا مكثت تلك الليلة بين هاته المناظر فانزويت الى غرفتي بالفندق الذى نزلنا به وهو فندق اللوفر الكبير وعزمت أن أقوم في الصباح وأتشجع وأمر فى الشوارع وأرى القصور والمنازل وأعود نفسي على النظر الى بديع الاتقان وأجمل ما وصل اليه عقل الانسان حتى لا أفاجأ بمثل ما فوجئت به أمس وانزويت بسببه الى غرفتي

اصبح الصباح وقمت ناهضاً من النوم واتجهت نحو احدى النوافذ التى أزحت عنها الستار فأذا بى أجد ميدانا متسعاً وأمامه شارع جميل صفت المبانى الشاهقة الى جانبيه وكلها الى علو واحد شارع جميل أرضه تامع ووجهات مبانيه لامعة بما صفت عليها من الاحرف الافرنكية الكبيرة المصنوعة من النحاس الاصفر التي تفيد عن أسماء الدكاكين وأصحابها ومحلات عيادات الاطباء ومكاتب المحامين والمحلات التجارية والمطاعم ومحلات الشركات التي توجد داخل تلك المباني ذات السبع طبقات

فنأملت لحظة الى من بالشارع فلم أجد الا سيارات تطوى الارض وعربات بجيادها تركض وأناس يجدون فى السير يجتمعون حينا ويفترقون آخر وقد يخيل للرائى باجتماعهم أن العربات والسيارات والناس ستتصادم ولكن لم تكن برهة حتي تراهم متفرقين الى الشوارع المحيطة بالميدان وقد أطلت النظر قليلا فشاهدت بناء ضخما تعلوه قبة عظيمة واقع الى نهاية ذلك الشارع فعدت مستلقيا الى احدى المقاعد المستطيلة مفكرا فى أى البلاد نحن أفى مدينة من مدن العالم أم في مدينة يتخيلها الناس فى الاحلام وعندها تذكرت أن تلك هى مدينة باريس التى يلقبها الفرنساويون بعاصمة السرور وعاصمة العالم فارتديت ملابسى وسرت أبحث فى حائط الغرفة على زر أضغط عليه ليقرع الجرس طلبا للخادم فلم أجد الا زر المصابيح الكهربائية ووقفت حائرا فوقع نظرى على آلة صغيرة للتلفون موضوعة بجانب المنضدة فتناولتها وقرعت الجرس فاجابنى الموكل بالتلفون بمكتب الفندق وسألني عما أطلب فطلبت الخادم الذي أقبل سريعا وطلبت منه أحضار الافطار

وعلمت أن السبب فى عدم وضع أجراس بغرف الفنادق المهمة هو لاجل توفير الخدم ومراقبتهم دائما لان الموكلين بالمكاتب يقفون بواسطة التلفونات على جميع حركات الخدم بجميع طبقات الفندق حيث ترد اليهم الطلبات من الغرف وهم يوزعونها على الخدم حيث يوجد بكل رواق من أروقة الفندق غرفة خاصة بالخدم ومعهم رئيسهم الذى يتلقى الاوامر من المكتب ويرسل الخدم لتلبيتها فى أقرب وقت وبذلك يرتاح السائحون من سرعة تلبية طلباتهم ويقتصد أصحاب الفنادق مصاريفا باهظة يقتضيها زيادة الخدم فى مثل تلك الفنادق الكبرى الذى يبلغ تعداد الغرف فى بعضها مايزيد عن الثمانمائة ونظرا لكثرة طبقات الفندق قد جعلوا به ثلاثة من الآلات (مرقاة) التى يرتقى عليها الانسان فيصل الى الرواق الذى يذهب منه الى غرفته وهم يشغلون تلك الآلات بضغط المياه

ولما تناولت طعام الافطار حضر صاحبي الچركسى من غرفته فسألته عن اسم الشارع والميدان المواجهين لنافذة الغرفة وما ذلك البناء الفخيم الكائن الي نهاية الشارع فاخبرنى

أن اسم الميدان (بلاس رويال) أعني الميدان الملوكي والشارع (أفنوده لوبرا) وأما البناء فهو ملهى الاوبرا وعندها نزلنا من الفندق وسرنا في ذلك الشارع الفخم الى جهة الاوبرا

ولا أقدر أن أصف للقارئ التأثير الذي حصل لي عند سيرنا في ذلك الشارع لان الانسان لا يمالك نفسه من شدة السرور الذي يخالجه وقت سيره بالشوارع الباريسية حيث يرى الدكاكين على الجانبين وقد رصعت بثمين الاحجار الكريمة التي تبهر بأشعتها العيون فمحلات للتجارة قد تفنن أصحابها في زركشة أبوابها ووجهاتها المصنوعة من أجود أنواع البلور والنحاس الاصفر أو المعدن الابيض وبهاين نفيس المصنوعات الباريسية ما يتمنى الانسان معه لو كانت جيوبه مثقلة بالفضة او الذهب حتى يدخل تلك المحلات وينثرها بينها مقابل ما يأخذه من تلك المصنوعات الجميلة الى فنادق ومطاعم قد يداخل الانسان الوهم عند دخولها ويخيل له أنه قادم على قصور للملوك أو سرايات للقياصرة الى أناس يسيرون بالشوارع تبدو على وجوههم علامات السرور والابتهاج وجوههم مبتهجة وثغورهم باسمة يسيرون بسرعة

قلما يمكنك مساواتهم فيها اذا مستك أطراف ملابس أحدهم لشدة الزحام رفع قبعته من على رأسه مشيرا بها اليك قائلا (پوردون مسيو) عفواً سيدى كأنه اقترف جرما جسيما أو أخطأ خطأً عظيما ذلك من شدة تأدبهم ولطفهم الى سيدات يختلن بأزيائهن اللاتى يتفنن في تطريزها حتى تصير بهاء للناظرين رافلات بحللهن الحريرية وملابسهن المصنوعة من جميل الاطالس يسرن الخيلاء. وكأنهن ملكات أو امبراطرة وعلى رؤوسهن قبعات يتنافسن في احرازها منها ماهى على شكل الطاووق الذى يلبسه خدمة التكايا ببلادنا ومنها ماتشبه الكوفية والعقال عند العرب ومنها ماتماثل عمائم الرجال بالشرق لهن في كل فصل من فصول السنة أزياء جديدة وقبعات عديدة وحسبك انهن مصدر الازياء الجديدة فى العالم لسلامة أزواقهن التى يمتزن بها على نساء الدنيا

سرنا فى ذلك الشارع ولم نشعر الا وقد وصلنا الى ميدان الاوپرا وبه ملهى الاوپرا الفخيم الذى سنأتى على وصفه فيما بعد والى جانبه الفندق الكبير وهو الفندق الشهير باوروبا

لحسن موقعه وتراه دائما غاصا بالسائحين من جميع الاجناس ويحتوى على ١٦٠٠ غرفة كبيرة وصغيرة وبه مكاتب للبوستة والتلغراف ومحل لاشغال البورصة وبه نادللسياسيين يجتمعون فيه للمذاكرة وبأسفله توجد القهوات والمطاعم والدكاكين والمخازن التجارية الكبرى وعلى ناصيته من جهة الاوبرا وملتقى الشارع الكبير (جران بونقار) توجد قهوة السلام الشهيرة (كافيه دولاپى) التى ترى المقاعد والمنضدات مصفوفة أمامها أربعة صفوف الى جانب بعضها بحيث لا يتخللها السائر

وعندها ألقينا عصى التسيار وجلسنا على مقعدين بجانب احدى تلك المنضدات طلبا للراحة فأقبل أحد خدم القهوة الكثيرين الذى أوصيناه على مطلوبنا الذي حضر به خادم آخر وصرت أنظر الى تلك الجموع المحتشدة الغاص بها ذلك الشارع والشوارع المجاورة والبشر يطفح على وجوههم كأنهم قادمون من حفلات أنس وسرور ذاهبون الى حفلات أنس وحبور يتلألأ الضياء في وجوههم لاسيما السيدات يسرن ولهم في سيرهن أسلوب عجيب وبعد استراحتنا قليلا نهضنا للسير

فى ذلك الشارع الجامع لجميع آيات الجمال حيث توجد المبانى الفخيمة والمحلات التجارية العظيمة الى جانبيه الموجود بها الارصفة المتسعة يسير عليها الناس من جميع الاجناس كما توجد على تلك الارصفة المقاعد والمنضدات المديدة مصفوفة امام القهوات والمطاعم

وقد وضعت بلدية المدينة كثيرا من المقاعد الغير متباعدة على طول تلك الارصفة ليجلس عليها المارة كما أوجدت كثيراً من المباول وجعلتها على الصفين من الشارع على ابعاد متقاربة لا تزيد أكثرها عن الاربعين مترا ويبلغ عرض ذلك الشارع الستين مترا ويوجد به قريبا من قهوة السلام قهوة كبيرة تدعى (كافيه أميركان) بها مطعم من الداخل وتصدح بها دائما جوقة موسيقية كما يجرى بأكثر القهوات الباريسية وهناك يوجد مصرف (الكريدى ليونه) قريبا من تلك القهوة الى الصف الآخر وهو بناء فخيم عظيم الاتساع يشبه لضخامته احدى نظارات الحكومة بمصر ويوجد داخله قاعات وغرف كثيرة فاذا قصدت صرف نقود منه فما عليك الا أن تذهب للجلوس بأحدى تلك

الغرف وهناك يأتيك أحد العمال ويستلم منك الورقة الممضاة ويذهب ليأتيك بما تطلب وأنت جالس الى مقعدك كأنك فى أحد المراسح أو القهوات العمومية وذلك البناء هو أكبر فرع لذلك البنك بباريس لانه يوجد له كثير من الفروع فى جميع جهات المدينة وقد عددت بعضها فى جهات مختلفة من المدينة فوجدتها تزيد عن العشرين وأما محل البنك الاصلى فموجود بمدينة ليون المسمى باسمها وأكثر حملة سهومه وأصحاب أمواله من الجزويت كما هو معلوم

وقد آن وقت تناول الغذاء ونحن سائرون بالشارع فوجدنا مطعما مكتوبا ببابه (ديفال) فدخلناه وصعدنا على الدرج حتى اذا ما بلغنا أعلاه وجدنا أحد العمال جالسا وامامه منضدة فسلمنا ورقة صفراء مطبوعا بها أرقام حسابية فدخلنا الي المطعم وجلس كل الى جانب احدي المنضدات التى كانت غاصة بالقوم حتى اننا لم نجد منضدة بها مقعدان خاليان بل جلسنا مفترقين واجتمعنا أخيراً بعد ما قل الزحام وانتهي القوم من تناول الطعام

لان الباريسيين لهم أوقات معلومة لتناول الغذاء لا يتخطونها ولذا تجد المطاعم مزدحمة من الساعة الثانية عشر الى الواحدة ونصف بعد الظهر وقد منع التدخين داخل المطاعم فى ذلك الوقت وعند الساعة الواحدة ونصف يجلس خدم المطعم لتناول الطعام ولا يقبل عليه فى ذلك الوقت الا الغريب الجاهل عادات القوم أو النائم الكسلان أو الآتى من سفر بعيد وعند الساعة الثانية ونصف ترفع الاغطية البيضاء المغطى بها المنضدات ويمتنع العمال عن الخدمة فلا يقدمون لك طعاما بعد ذلك الوقت ولو قدمت لهم أموالا طائلة

وكذلك يبتدئ وقت تناول العشاء من السابعة مساء حتى الثامنة ونصف وعند التاسعة ترفع الاغطية وتطفأ الانوار ولا تجد طعاما بعد ذلك الا فى المطاعم الخصوصية الذى يحضر عند منتصف الليل

وكنا عند جلوسنا الى جانب تلك المنضدات ننتخب أصناف الطعام التى نوصى عليها الخادمات فيحضرنها سريعاً

ويؤشرن بالورقة الصفراء (التى تقدم ذكرها) أمام الأرقام المساوية لثمن تلك الاصناف وهكذا الى نهاية تناول الطعام وعندها نعطي النقود والاوراق الصفراء الى الخادمة التى تذهب نحو الصراف وتعود الينا بباقى النقود وبتلك الاوراق مختومة بخاتم الصراف ذلك اذا كانت الخادمة المكلفة بخدمة الجهة التي نجلس بها غير مشغولة وذلك نادر لان الانسان يضطر فى غالب الاحيان للذهاب الي الصراف ودفع النقود بنفسه مع اضطراره لدفع البقشيش للخادمة وذلك بمعدل المائة عشرة فى المحلات الصغيرة وخمسة عشر فى المحلات الكبيرة ودفعه اجبارى

أما (ديڤال) فذلك اسم شركة كبيرة للمطاعم بباريس تنتشر مطاعمها فى جميع أرجائها حتى لا تخلو جهة ولا شارع من تلك المطاعم ولها في بعض الشوارع المهمة مطاعم عديدة يزيد عددها عن العشرين وكل نظامها واحدة لان جميع الخدم المختصين بتقديم الطعام بها من النساء كما ان الصيارفة أكثرهم نساء وأنواع المآكل واحدة وجميع محلاتها مزخرفة من الداخل واكثر عروشها وحوائطها مغطاة بالخشب الثمين اللامع المزخرف

بالنقوش والتماثيل البديعة الاتقان وكل نافذاتها موضوع بها الالواح البلورية البيضاء مركزة على قطع من النحاس الاصفر أو المعدن الابيض

وقد فرشت منضداتها بالاغطية البيضاء ووضعت بها المناشف النظيفة المحضرة بعد الغسيل والمكوى وتلك المناشف لا تستعمل الامرة واحدة وبعدها يأخذونها لغسلها وهم يتقاضون لذلك مع ثمن الطعام أجرة المنشفة ولهم الحق فى ذلك لان أجرة غسلها وكيها عشر سنتيمات

وتوجد شركات كبيرة لها فروع متعددة تنتشر بجميع انحاء باريس منها شركة (بولان) وهى شركة كبيرة تماثل شركة (ديفال) فى النظام لها محل كبير بالبقار أمام الفندق تسكبير ومحلات كثيرة بانحاء باريس وشركة (بيون) وشركة (شارتييه) وغيرها وتلك المطاعم يقصدها الباريسيون واكثر الاجانب ولذلك تجدها دائما مزدحمة خصوصا وأنه من عادات الباريسيين تناول الطعام بالمطاعم لما يروه فى ذلك من الاقتصاد لان تحضير الطعام بمنازلهم يكلفهم نفقات طائلة

وأما أثمان المأكولات بتلك المطاعم فمعتدلة بخلاف المطاعم الاخرى التى لايقصدها الا الاجانب فترى أثمانها مرتفعة وأطعمتها رديئة ولولا وجود شركات المطاعم التى ذكرناها ويؤمها الباريسيون والاجانب الخبيرون باحوال باريس لتكبد الانسان نفقات باهظة بالمطاعم الاخرى التى جعلت لابتزاز النقود حيث جعل لمأكولاتها أثمان مرتفعة القيمة وقد يؤخذ ببعضها في مقابل أجرة المنشفة عشرون فرنكا كما يجرى بالمطعم الانكليزى وببعض مطاعم الشانزليزيه وغيرها وقد يتكلف الانسان باحداها ثمانين فرنكا ثمن أكلة لاتغني من جوع

ولما انتهينا من تناول الطعام وسلمنا الورقة الصفراء مختومة الى العامل الموجود بباب الدرج نزلنا الى الشارع واعتلينا عربة سيارة قاصدين المرور بالمدينة لنظر أهم جهاتها نظرة عامة

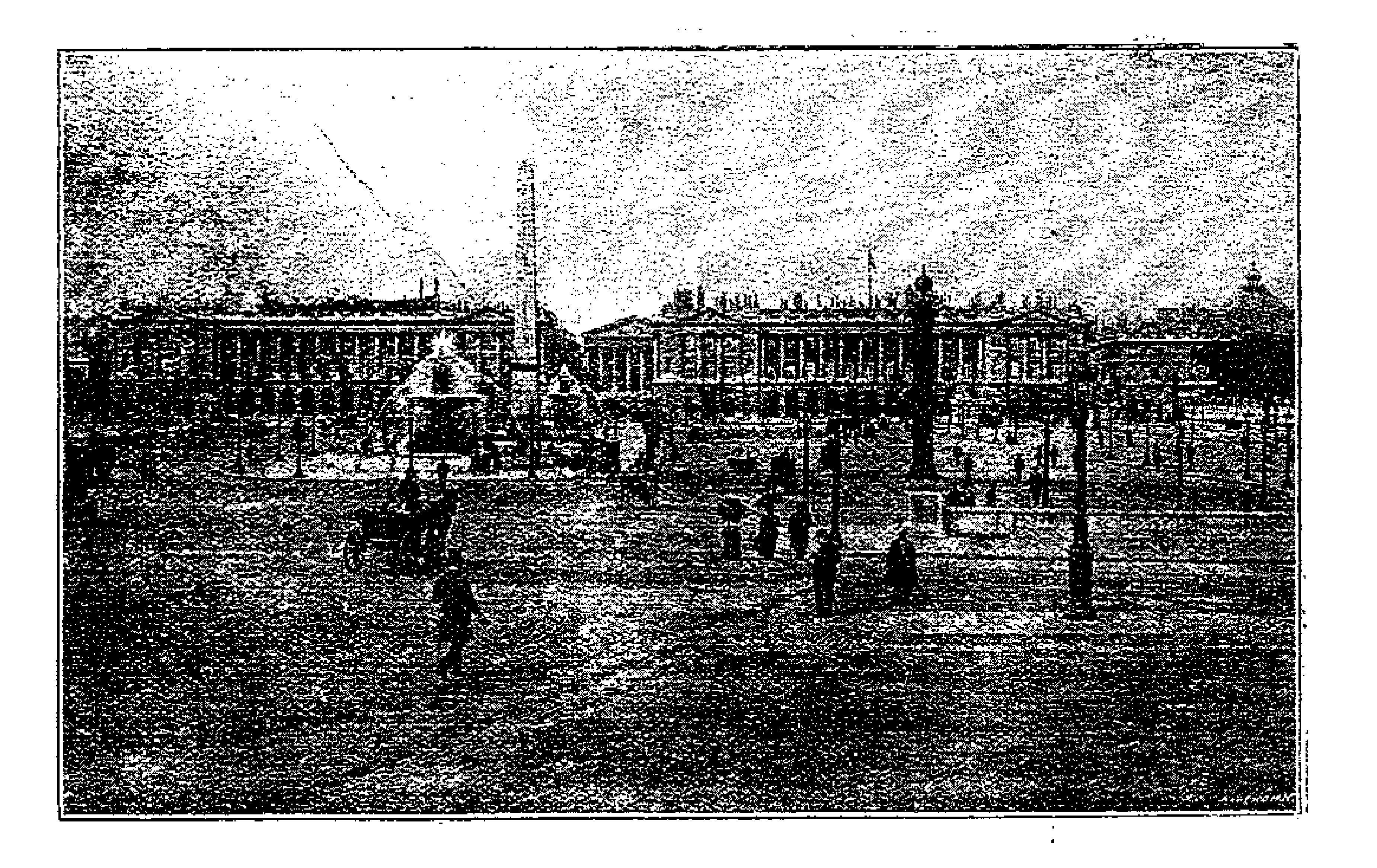
فاخترقنا الشارع الكبير الى جهة المادلين وهى كنيسة كبيرة ذات عمد باسقة من الاربع جهات بنيت على شكل

المباني اليونانية القديمة ولا تقل تلك العمد عن المائة ومنها سرنا
بالشارع الملوكي وهو شارع فخيم توجد بنهايته نظارة البحرية
الفرنساوية وميدان الكونكورد وهو أجمل ميدان بباريس بل
من أجمل ميادين العالم لا نظير له في الارض حيث لم يصنع الصانعون
ولم يوجد المهندسون ما يشبهه بهاء وجمالا قد أقيمت بأواسطه
البحيرات البالغة منتهى الاتقان يتدفق الماء من نافوراتها التى
صنعت على أشكال هى منتهي الابداع واقيمت الى جوانبه
الفسيحة النصب والتماثيل العديدة وقد جعل كل منها رمز
لعاصمة من عواصم الولايات الفرنساوية حتى أنه يوجد بينها
تمثال وضع رمزا لستراسبورج عاصمة الالزاس وقد وضعت
عليه اشارة سوداء دليل الحداد على فقد تلك الولاية وقد
نصب وسط ذلك الميدان مسلة مصرية أهداها المغفور له محمد
على باشا الي لويس فيليب ملك فرنسا ونقلت الى باريس سنة
١٨٣٦ وهى قائمة على قاعدة بديعة الصنع قد ذهبت جوانبها
وكتب على وجهاتها تاريخ نقلها من الاسكندرية واسم المركب
التي نقلت عليها واسم القبطان الذى كان يقودها

ومما جعل تلك الساحة تمتاز عن مثيلاتها بالبلاد الاخري حسن موقعها والمناظر التي تحيط بها لان الانسان اذا وقف بجانب المسلة واتجه الى شارع الشانزليزيه والتفت يمينا نظر الشارع الملوكى ونهايته كنيسة المادلين التي أتينا على ذكرها قائمة بعمدها الباسقة واذا التفت الى اليسار وجد نهر السين وعليه جسر بديع الاتقان والى نهايته سراى البرلمان المقام بوجهاتها الاعمدة الجميلة المشابهة لاعمدة المادلين واذا نظر أمامه وجد شارع الشانزليزيه وجناته الفيحاء واذا التفت الى ما ورائه لوجد حديقة التوليرى التي يضرب بحسن نظامها وبديع اتقانها الامثال

ويكون ذلك الواقف قد أشرف بنظره على أجمل وأحسن بقاع باريس بل أحسن وأجمل بقعة تفنن فى تزيينها عقل الانسان

وبالاختصار فان تلك الساحة بحسن موقعها وبما تحتويه من البحيرات والتماثيل وما يحيطها من المباني والحدائق والمناظر هى درة تاج باريس التى لم يصنع البشر ما عاثلها الى الآن



باريس ـ ميدان الكونكورد ـ (٣١٤)



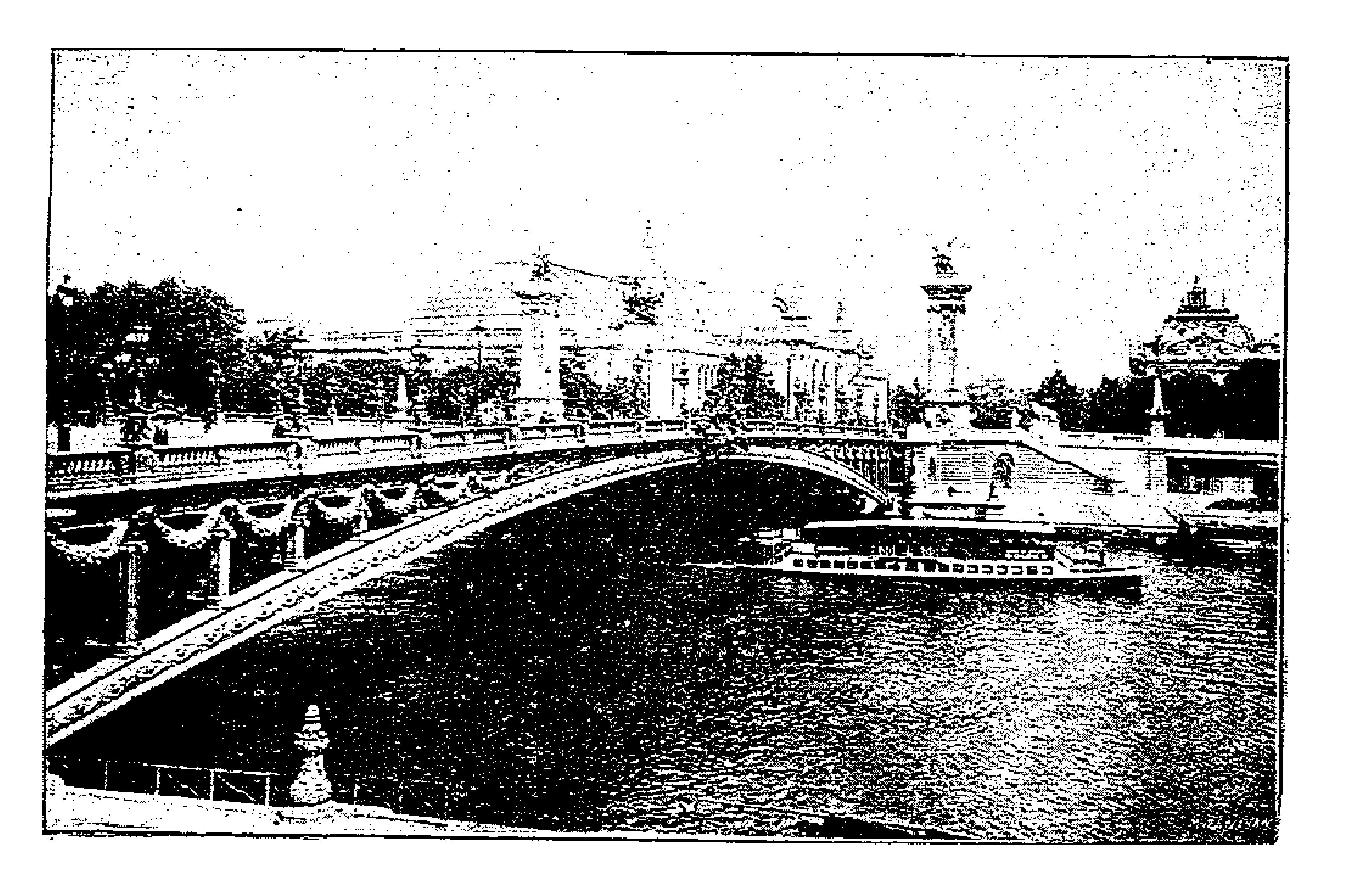
وتلك الساحة قديمة العهد اشتهرت من قبل الثورة الفرنساوية ولكنها قد اشتهرت فى تلك الثورة وتم فيها من الفظائع والاهوال ما تقشعر منه الابدان اذ جعلت مركزا لآلة الاعدام (جليوتين) وقد أعدم فيها رجال الثورة المئات والألوف من عظماء فرنسا وكبرائها حيث بلغ تعدادهم فى ظرف سنتين أى من سنة ١٧٩٣ الى ١٧٩٥ ما يقرب من الثلاث آلاف شخص منهم الملك لويس السادس عشر والملكة مارى أنتوانت زوجته وأخته اليصابات وأخوه الدوق دورليان وابن أخيه فيليب والد الملك لويس فيليپ وكثير من زعماء الثورة مثل روبسبير ودانتون وزعماء الحزب الملوكي وبعض الامراء ورؤساء الدين قد أريقت دماءهم جميعا فى تلك الساحة التي كان ذكرها فى زمن الثورة يرجف الابدان ويزعج من سماعه الانسان وقد تبدل الآن ذلك وصارت مقر السرور والابتهاج ومركز العز والبهاء وملتقى الغيد الحسان فسبحان الذى لا يتغير بتغير الحدثان

وقد سرنا بعد ذلك الي منتزه الشانزليزية المتصل بذلك

الميدان وهو من تلك الساحة بمثابة التاج على رؤوس ربات الافتنان حيث ينقسم الي عدة شوارع ومسالك أقيمت بينها الحدائق والغابات الصغيرة وبينهاشارع كبير الاتساع تنتابه العربات والسيارات الوفا ومئات وبه المطاعم والقهوات والمقاعد والفنادق الكبرى الغالية القيمة التي لا يقصدها الا الملوك والامراء والكبراء

كما يوجد به محلات للمراسح والطرب وهو بالاجمال الشارع الفخيم الذي يقصده المتنزهون من جميع انحاء باريس فاذا ذهبت نحوه وجلست بأحدي قهواته لنظرت الملايين من المتنزهين المختلفي الاجناس والازياء خصوصا أيام الآحاد والمواسم والاعياد فهو كعبة القصاد يزدحم فيه المتنزهون من بعد الظهر حيث يصلون منه الى غابة (بولونيا) المشهورة

ولما سرنا قليلا في ذلك الشارع أو المتنزه العظيم شاهدنا في اليسار قصرين عظيمين قد شيدتهما حكومة فرنسا لمعرض باريس سنة ١٩٠٠ وقد جمعا من حسن الرونق والبهاء ماتحار العقول في وصفهما حيث صنعا من المرمر النفيس وزينا



باريس في جسر اسكندر الثالث والسراى الكبرى - (٢١٦)



بأحسن الصور والنقوش ونصبت على وجهاتهما النصب والتماثيل وأقيمت بهما الاعمدة العديمة النظير وقد جعلوا فيهما معرضا لمعروضات المستعمرات الفرنساوية

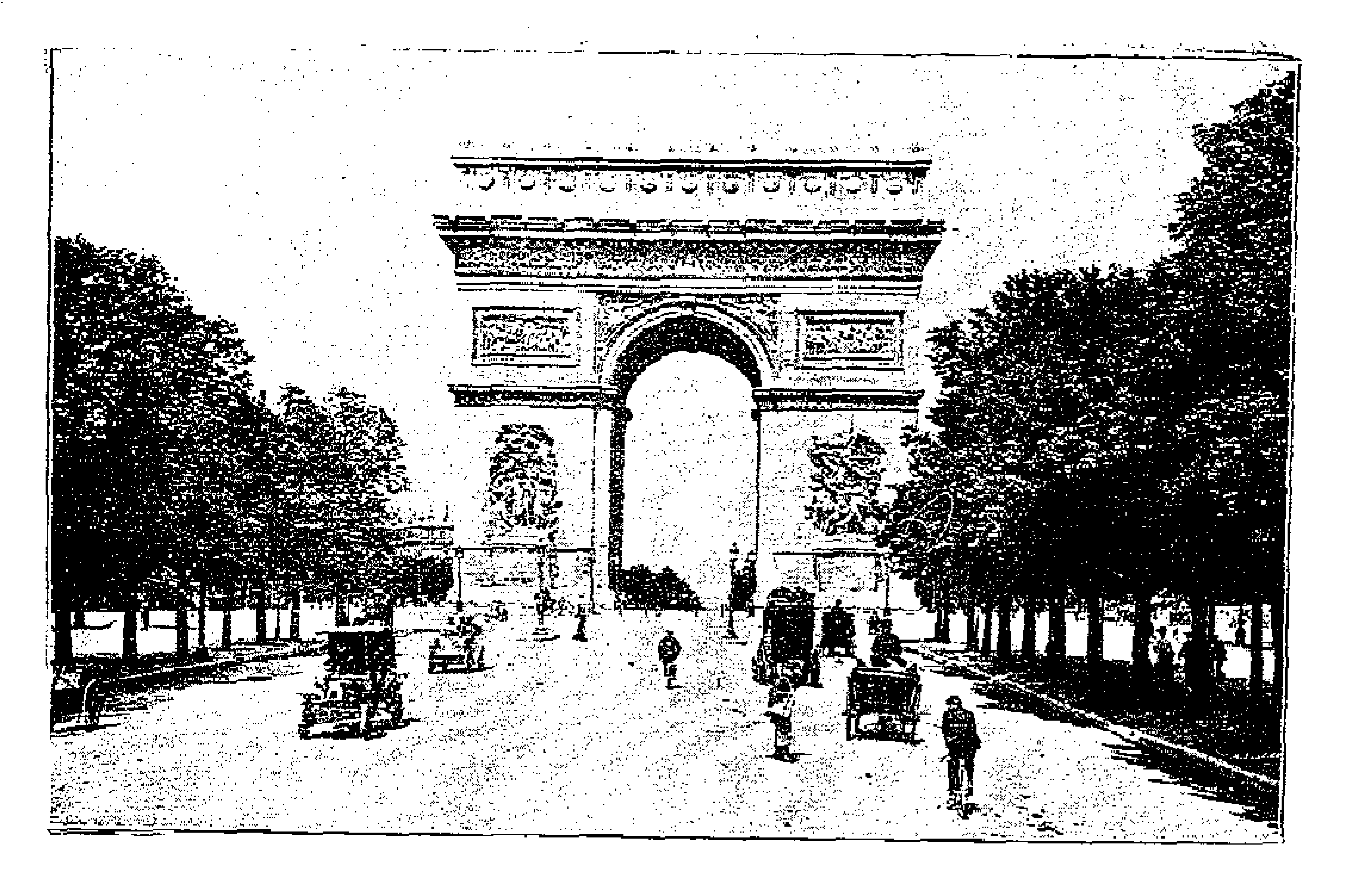
ويدعى أحدهما بالسراى الكبرى والآخر بالسراى الصغرى ويبلغ مساحة الاول ما يقرب من العشرة أفدنه وأقيمت داخله قبة عظيمة من البلور نصبت على أعمدة مضلعة جمعت أبهى حال الجمال حيث نقش على اضلاعها المرمرية ما يشبه ورق السنديان وغيره بألوانه الطبيعية ورصعت جوانبها بديع النقوش والزخارف ولا تقل السراي الصغري عن ذلك رونقا وبهاء لانها لا تقل عن الاولي فى محاسن الصناعة وان كانت تقل عنها فى اتساع الارجاء وسعة الجوانب .

وقد جعل بينهما شارع فخيم أقيمت على جانبيه المقاعد ليجلس عليها المتنزهون وبنهايته ذلك الجسر العظيم القائم على نهر السين وقد دعى باسم اسكندر الثالث (قيصر روسيا السابق) تخليدا لذكر التحالف المعقود بين فرنسا وروسيا وقد وضع

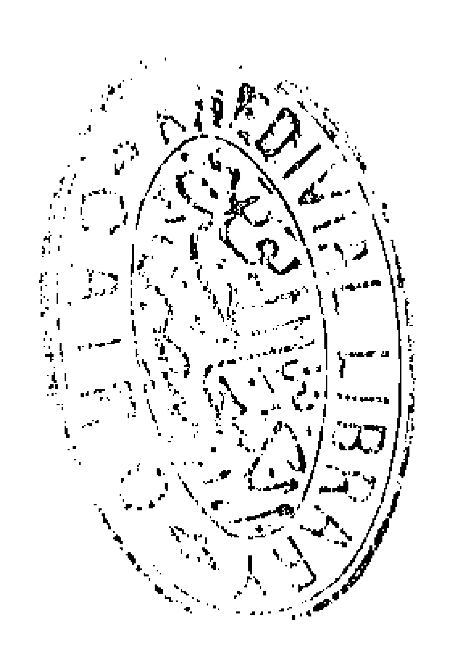
أساسه قيصر روسيا الحالي عند زيارته لباريس سنة ١٨٩٦ وكان وقتها وليا للعهد

وذلك الجسر من أجمل مناظر باريس ومن غرائب الصناعة المستحدثة لا يوجد نظيره في جمال الصنع وبديع الزخرف وهو عبارة عن قوس واحد أقيم على النهر وأركز طرفاه الي شواطئه على دعائم مبنية من الحجر الصلد وأقيمت عليه القباب الجميلة من الجانبين وطليت بالذهب الوهاج ووضع فوقها تماثيل على أشكال النسور الروسية مصنوعة من النحاس الأصفر ومحلاة بالذهب وقد أقاموا على جانبيه الحواجز الحديدية الممزوجة بالنحاس الاصفر ويبلغ طول ذلك الجسر من الجانبين ١٠٧ مترا وعرضه ٤٠ مترا ويوجد أمامه بضفة نهر السين اليسري ساحة متسعة تدعي ساحة الانفاليد (العجزة) بها سراى الانفاليد المدفون بها نابليون بونابرت العظيم سنأتى على ذكرها فيما بعد

ولما سرنا الى نهاية شارع الشانزليزية وجدنا ميدانا متسعا أقيمت وسطه قوس النصر عظيمة (وهي بوابة) كبيرة



باريس ـ قوس النصر ـ (٢١٨)



شاهقة البنيان موطدة الاركان ذات أربعة أبواب أقامها نابليون الاول ونقش على جوانبها أسماء البلاد والمدن والوقائع التي انتصر فيها وذلك تذكار لفتوحاته العديدة وانتصاراته الباهرة على الجيوش الاوربية وقد وجدنا اسم القاهرة بين تلك الاسماء وأتمها بعده الملك لويس فيليب ورسم على جوانبها بعض المعارك التي أحرزت الجيوش الفرنساوية فيها النصر

وتلك القوس أكبر قوس للنصر فى جميع أرجاء الارض حيث يبلغ ارتفاعها ٦٥ مترا وبها درج يصعد عليه الانسان حتى أعلاها فيشاهد جميع جهات باريس

وذلك الميدان يدعى ميدان الكوكب أقيمت الى جوانبه الشوارع العديدة المغروس بجوانبها الاشجار الباسقة ومشيد بها المبانى الفخيمة والقصور العظيمة وتلك الشوارع تعد بالعشرات أهمها شارع (بولون) الموصل الى غابة بولونيا وهو شارع فخيم أقيمت الى جانبيه الحدائق الجميلة والرياض الغناء بحشائشها السندسية وأشجارها البهية وبنهاية ذلك الشارع توجد (غابة بولونيا) تلك الغابة الشهيرة فى الآفاق وهى عبارة عن

عدة طرق ومسالك أقيمت بينها الاشجار وسط الرياض الانيقة والاحراج الفضة والبحيرات المتسعة الموجودة بأواسطها النافورات العظيمة فترى المتنزهين يتنقلون بعرباتهم المطهمة بين تلك المناظر يمتعون الطرف بالنظر الي تلك الازهار الجميلة المتنوعة التي تكتنفهم من اليمين الي اليسار والى الاشجار الباسقة والرياحين ذات الروائح العطرية والالوان البهية وبالجملة فان تلك الغابة التي ذاعت شهرتها في الآفاق هي مجمع أهل الظرف والترف وملتقى ذوى اليسار ومقصد ذوات الحجال من الباريسيين والباريسيات ومن ساعده الحظ من باقي الامم على الحضور الى تلك المدينة ذات المناظر الجميلة والنظام الباهر

تلك الغابة يقصدها الناس كل يوم ممتطين العربات المطهمة والسيارات الفخيمة والجياد الكريمة التي تنهب الارض وقد تحتشد بها تلك العربات والسيارات وتمشي الهوينا بحيث لا يكون بينها مسلك لراجل خصوصا في أيام الآحاد وما يتلوه من الاعياد فانها تكون مجمعا لذوى الاصفر الرنان والجمال الفتان

وتبلغ مساحة تلك الغابة ما يقرب من الـ ٩٠٠ هكتارا

من الارض خلاف حدائق ومتنزهات تتصل بالغابة وتعرف (بلونشان) وهى التي يستعرض فيها الجيش الفرنساوى فى يوم ١٤ يوليه من كل سنة

وتوجد بجانب تلك الغابة حديقة جميلة تدعى (چاردان داكليما تاسيون) يبلغ مساحتها ٢٠ هكتارا وبداخلها يوجد معرض للحيوانات البرية والبحرية والطيور وأشكال المخلوقات الحية جمعت من جميع أطراف العالم وبينها كل ذي منظر عجيب

ومما يؤسف له وجود قسم بين تلك المعروضات يعرف بالقسم الافريقى قد جمعوا به كثيراً من المخلوقات البشرية التي أحضروها من مراكش والسودان والحبشة ومصر والكونغو وتونس وغيرها وبينها سكان أواسط أفريقية العراة الاجسام بأوكارهم القذرة وعششهم النتنة المصنوعة من البوص والغاب وأسكنوهم هنالك ليشاهدهم الزائرون كأنهم قسم من القردة أو النسانيس

ومما زاد ذلك اشمئزاز النفوس سير هؤلاء الاقوام على هيئة موكب الخليفة الذى يعمل بمصر فى حفلات موالد

بعض المشايخ بالبلاد الريفية ومعهم طبلاتهم رافعين أعلاما بها بعض آيات قرآنيـة ومكتوب على كل منهـا اسم امارة من الامارات والممالك الافريقيـة كمراكش ومصر والحبشـة وغيرها وبينهم احدي الراقصات تركب بعيرا وتسير به ممثلة الخليفة ويتبعها الدراويش من عرب السـودان يركب كل منهم أتانا ويحمل بندقية والـكل يسيرون وينشدون بعض الآيات القرآنيـة ويجولون فى طرق الحديقـة والطرق المجاورة حتى يلفتوا انظار الناس للدخول بها

فعسى أن تتنبه حكومة فرنسا الي ابطال تلك العادة والى عدم جلب المخلوقات البشرية وحبسها بتلك الحديقة وتشبيهها بالقردة والنسانيس لكى لا تؤلم المصريين والافريقيين المتمدنين بتلك المناظر الماسة لاحساسهم وديانتهم

ويوجد غير ذلك بالحديقة كثير من النباتات والاشجار التى تنمو بالبلاد الحـارة قد أحاطوها بسياج من الزجاج وأوجدوا لها الحرارة الـكافية لنموها

وبها كثير من السباع والضوارى الاخرى وحيوانات

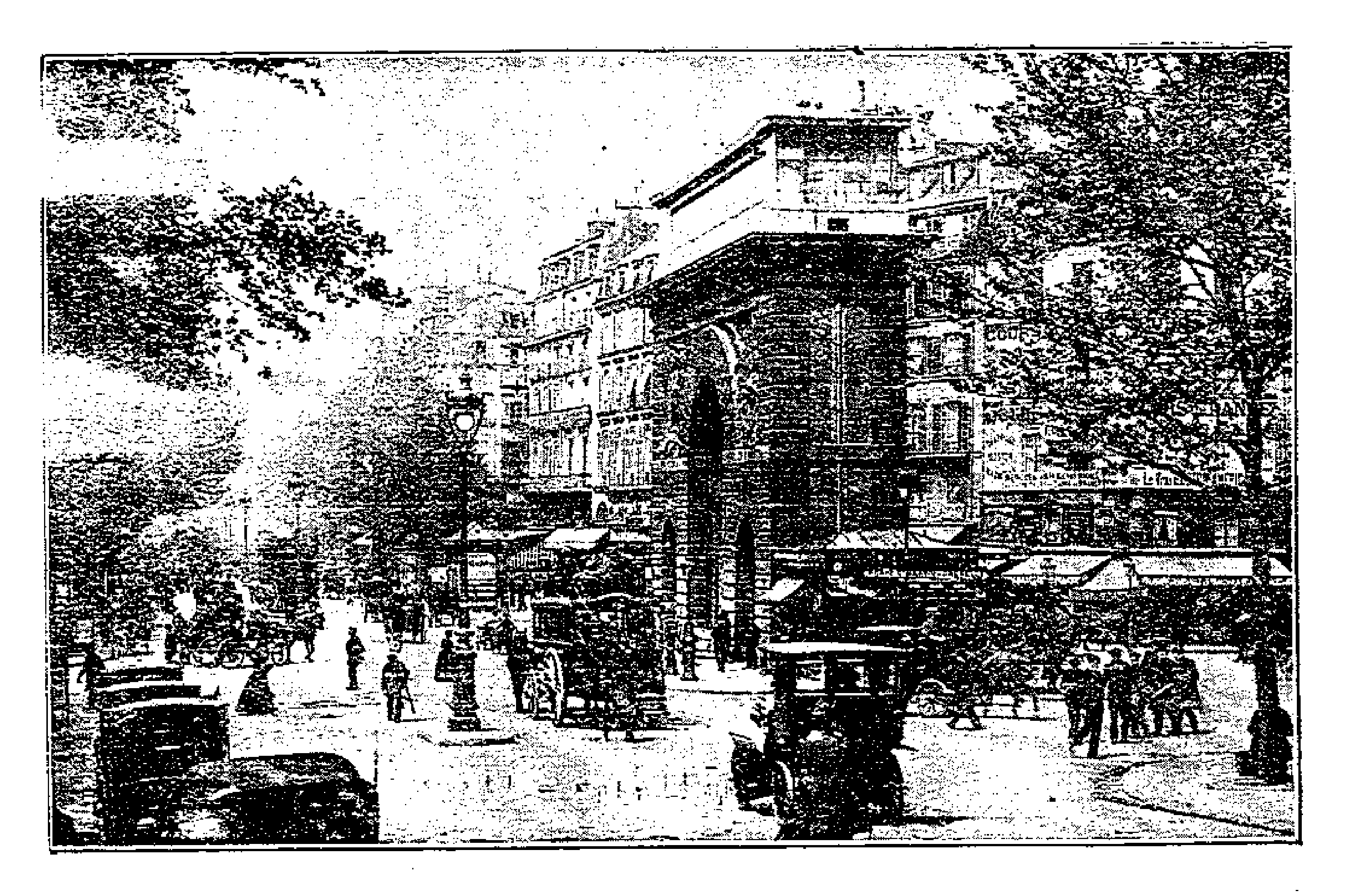
كبيرة تعيش في الماء وتسمي (سباع البحر) وهى عظيمة النشاط تغوص بسرعة في الماء وتظهر بالجانب الآخر وقد أوجدوا قطاراً حديدياً صغيراً يسير بطرقات الحديقة وعليه الناس يتنزهون ويتفرجون على مافيها من الاشياء العجيبة

ورجعنا بعد مشاهدتنا تلك المناظر الى النزل حيث تناولنا طعام العشاء وقد سطعت المصابيح الكهربائية الكبيرة بالشوارع والفنادق والمطاعم والدكاكين فكانت زينة للناظرين لان منظر باريس فى الليل منظر يسحر الالباب ويبهر العقول حيث تتجلى فيه الكهرباء بمصابيحها الوضاءة فتنعكس أشعتها على ما في الدكاكين من الجواهر والحلى وما فى الوجوه من البشر والسماحة فلا ترى الا نورا فى نور وسرورا فى سرور حيث يمتزج نور المكان بانوار السكان فيبدو الليل نهارا وتظهر بدل الشمس شموس وأقمار

وقد كان أكثر شوارع باريس سطوعا بالانوار ذلك المسمي (أفنوده لوبرا) لما علقت فيه من صفوف المصابيح الكهربائية المتقاربة ويليه (جران بولفار) وهو الشارع الكبير الذى

أتينا على ذكره وبما ان ذلك الشارع هو مركز البهاء ومجتمع الاقوام أثناء الليل والنهار لما صفت فيه من القهاوى والحانات فتراه دائما غاصا بالقوم الطافحة بهم حاناته وقهاويه فاذا سرت به تكون مضطرا الى أن تسير الهوينا من شدة الزحام واذا جلست باحدى قهواته مستعرضا المارين به أغناك ذلك عن الذهاب الى احدى الملاهي أو المراسح وكنت مضطرا الى الجلوس به الى ما بعد نصف الليل لما تراه امامك من المناظر الشهية والمرئيات العجيبة وبالجملة فانك لو زرت تلك المدينة العظيمة ولم تدخل ملاهيها ولم تزر متاحفها ولم تسمع عن غرائبها واقتصرت على التجول فى تلك الشوارع والجلوس بتلك القهوات اكتفى بها منظرا يرتاح اليه فؤادك ويطمئن به قلبك وتشهد بغرائب تلك المدينة التى لم ينشأ فى العالم الي الآن ما يشبهها جمالا ورواء .

وذلك الشارع الكبير يبتدئ من ميدان الجمهورية (بلاس ده لا ريبوبليك) وهو ميدان تتوسطه الحدائق البديعة وتتفرع منه الشوارع الكثيرة وبه محطات لقطارات الترام والعربات الجوالة ومحطة للقطارات المارة بأنفاق توجد تحت شوارع



باريس ـ باب سان‌مرتان ـ (٢٢٤)


KHEDIVIAL LIBRARY
CAIRO

المدينة وتسمى (مترو بوليتان) وينتهي ذلك الشارع الي كنيسة المادلين وينقسم الى عدة أقسام أطلق على كل منها اسم خاص به وهي

أولا (بولفار سان مارتين) توجد به عدة مراسح وتياترات وقوس النصر أقيمت تذكارا لانتصار لويس الرابع عشر ملك فرنسا في سنة ١٦٧٤ على الالمان ويليه (بولفار سان دنيس) وبه قوس للنصر كذلك أقيمت تذكارا للملك لويس المذكور بعد انتصاره على هولندا سنة ١٦٨٢

و (بولفار بواسونيير) به مدرسة لتعليم الموسيقى وفنونها تقصدها الطلبة من كل صقع و (بولفار موعمارتر) فيه معرض يعرف باسم صاحبه جرفلين به أشكال مشاهير الارض الحاليين وبعض مشاهير المتوفين صنعت من الشمع والجص وأتقن صنعها الي حد أن الزائر لا يميز الرجل الحي فيها من التماثيل وقد صنعوا بعض تلك التماثيل جالسة بجانب المقاعد المعدة لجلوس الزائرين فيأتي الزائر ويقف متأملا أمام أحد الجالسين ظانا أنه من التماثيل فما يشعر الا ويتحرك ذلك الجالس فيعود الواقف مضطربا من الخجل

ويتلو ذلك (بولفار ايطاليان) وبه بنك الكريدي ليونه الذي أتينا على ذكره وينتهي ذلك القسم عند ميدان الاوبرا ثم شارع (الكابوسين) الذي يبتدئ من قهوة السلام والجران أوتيل وينتهي عند بولفار المادلين الموصل الي الكنيسة تلك هي أقسام ذلك الشارع الكبير الذي هو من أحسن شوارع باريس المطروقة والغاصة بالسائحين

وقد ذهبنا تلك الليلة الى ملهى الماريني لمشاهدة ألعابه ومناظره وهو كائن باول الشانزليزيه قريبا من قصر الاليزيه مسكن رئيس الجمهورية وله مرسح جميل أقيمت به المقاعد على أحسن نظام وفرش بالطنافس الجميلة وله بهو فسيح ذو طبقتين ورواق جميل ممتد الى جوانب المرسح صفت به الرياش الفاخرة ووضعت به الأرائك العظيمة فتراه غاصا بالقوم أثناء انتهاء فصول التمثيل وتتصل به طرقات جميلة أقيمت خارج الرواق وملتفة بالمرسح وضعت بجوانبها الازهار والرياحين ووضعت بها المقاعد لجلوس المتنزهين وفرشت بالمرمر الملون وبها جوقة موسيقية تشنف الاسماع بألحانها الشجية وتلك الطرقات الخارجية

بالمرسح جعلت مكشوفة لجلب الهواء لان ذلك الملهى يشتغل أثناء
فصل الصيف فقط حيث يبدل فى الشتاء بملهى ال (فولى برجير)
وهو بشارع قريب من ال (جران بولفار) وله بهو خارجى
فسيح قد فرش بابهى الطنافس ووضعت به الارائك الجميلة
أقيمت وسطه فسقية من المرمر الجميل بها نافورة بديعة
الصنع ترسل الماء رذاذا فتلطف الهواء الممتزج بزفير القوم
الغاص بهم المكان وأقيمت المقاعد العديدة بجوانب تلك
الفسقية ليجلس عليها الناس عند خروجهم من محل التمثيل طلبا
لتجديد الهواء

وأقيم بآخر ذلك البهو درج فرش بالطنافس الجميلة
المركزة على أقضبة من النحاس الاصفر وهو درج بديع الصنع
ذو فرعين احداهما للصعود والآخر للهبوط ومن هناك يصعد
الناس الى مماشى جميلة وضعت بها الحواجز من النحاس
الاصفر وتمتد تلك المماشى مع البهو وتلتف به من كل الجوانب
ولها درجان آخران بأركان البهو ليصعد الناس عليها ويهبطون

وقد أنير ذلك البهو بالمصابيح الكهربائية الكبيرة وعلقت بوسطه ثريا بديعة الصنع وأقيمت المرائى العديدة الى حوائط البهو وصفت بجوانبه ووضع به الحانات والقهوات العديدة كما أوجدوا به محلا للتمثيل والرقص الشرقى وأقاموه عند نهاية الممشى العلوية بجانب رأس الدرج المتوسط البديع يقصده الناس حين انتهائهم من فصول التمثيل ويوجد داخلا محل التمثيل يحيطه بهو فسيح أقيمت المقاعد عدة طبقات الى جوانبه وكله مفروش بفاخر الطنافس والرياش الجميلة ويسع الألوف من المتفرجين

وتلك المراسح هى من محلات اللهو العادية ويوجد الكثير منها بباريس حيث يربو عددها فيها عن المئات وأشهرها بعد المارينى والفولى برجير مرسح الطاحونة الحمراء (مولان روج) و(سيجال) و(ألومبيا) و(اسكالا) و(الكازار) و(باريزيانا) (والدرادو) ومرسح (الحمرا) و(بال تباران) و(بال بيلييه) وغيره وأغلب ما فيها الرقص والتمثيل الهزلى وتوجد ملاهى ومراسح أرق من ذلك وهى ذات الدرجة الثانيـة

بين مراسح باريس منها الملهى الفرنساوى بالميدان الملوكى وملهى الأوديون القريب من سراى لوكسامبورج ومرسح سارا برنار وملهى الشاتليه المواجه له وهما على شاطئ السين من جهة بولفار ستراسبورغ وغير ذلك من المراسح والملاهي التى تشبهها وتعد بالعشرات وكلها معدة للكوميدية والتمثيل

وقد يجرى تمثيل احدي الروايات باحدى تلك المراسح ويعاد تمثيلها مدة سنة كاملة لزيادة الاتقان وكثرة السكان الذين لا تمكنهم مشاهدة الرواية الا اذا أعيد تمثيلها مراراً ومكثت أشهراً عديدة لان أهل باريس لهم شغف زائد بالذهاب الي المراسح والتياترات لمشاهدة التمثيل فاذا فرض أن المرسح يسع ستة آلاف أو ثمانية آلاف شخص كل ليلة فيقتضي سنتين أو سنة على الاقل ليحضر التمثيل بذلك المرسح مليونان من السكان ولذا ترى أن أغلب تلك المراسح والملاهى تنتقى كل منها رواية تعيد تمثيلها تباعا طول السنة

وأما المراسح ذات الدرجة الاولي بباريس اثنان ملهى الأوبرا والأوبرا كوميك وهما مخصصان لاجواق الأوبرا

والتمثيل ذى المناظر المتنوعة

ويوجد ملهى الأوبرا بالميدان المسمى باسمها بجانب الفندق الكبير وهى أجمل وأفخم بناء من نوعها فى العالم بل هى أحسن بناء للموسيقي والتمثيل في الوجود واذا قورنت المبانى التي تؤثر في نفس ناظرها من الخارج والداخل لكانت الأوبرا الپاريسية في أولها اذ بنيت وسط الشوارع الكبيرة وملتقى الطرقات الشهيرة مما يزيد عن العشرين شارعا نخيلا تمتد من الأوبرا الى أرجاء المدينة وقد أقيمت بها التماثيل من الخارج والداخل مصنوعة من النحاس الأصفر والرخام البديع الصنع ونصبت بها الابواب العديدة يصعد الناس اليها على درج من المرمر الملون فمنظرها من الخارج يبهر العقول ويسحر الألباب لما يحويه من التماثيل والنقوش الدقيقة فضلا عن قبتها العظيمة ذات البهاء النادر وأما من الداخل فهى آية الابداع في النقش والصناعة والزخرف والزينة خصوصاً بهوها الكبير الذى يتم فيه التمثيل فهو آية من الآيات ومعجزة من المعجزات به الاعمدة الرخامية المذهبة والنقوش البديعة

باريس ـ الاوبرا ـ (٢٣٠)



والمقاعد الفاخرة عروشه تلمع وجدرانه تستطع مما يسحر الالباب يصعد اليها الناس على درج بديع الشكل غريب الوضع صنعت درجاته من المرمر الابيض يعلوها سياج من الرخام الازرق وجدران من الرخام الاحمر والاسود والاخضر وعند ما يرتقى عليها الانسان يرى الناس يصعدون ويهبطون من كل جانب ومكان فى فروع ذلك الدرج العجيب حتى يخيل له أنه فى المنام تائه بين أضغاث الأحلام أو انما أمامه صور سيماتوغرافية لا حقائق واقعية خصوصاً ما يراه من فخامة ذلك المكان الساطع أنواره المذهب رخامه وبه نخبة الرجال وربات الحجال بأنفس ملابسهن الحريرية وجواهرهن الثمينة التى تنعكس عليها أنوار المصابيح الكهربائية فتبدو آية من الجمال تفتن القلوب وتزهل العقول ويتمني معها الانسان لو تطول تلك الساعات وتكون أشهراً وسنيناً .

وفي خلال فصول التمثيل يخرج الناس من المرسح يسيرون الخيلاء فى رواق جمع حد الأعجاز فى الصناعة وبها

المنظر طليت جوانبه بالذهب الوهاج ونقشت بادق النقوش وفرشت أرضه بالمرمر الملون ووضع عليها الطنافس الجميلة والارائك الفاخرة فيه تنفتل القدود وتتورد الخدود وتكثر النظرات وتتهادى ربّات الدلال بجميل الازياء ويبنهن الآيات البينات من ربات المحاسن الفتانة ما ينسى معه الانسان الهموم والاكدار

وقد عولت علي زيارة دور الآثار المنتشرة بجميع أرجاء المدينة وضواحيها ورؤية منتزهاتها فخصصنا لكل جهة يوما نقضيه بها لمشاهدة آثارها .

وقد رأيت أن آتى هنا على وصف أوضاع المدينة لكى يسير القارئ معي أينما سرت ويكون ملما بجهاتها لان المدينة على منبسط من الارض يخترقه نهر السين ويرسم جزء من ذلك النهر نصف دائرة تضم أغلب أحياء المدينة الشهيرة ويقع على ضفته اليمنى سراي البلدية واللوفر والتولري والسراي الكبري والصغرى والتروكاديرو وجهات الاوبرا وغيرها كما يوجد علي ضفته اليسري الحى اللاتينى وسراى الانفاليد ولوكسامبرج وسراي الحقانية والبرلمان وكنيسة نوتردام وغيرها

وعلى كل فان ضفتى نهر السين تحوي أعظم قصور ومبانى باريس الفخيمة الموجود بهـا أعظم الآثار وقد بنوا على نهر السين جسوراً حديدية وحجرية عديدة لسهولة المواصلات بين الشاطئين وأعدوا به بواخر صغيرة وكبيرة تقصد جهات المدينة الواقعة الى جانبيه فمنها ما تتجه نحو (شارنتون) الواقعة بأطارف المدينة ومنها ماتقصد جهة (أوتاى) و(سيفر) وسانكلو الواقعة بالطرف الآخر كما أوجدوا بالمدينة كثيراً من وسائل النقل لتسهيل المواصلات بين أطرافها الشاسعة منها قطارات الترام المتعددة الانواع والاشكال التي تسير بباقى الشوارع وأكثرها ذو طبقتين وتوجد بها العدد المسيرة التى تشتغل بالبنزين وبالكهرباء كما يوجد بالعربات السيارة (أوتوموبيل) والبعض تمتد له سنجة بأعلى العربات وتستمد قوتها الكهربائية من الاسلاك المعلقة بالشوارع (كما يوجد بالقاهرة) وهى قليلة كما يسير بعضها بآلات ميكانيكية قاطرة كقطارات الطرق الحديدية الضيقة

كما يوجد بتلك المدينة العظيمة الكثير من العربات الجوالة

(أمنيبوس) المعروفة عندنا ويجر بعضها الخيول والبعض يسير بآلات صغيرة موضوعة داخلها ونظرا لاتساع المدينة وكثرة السكان وترامي أطرافها البعيدة وعدم كفاية وسائل النقل المزدحمة بها شوارعها المتسعة لنقل السكان والذهاب الى محلات أشغالهم لقضاء أعمالهم مع السرعة المتناهية التي تتطلبها شدة الحركة في تلك المدينة المشهور سكانها بالنشاط والاقدام قد أوجدوا قطارات عظيمة تسير (في أنفاق ثقبت تحت الشوارع) بسرعة متناهية وتمتد تلك الانفاق الي جميع جهات المدينة فيتمكن الراكب أن ينتقل على القطارات التي تسير داخلها من طرف الى آخر في أقل من ساعة وقد أقاموا بها المحطات المتقاربة فاذا رغب الانسان ان يذهب الى احدى الجهات فما عليه الا أن يهبط الي احدى المحطات وينزل على درج جميل فيصل الي بهو فسيح به النوافذ العديدة المعدة لاخذ تذاكر الركوب فيستلم التذكرة بعد دفع قيمتها وهى ٢٥ سنتيما للدرجة الاولى و ١٥ للدرجة الثانية ثم ينزل الى أرصفة القطارات فيجد محلا جميلا معقوداً عروشه بالحديد ومبنية جدرانه وسقوفه بالطوب

الصيني الابيض الجميل وعندها ينظر بالخرطة الموضوعة بالمحطة باحثاً عن المحطات التي يجب عليه الانتقال فيها لركوب قطارات أخرى توصله الى حيث يقصد وعند حضور القطار المركب من خمس عربات (صنعت على شكلها عربات ترام عين شمس الكهربائي بضواحي القاهرة) يعتليه وينتقل فيصل الى الجهة المقصودة وفى أغلب المحطات يجد القطارات متقاطعة ومتجهة نحو خطوط كثيرة وعندها يكون مضطرا الى الهبوط على درج يتلو درجا أو الصعود الى عدة طبقات حتى يصل الى القطار المطلوب لان كل فرع من الفروع قد جعل له رصيفان بمحل خاص تكتنفه محلات القطارات الاخري من كل الجوانب وقد يزيد طبقات بعض المحطات تحت الشوارع عن الاربعة لكثرة الخطوط الموجودة بها

وقد لا يهتدي الانسان الغير المتعود على ركوب تلك القطارات الى طريق الخط الذي يطلبه مع وجود أسماء الخطوط والاتجاهات مكتوبة على المنافذ الموصلة للقطارات وقد يحار الانسان عند وجوده بمحطة الكوكب (الكائنة بأسفل

بذلك الميدان) لتضارب الخطوط الموجودة بها وكثرتها ولا يتمالك نفسه دهشا عند مكثه نصف ساعة بها (على الاقل) وهو لا يعلم الى أي طريق يتجه

ولم يكتف هؤلاء القوم بتسيير القطارات تحت الشوارع بل أوصلوها الى الجهة الأخرى من المدينة مارة في أنفاق ثقبت تحت نهر السين وذلك بين ميدان (الشاتليه) وميدان (القديس ميشيل) وتراها في بعض الجهات تعبر ذلك النهر على جسور وضعت عليه وركبت فوق بعضها الي ثلاث طبقات خصص احداها لمرور الناس وعربات الترام والطبقة الثانية لترام المترو بوليتان والثالثة لقطارات السكك الحديدية

وفي بعض الشوارع قد تسير قطارات ترام (المترو بوليتان) فوق جسور حديدية أقيمت على دعائم من الحجر وعمد من الحديد فترى القطار يسير بأعلى الشوارع والناس من تحته وقد يبلغ امتداد تلك الجسور في بعض جهات المدينة عدة كيلو مترات كما يشاهد بجهة ميدان الكنيسة (پلاس لا شاپل) فاذا وقفت قريبا من ذلك الميدان بشارع (بولڤار ا كستاريور)

تجد قطارات السكك الحديدية سائرة تحت الجسر الذي تقف عليه ذاهبة الي محطة الشمال وترى عربات الترام والامنيبوس تحاذيك بالشارع ويعلوك جسر آخر تسير فوقه قطارات المتروپوليتان التي تسير منها الآلاف كل يوم مخترقة جهات المدينة وعليها مئات الالوف من الراكبين

ذلك خلاف العربات التي تجرها الخيل والعربات السيارة (أوتوموبيل) المنتشرة بجميع جهات المدينة حتى لا يخلو شارع من العشرات والمئات منها لان الجمهور يفضلها كثيرا على العربات الأخرى لسرعة سيرها واعتدال أجرها وقد وضعوا بها وبأكثر عربات باريس آلة صغيرة (تاكسيمتر) لقياس المسافات وتحديد الاجرة وبذلك يرتاح الراكب لانه بعد وصوله الى المكان المرغوب ينظر في تلك الآلة فيجد الأجرة الواجب دفعها فيعطيها للسائق ويزيده شيئاً على سبيل البقشيش ويقدر باعتبار المائة بعشرين وبذلك لا تكون ثمة مناقشة بينه وبين السائق كما يجرى بالعربات الغير الموضوعة بها تلك الآلة

وأما دور الآثار ومتاحف المدينة فهى كثيرة تعد بالعشرات وقد خصص للدخول فى بعضها أيام وساعات معلومة والبعض أبيح زيارته كل الايام ونظرا لكثرة تلك المتاحف وما تحويه من الآثار الثمينة والاشياء النفيسة التى لا تكفى المجلدات الضخمة لوصف بعض ما تشتمل عليه بل يجف المداد وتكل الاقلام دون الوصول الى وصف عشر معشار ماتحويه من النفائس الثمينة والتحف النادرة المثال فقد رأيت أن آتى هنا على ذكر أسماء بعضها ومواعيد دخوله تمهيد الذكر ما تحويه بعض المتاحف الشهيرة بتلك المدينة العظيمة من الآثار النفيسة واليك الاسماء

١ — متحف اللوفر الكبير وبه الكثير من الآثار المصرية والشرقية واليونانية والرومانية والرسومات والصور العظيمة وبعض نماذج وآلات تختص بالبحرية ويزار كل الايام من التاسعة صباحا الى ٤ بعد الظهر فى الشتاء والى السادسة مساء أثناء فصل الصيف ما عدا يوم الاثنين من كل أسبوع

٢ — متحف سراى لوكسامبورج فى المواعيد السابقة

٣ — مجمع الاطباء بشارع سانت بيير و بولفارسان جرمن

٤ — قوس النصر بميدان الكوكب يزار كل الايام

٥ — قوس النصر بميدان كاروزيل مثله

٦ — كنيسة سان دنيس الكبرى يزار بها المقائر ومدافن الملوك والكنوز الملوكية

٧ — مجارير المدينة ومغائر دفن الموتى تزار يوم أول كل شهر

٨ — كنيسة الاستغفار بشارع أنجوسانت هونورى ٦٢ مفتحة كل الايام

٩ — مسلة يوليه بميدان الباستيل

١٠ — مسلة الميديسيسى بشارع ڤيارم

١١ — مسلة العرش بميدان الوطن

١٢ — مسلة الڤاندوم بميدان الڤاندوم

١٣ — مسلة ڤيكتوار بميدان الشاتليه

١٤ — أوتيل الكرنڤال بشارع سڤيڤيتى ٢٣ وبه دار الكتب والآثار التاريخية لمدينة باريس ومفتحة كل يوم من العاشرة الى أربعة بعد الظهر

١٥ — سراى العجزة من الساعة الحادية عشر الى الرابعة
بعد الظهر

١٦ — محل صنع الورق الوطني يزار يوم الخميس مع الاذن

١٧ — محل عرض الموتى المجهول أسمائهم ومتوفون
خارج منازلهم بميدان الارشيفيشى

١٨ — الكنيسة المقدسة داخل مبانى سراى الحقانية تزار
كل الايام باذن من قومندان السراى

١٩ — برج سان جاك بشارع ريفولى كل الايام

٢٠ — البانتيون بميدان البانتيون وبه مدافن العظماء يزار
كل الايام ماعدا الاثنين

٢١ — متحف فنون الزخرفة بسراى الصنائع تزار كل
الايام مع دفع فرنك أجرة الدخول في الايام
الاعتيادية وفرنك ونصف فى أيام الآحاد والمواسم
والأعياد

٢٢ — متحف الطوبجية بسراى العجزة يزار يوم الثلاث
والخميس والاحد من الظهر الى الساعة الرابعة

٢٣ — دار تعليم الموسيقى كل يوم من الظهر الى الرابعة

٢٤ — متحف سان چرمن يزار يوم الثلاث والخميس والاحد من ١١ الى ٤ بعد الظهر

٢٥ — متحف سراي ڤرساى بمدينة ڤرساى كل يوم من ١١ الى ٤

٢٦ — كنيسة نوتردام باريس يزار بها البرج ومحل الكنوز كل يوم من الساعة العاشرة الى الرابعة بعد الظهر

٢٧ — متحف الحفر والنقش على النحاس والرخام بسراي التروكاديرو تزار كل الايام من ١١ الى ٤ بعد الظهر

٢٨ — دوپويترين بشارع مدرسة الطب بعمارة المدرسة الجديدة للتمرين يمكن زيارته مع الاذن

٢٩ — متحف العقائد القديمة بأڤنو بيانا

٣٠ — متحف الحمامات الحارة وفندق كلونى بشارع سوميران مفتوح كل الايام من ١١ الى ٤

٣١ — قبر الامبراطور نابليون يزار أيام الاثنين والثلاث

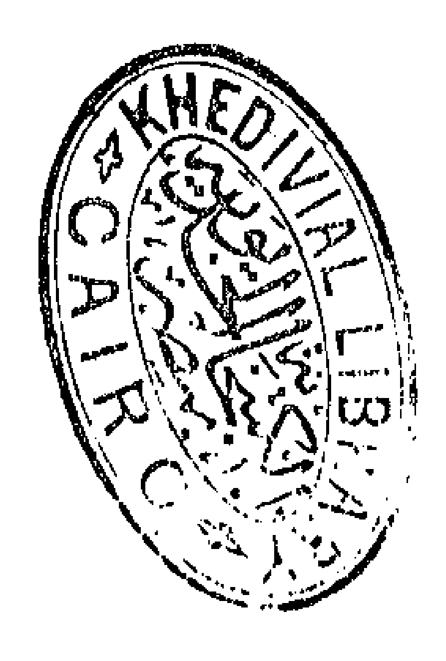
والخميس والجمعة من الظهر الى الساعة الثالثة

ويوجد غير ذلك الكثير من المتاحف ودور الآثار الكثيرة المنتشرة بأنحاء المدينة وضواحيها مما فاتنا ذكر أسمائها مكتفين بوصف ماتحتويه بعض المتاحف الشهيرة التى ذكرناها مبتدئين

بمتحف اللوفر العظيم

سراى اللوفر الفخيمة هى بناء ضخم واسع الارجاء شيد ليكون مسكنا لملوك فرنسا بدؤا فى بنائه سنه ١٥٤١ وقد بذل كل منهم الجهد فى تزيين تلك السراي وزخرفتها وتوسيعها على ممر الزمان وكان آخرهم الامبراطور نابليون الثالث الذى أدخل على بنائها وزخرفتها التحسينات البديعة وجعلها تتصل بقصر التولرى الذى كان معدا لسكنه فبلغت مساحتهما معا ١٩٥٠٠٠ مترا مربعا وقد تخرب جزؤ من قصر التولري فى ثورة الكومون بعد انكسار فرنسا في حرب السبعين فلم تهتم الجمهورية باصلاحه وأبقت بعض محاسنه أثرا جليلا وأصلحت الحديقة التى صارت الآن من أحسن متنزهات المدينة حيث تمتد من القصر محاذية نهر السين وشارع ريفولى

باريس - شارع ريفولي - (٣٤٢)



حتى تتصل بميدان الاتحاد (الكونكورد) وتحيط تلك الحديقة الاسوار الجميلة وبها الكثير من البحيرات ذوات النافورات العظيمة وبها من الرياض الغناء المغروس بها الازهار ذوات الالوان البهية والروائح العطرية ما يحار فى وصفها الواصفون يؤمها الالوف العديدة من سكان المدينة للتنزه بين طرقاتها الجميلة ومسالكها البديعة والجلوس على تلك المقاعد المصفوفة بكثرة فى كل الجوانب فيسمعون نغمات الموسيقى التى تصدح فيها أكثر أيام الاسبوع ومع كثرة اكتظاظ الناس بتلك الحديقة فانهم جميعا من سكان المنازل المجاورة لها لأن منتزهات باريس كثيرة متعددة تنتشر فى جميع أحياء تلك المدينة الواسعة الارجاء فيكتفى سكان أحيائها بما لديهم من المنتزهات دون الذهاب الى المنتزهات الأخرى بالمدينة الا في أيام الآحاد والمواسم والاعياد فانهم يقصدون المنتزهات البعيدة بضواحي المدينة ولذا ترى أن أكثر الباريسيين قد عاشوا فى المدينة السنين الطويلة ولم يتأت لهم الدخول ببعض تلك المنتزهات لكثرتها وانتشارها فى جهات لم تكن مطروقة لهم

ويوجد بتلك الحديقة قوس للنصر صنعت جوانبها من الرخام ووضع بها التماثيل المرمرية العظيمة

وبناء متحف اللوفر ذو ثلاث طبقات خصص منها الطبقة السفلى للآثار القديمة وبينها الآثار الشرقية العديدة منها المصرية والفارسية والاشورية كما وجد بذلك القسم الكثير من آثار اليونان والرومان وغيرها من الآثار القديمة التي يشاهدها الزائر حين تخلله اياها وقد رقمت عليها أسماؤها وأنواعها ويوجد بتلك الطبقة التماثيل العظيمة التي تفنن في صنعها الأقدمون وبينها التماثيل اليونانية القديمة الجميلة منها تمثال (منرف) آلهة الجمال عندهم وهي أجملها على الاطلاق

وبذلك القسم ما يمثل تاريخ الرومانيين والأشوريين والمصريين ورسوم مواقعهم الحربية وصور وتماثيل ملوكهم ومشاهير نبغائهم ويبين ذلك التحف الثمينة من مصنوعاتهم ونقوشهم ونفائس كتاباتهم المحفورة على الحجر والرخام وبه بعض أجسام قدماء المصريين المحنطة

ويوجد بالطبقة العليا قسم الصور والرسوم المتقنة وهي

تناهز الأربعة آلاف صورة وكلها من بديع الرسم والتصوير ومن معجزات الصناعة وآيات البراعة وما هو جدير بصنع مشاهير المصورين الفرنساويين مثل روفائيل وميسونيه وغيرهم ممن كان يباع الرسم الواحد من تصوير أحدهم بعشرات الألوف من الجنيهات وبين تلك المعروضات الصور والرسوم العديدة التى تقدر قيمة الصورة الواحدة منها بما يزيد عن عشرين ألفا من الجنيهات منها الصور التى تمثل الوقائع الشهيرة بالبر والبحر وصورة كليوبترا ملكة مصر وصورة يوم القيامة وما تمثل تخيلات المصورين التى تطابق تصورات الشعراء الماهرين مما يقصر اليراع عن وصفه ولا تكفى المجلدات الضخمة لتبيان شدة تأثيره فى النفس لان الانسان اذا قضى الساعات العديدة متأملا فى احدى تلك الصور ناظرا الى دقائقها مستفسرا عن وقائعها لكان له في كل خط خطه المصور بين جوانبها سر عجيب ومرام بعيدة تكاد تنطق عما تم من الحوادث العظام وما فى نفس المصور من علو المدركة وسمو الفكر

ويكفى القارئ على تنافى ذلك القسم من النفائس والصور النادرة التى تقدر بالملايين حضور كبار المصورين من أمريكا وأوربا وجميع أرجاء العالم المتمدين ومكثهم الأشهر والسنين بذلك المتحف مشتغلين بتصوير ما يماثل صورة البديعة وعندما يتم أحدهم رسم صورة أو صورتين يرجع الى بلاده ليبيعهما بالألوف من الجنيهات

وبه قسم يوجد فيه التحف النفيسة والجواهر الثمينة مما جمعه ملوك فرنسا الأقدمون واستولت عليه الجمهورية بعد سقوطهم وقد باعت منه سنة ١٨٨٧ مقداراً عظيما وأبقت القليل موضوعا بذلك المتحف أثراً تاريخيا وبه سيف لنابليون مرصع بالجواهر الثمينة وبعض حلى باهرة وأحجار كريمة وبالجملة فان ذلك المتحف الكبير قد جمع أنفس النفائس وأتحف التحف وأبهى المناظر مما لا يمل منه الزائر بل تراه يقضى الساعات العديدة فى مشاهدتها والتأمل فيها ويتمنى لو يكون لديه متسع من الوقت ليقضيه فيها ولكن كثرة وجود المتاحف بتلك

المدينة العظيمة تضطره لبارحتها ومشاهدة غيرها من مختلف الآثار وبديع التحف

ويلي سراى اللوفر في الفخامة وكثرة التحف سراي الأنفاليد الموجود بها مجموعة من الاسلحة القديمة والحديثة لجميع الامم ومجموعة من الاسلحة الفرنساوية والمدافع التي استعملتها فرنسا في حروبها وما غنمه نابليون بونابرت من المدافع والأسلحة في حروبه ووقائعه

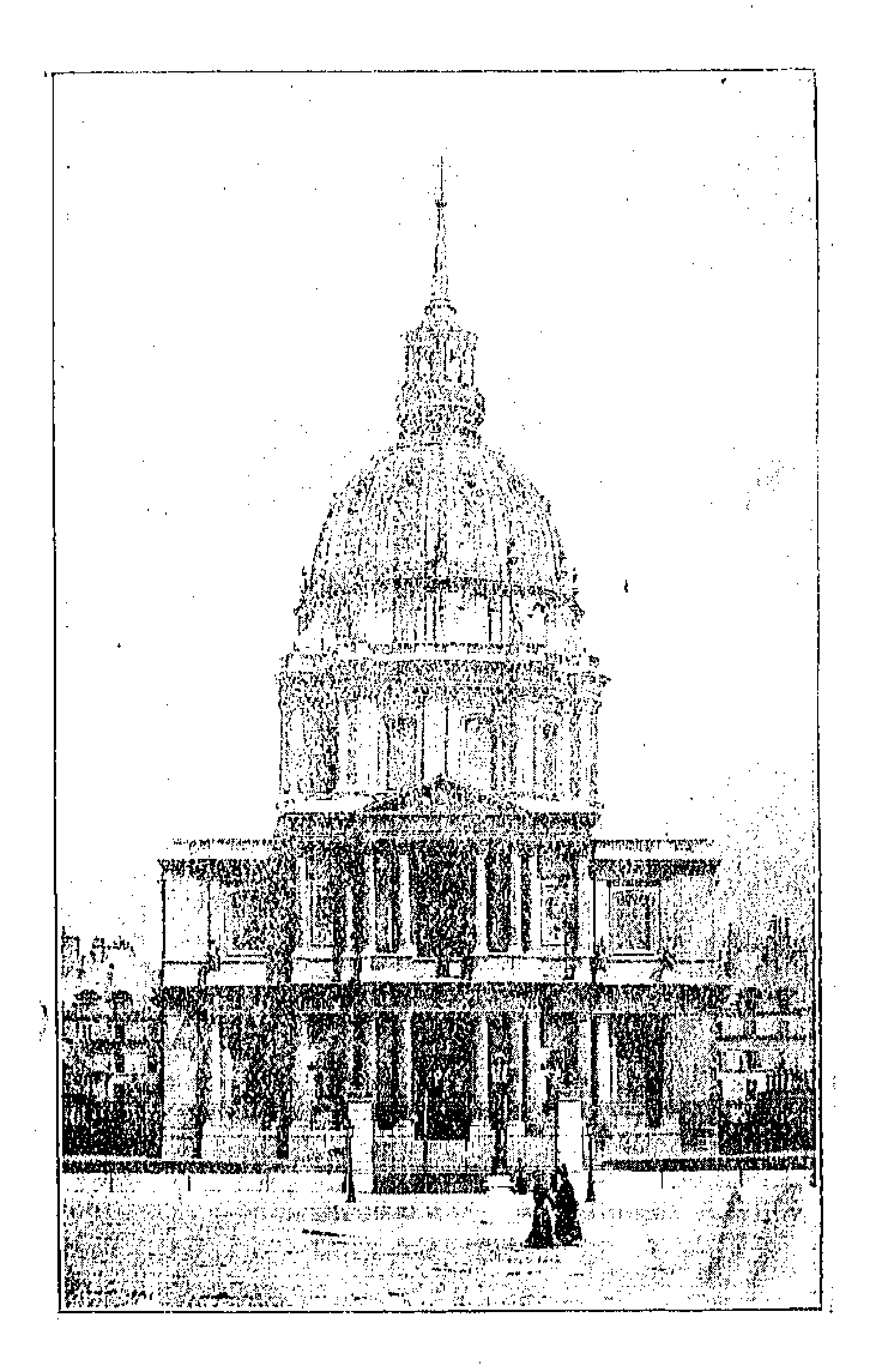
وبها الكثير من ملابس ملوك فرنسا وضباطها وجنودها موضوعة على تماثيل من الجبس والشمع ويعلم منها الانسان ترقي الجندية في الملبس والتسليح جيلا بعد جيل منذ كان الناس يرتدون جلود الوحوش التي يصطادونها ويتسلحون بالمدرفات والمزارق ويقيمون داخل الكهوف والمغائر الي هذا اليوم الذي يكتسون فيه بالحرائر والاجواخ المزركشة بقطع المعادن الجميلة ويتسلحون بالموزر والمارتيني والكروب ويسكنون السرايات والقصور

وتلك السراى شيدها لويس الرابع عشر وجعلها ملجأ

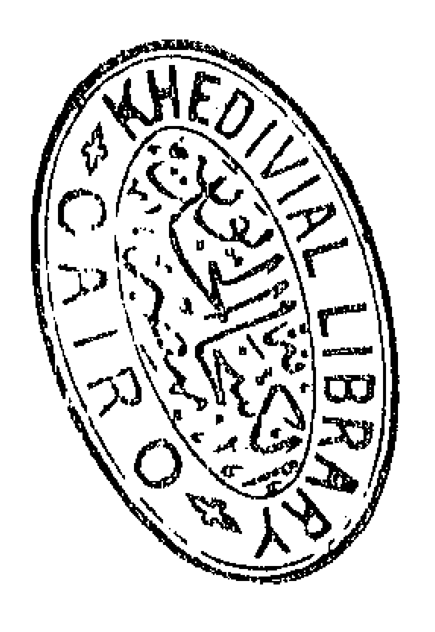
للعجزة والمقعدين من الجنود حيث كانت تضم مايزيد عن خمسة آلاف منهم وعند دخول الأنسان الى تلك السراى ومروره بباب السور الخارجى يشاهد بعض المدافع العتيقة المنقوش عليها اسم السلطان عبد الحميد الاول. وهي التى أخذها الفرنساويون فى حروب الجزائر

ويوجد بتلك السراى قبر نابليون بونا برت العظيم حيث نقلوا رفاته اليها بعد موته بجزيرة القديسة هيلانه ووضعوها داخل بناء عظيم به العمد الرخامية الفخيمة وسط حفرة بنيت من المرمر الجميل وأقيم عليها سياج من الرخام النفيس هناك دفن ذلك البطل المشهور صاحب القلب الكبير والوقائع العديدة والمطامع الواسعة والنصر الباهر ولاشك أنه أكبر قائد حربى أخرجته بطون أهل أوروبا الي الآن

وقد دفن بجواره بعض قواد جيوشه وأبطال حروبه وأقيمت فوق ذلك البناء قبة عظيمة ذهبت من الخارج والداخل فصار لها منظر فخيم يشاهد من جميع أحياء المدينة البعيدة وبجانب ذلك البناء كنيسة عظيمة بها الكثير من



باريس ـ قبة سراى العجزة ـ (٢٤٨)



الاحجار والتوابيت التي استعملت قبراً له بالجزيرة المذكورة والتي نقلت عظامه داخلها الي فرنسا

ومن ضمن تحف تلك السراي سلسلة كبيرة من الحديد يبلغ طولها مائتين متراً تقريباً قد استعملها العثمانيون في نهر الدانوب عند حصارهم لمدينة ڤينا سنة ١٦٨٢

وتوجد أمام ذلك القصر ساحة متسعة تدعى ساحة الأنڤاليد غرست فيها الأشجار الباسقة والرياض الأنيقة وقد بنوا بأسفل جزء من تلك الساحة محطة للسكة الحديد تدعى محطة الانڤاليد تسير منها القطارات المديدة داخل أنفاق الى ضواحي المدينة فتصل الى ڤرساى والى غيرها من البلاد وقد عرشت تلك المحطة بأقضبة من الحديد يتخللها البلور الذى تنفذ منه أشعة النور الى المحطة وقد جعل ذلك العرش بمساواة أرض الميدان يسير عليه الناس

وقد نزلنا على درج فوصلنا تلك المحطة التي وجدناها متسعة وركبنا القطار قاصدين مدينة ڤرساي التي تبعد نصف ساعة من المدينة لزيارة متاحفها البديعة فسار بنا القطار

داخل نفق الى مابعد شانزده مارس الموجود به برج أيفل العظيم الذى سنأتى على ذكره فيما بعد وبعدها ظهر القطار الي حافة نهر السين والى جانبيه الجبال الشماء بها الحدائق الزاهرة والرياض الفضاء المغروس بها الاشجار المختلفة وبينها القصور البديعة والمنازل البالغة منتهى الرونق والجمال حيث شيدت بأشكالها الهندسية وألوانها البهية التى تسحر الالباب بما وضع فيها من الأبراج والتماثيل الرخامية البديعة وقد غاص القطار بين الحدائق والغابات والاحراج الجميلة حتى وصلنا محطة فرساى وركبنا عربة للتجول بشوارعها التى ألفت نظرنا حسن نظامها

وقد ذهبنا الى سراى فرساى لزيارة متاحفها الشهيرة فوصلنا الى بابها الكبير الخارجى وداخله حوش عظيم أقيم وسطه تمثال للويس الرابع عشر الذى شيد تلك السراى حيث كان جعلها مقره الرسمى فى فصل الصيف وسار على أثره فى ذلك بعض الملوك الذين تولوا الملك من بعده وشادوا بجانبها القصور الفخيمة

ويبلغ طول تلك السراي بما فيها القلب والجناحين ٤٠٢ مترا

ووضعت بها البوابات الفخيمة الذي يدخل المتنزهون منها الى حدائقها الغناء ذات الاشجار الباسقة والرياض الفيحاء التي تبلغ مبلغا عظيما من سعة الأرجاء واتساع الجوانب وتحتوى على مايزيد عن الستمائة بركة وبحيرة بها النافورات العظيمة التي تنفر منها المياه على أشكال هي منتهى البراعة في الصناعة لان من تلك النافورات مايمثل الأسود فاغرة أفواهها التي تتدفق منها المياه ومايمثل العذاري ينبع الماء من بين أصابع أرجلهن وأيديهن وغير ذلك من التماثيل والاشكال البديعة وكلها مصنوعة من المرمر الابيض فضلا عن بحيرتها الكبيرة التي يبلغ طولها عدة كيلو مترات ويجتمع بها الكثير من الصيادين لصيد الاسماك وبها الكثير من الزوارق الصغيرة ذلك عدا تلك الرسوم والصور النفيسة التي تحتوى عليها غرف القصر وقاعاته البالغة منتهى الزخرف والزينة حيث فرشت جميعها بالخشب اللامع الجميل الذى يشبه المرمر الملون وزينت عروشها بالذهب الوهاج ونقشت الصور والرسوم البالغة منتهي الاتقان على جدرانها وسقوفها العديدة

أن الزائر تلك القاعات والغرف اعتره واندهشة عند ولوجه بها ويبدى الاستغراب العظيم لفخامتها ولا يتمالك نفسه من الاعجاب بعظمة مؤسسى ذلك القصر ومشيديه الذين أشغلوا فى بنائه مايزيد عن ٣٥٠٠٠ من العملة والصناع غير الذين أجهدوا قرائحهم فى زخرفته وتزيينه وصرفوا الملايين العديدة فى بنائه وغرس حدائقه وتنظيمها وقد كان فى زمن لويس الرابع عشر محط العظمة والجلال والابهة والوقار ولكنه صار فى زمن خلفه لويس الخامس عشر مرسح اللهو والتهتك والدعارة حيث جمع به حظياته العديدة مثل مدام بومبادور وغيرها وهيأ بعمله هذا وتهتكه عقول الشعب الفرنسى للثورة والنقمة على الملوك وكان ما كان من وقوعها فى عهد خلفه لويس السادس عشر الطيب القلب السيء الحظ واعدامه فى ساحة الكونكورد كما هو مبين فى النبذة التاريخية

وقد جعلوا نقوش ذلك القصر ورسومه وصوره مجموعة عظيمة يعلم منها الزائر تاريخ فرنسا ووقائعها وحروبها من عهد الملك شارلمان الى عهد الامبراطور نابليون ولا بن بونابرت.

القسم الوافر منها اذ رسمت على حوائط الغرف وجدرانها جميع
وقائعه وحروبه والاحتفالات المهمة في أيامه عند زواجه
وانتصاراته التي نالت فرنسا بها الفخر في تاريخها المجيد

وقد وضعت تلك الصور والرسوم بالغرف والقاعات
بحسب تاريخ وقائعها وحوادثها وقد يقف الزائر الساعات
العديدة للتأمل في احدى تلك الصور وحل رموزها فيخيل
له من اتقان الرسم والتصوير انه واقف يشاهد تلك الوقائع
وموجود بين تلك الحروب وان روحه قد تقمصت الى أحد
الجنود في القرون الماضية ووقفت تشاهدهم عن كثب يتلاكمون
ويتضاربون والرصاص ينتشر والدخان يتكاثر بل يخيل له أنه يكاد
يزج بنفسه في ذلك الميدان ليأخذ نصيبه من الضرب والطعان

وقد قسموا تلك الصور الى عدة أقسام وضع كل منها
بغرف خاصة فمنها ما هو خاص بتمثيل الحروب الصليبية وغيرها
وغيرها لحرب القرم ومثله لحروب الجزائر ومعارك نابليون
الذى منها دخوله الى مصر وبها صور البكرى والسادات وبعض
أمراء الجركس حكام مصر الاقدمون

وبذلك القصر بهو عظيم يدعي قاعة الزجاج به ما يزيد عن العشرين نافذة كبيرة يشرف الانسان منها علي جميع حدائق القصر ووضعت بجوانبه المرائي العديدة وتدتوج فيها ولهلم الأول ملك بروسيا أمبراطورا لألمانيا سنة ١٨٧١ بعد حرب السبعين المشهورة التي خذل فيها الفرنساويون ودخل الالمان بلادهم واحتلوا باريس وتم اتحاد ممالك ألمانيا بفضل تدبير بسمرك الوزير الالماني الشهير وبه الغرف الخاصة بماري أنتوانت بأثاثها ورياشها الفاخرة

ويوجد بجانب البحيرة الكبيرة قصران فخيمان يدعي أحدهما التريانون الكبير وقد شيده لويس الرابع عشر لاحدى حظياته وبه الآن بعض العربات القديمة التي استعملها ملوك فرنسا في حفلاتهم الرسمية وأكثرها من أيام نابليون بونابرت وما استعمله الامراء والسفراء أيام نابليون الثالث وكلها من الآثار النفيسة

وأما القصر الثاني يدعي التريانون الصغير شيده لويس الخامس عشر وكان مقرا لبعض أمراء العائلة الملوكية وأمامه

الحدائق والرياض الغناء وبه الرسوم والصور الممثلة لتاريخ فرنسا عدا التماثيل الكثيرة وفى ذينك القصرين حراس يفتحون أبوابهما المغلقة كلما اجتمع نفر من الزائرين ويدخلون معهم لارشادهم على ما فى الغرف من النفائس ثم يعودون لغلق الابواب بخلاف ما يجري بالقصر الكبير وبجميع متاحف فرنسا الموجودة بكل غرفة منها الحراس بجوانب أبوابها المفتحة لولوج الزائرين

وقد ذهبت عدة دفعات الى تلك المدينة الجميلة التي يزيد عدد سكانها عن الـ ٦٠٠٠٠ الفا من النفوس وبها تلك القصور المظيمة التي يقصدها السائحون الكثير والعدد وكان وصولى اليها تارة بالقطار الحديدى وتارة بقطار الترام ذى الطبقتين الذى يقوم من محطته الكائنة بجانب سراى اللوفر من جهة نهر السين ويصل الى فرساى أمام السراي بعد ما يقضى ما يزيد عن ساعة ونصف مخترقا مدينة باريس وضواحيها ذات القصور الباذخة والحدائق الغناء والاحراج الفضاء وطورا كنت اذهب ممتطيا اربات السيارة التي تخترق غابة بولونيا واحراجها

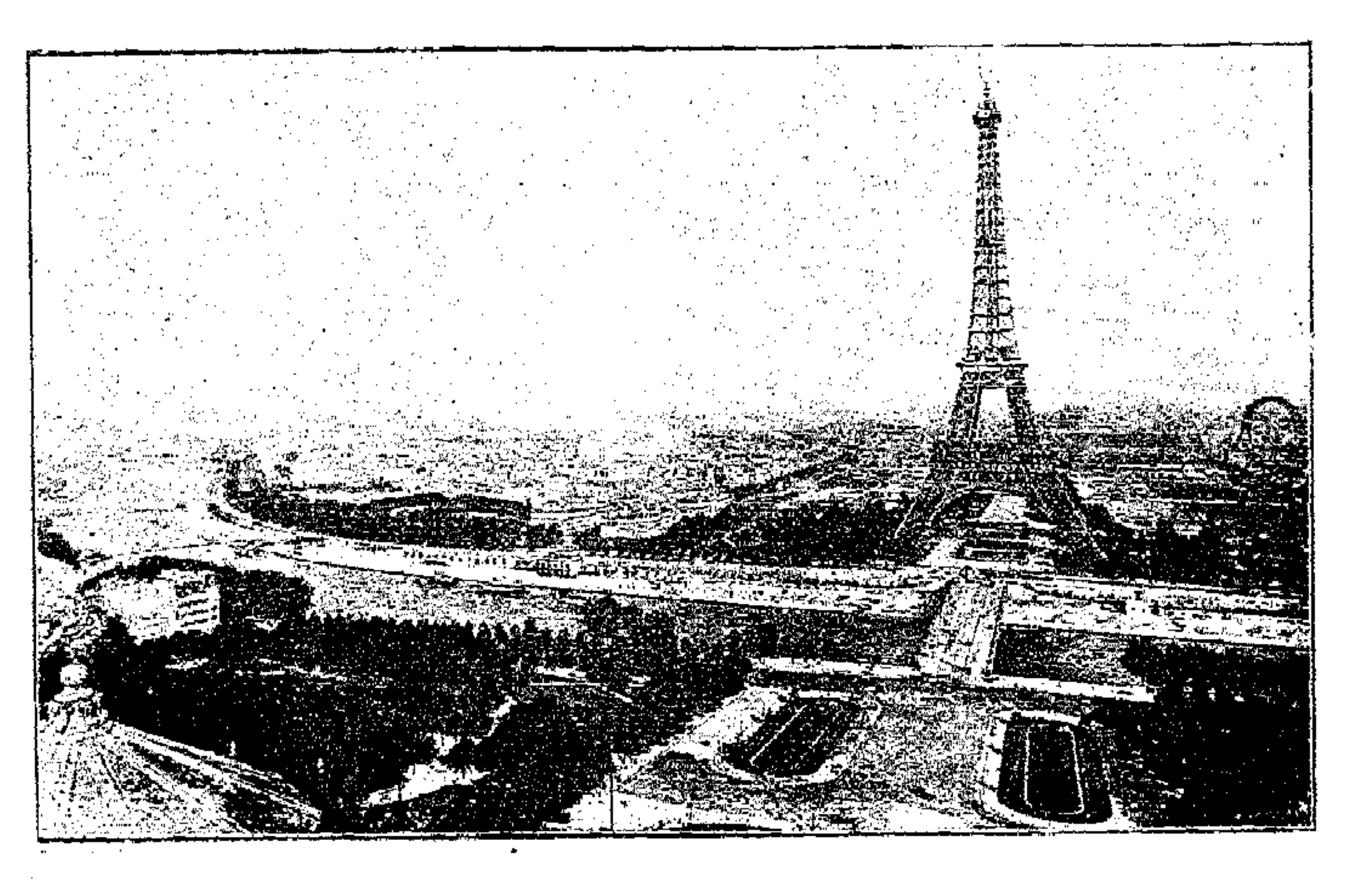
وساحات لونشان وكر ببعض الضواحي سائرة بالطرق والمسالك الغاصة بالعربات والسيارات التي يركبها السائحون

وقد عدنا بعد ذلك الى المدينة وعولنا على الذهاب في اليوم التالي الى شان ده مارس القريب من ساحة الانفاليد التي أتينا على ذكرها

وشان ده مارس هو ساحة عظيمة كان يستعرض فيها نابليون بونابرت جيوشه وكانوا أطلقوا عليها اسمه وفيها عين لويس فيليب ملكا بعد سقوطه حلف يمين الولاء للدستور مع الوزراء والنواب وقواد الجيوش والأساطيل في تلك الساحة

وقد أقيمت فيها المعارض الباريسية العامة التي بقي من آثارها ذلك البرج العظيم (تور أيفل) الذي قصدنا صعوده

وذلك البرج هو من غرائب الصناعة وعجائب التمدين وتفيس الآثار التي تشهد لشيديها وصانعيها بالعظمة والقوة والتبحر وقد شيد لمعرض باريس سنة ١٨٨٨ — ١٨٨٩ ومضت



باريس ـ برج ايفل ـ (٢٥٦)

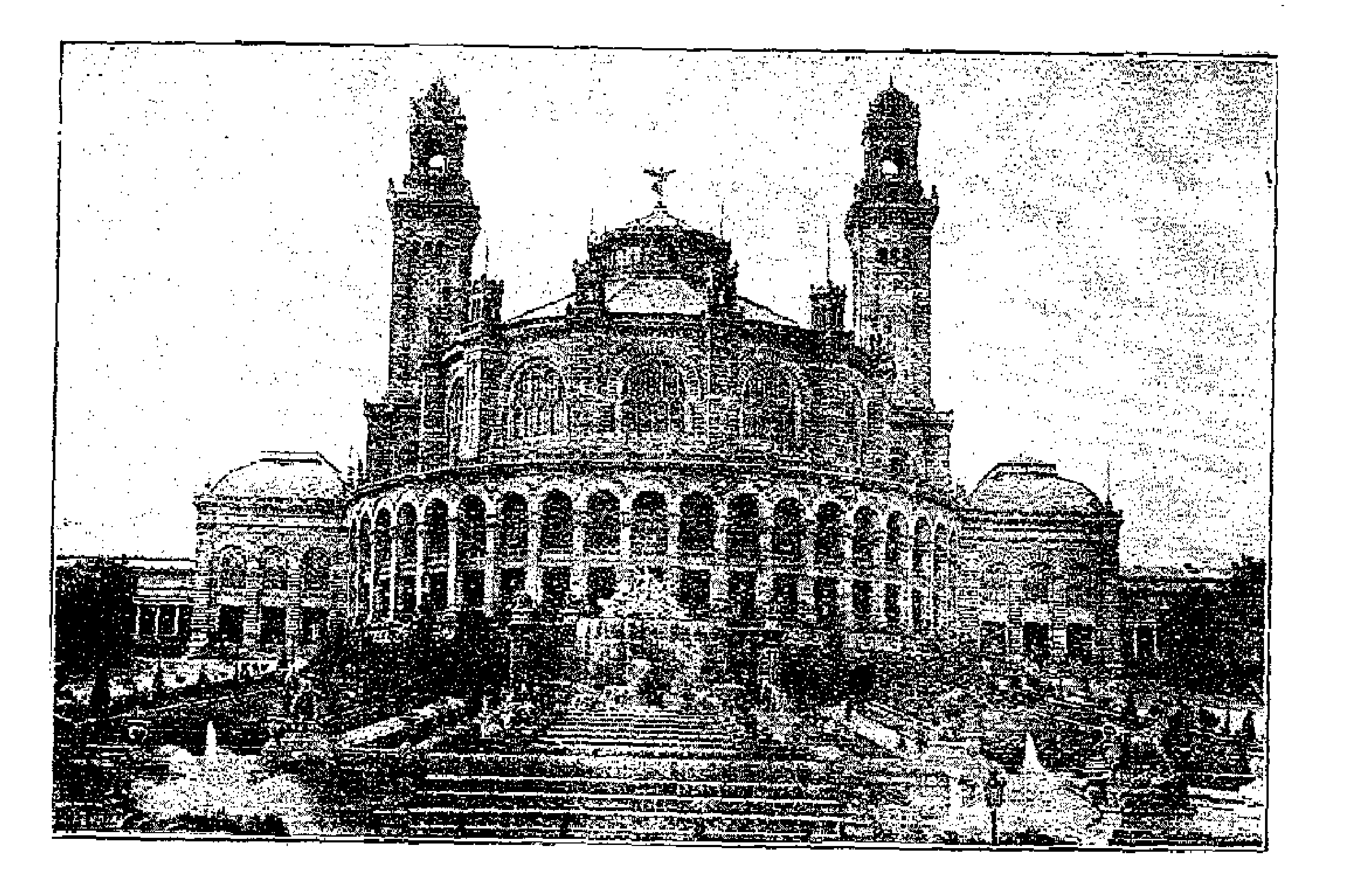


قواعد على مسطح من الارض تبلغ مساحته ١٦٧٠٠ مترا مربعا ويبلغ ارتفاعه ٣٠٠ مترا أو ألف قدم مصنوعة جميعها من الحديد والصلب وجعل له ثلاث طبقات يصعد اليها الناس بواسطة تلك الآلات الموضوعة به التى تنقل الى طبقاته ما يزيد عن الاربعة آلاف شخص فى أقل من ساعة ويمكن لثمانية آلاف نفس أن يجتمعوا بجوانبه فى آن واحد ويوجد بتلك الطبقات القهوات والمطاعم ومحلات بيع الاشياء الأثرية التى يشتريها الزائرون لحفظها عندهم تذكارا لصعودهم هذا البرج الموجود رسمه على تلك الاشياء وقد وضعوا الكثير من المناظير المكبرة (تلسكوب) بجوانب تلك الطبقات ليشاهد الزائرون منها جهات المدينة فيرونها ولها منظر يسحر الالباب خصوصا اذا كانوا فى الطبقة الثالثة التى تشاهد منها الشوارع والمبانى كأنها مرسومة على خرطة طبوغرافية وترى العربات والسيارات كالنقط الصغيرة

ومما يجعل لتلك المناظر أثرا فى النفس تلك القباب العظيمة

المطلاة بالذهب الوهاج الموجودة بأعلى المبانى الفخيمة كقبة نابليون بدار العجزة وقباب البانتيون ونوتردام وسكرى كير ومنظر الاوبرا والمادين والتروكادرو والشانزليزيه والحدائق والمنتزهات والعمارات الفخيمة المنتشرة بالمدينة وبالجملة فان الناظر الى مدينة باريس من أعلي ذلك البرج العظيم يجدها جنة فيحاء أقيمت بينها القصور الشاهقة والمبانى الفخيمة والطرق البالغة منتهى الرواء باشكالها الهندسية الجميلة ويقال أن حكومة فرنسا أعطت نشان اللجيون دونور ومائتين ألف فرنك للمهندس الذي قام بوضع رسمه وتشييده حين انتهي من عمله ونصب الراية الفرنساوية فوق قمته وذلك مكافأة له على هذا العمل العظيم

ولاشك أن هذا البرج هو أعلى بناء شيد على وجه الارض ويليه في الارتفاع كنيسة كولون التى لا يزيد ارتفاعها عن ١٥٩ متراً وهرم الجيزة الكبير ويبلغ ارتفاعه ١٤٦ متراً وباقى المبانى الاخرى التى لا يزيد ارتفاعها عن السبعين متراً كقوس النصر بميدان الكوكب وغيرها وقد أخبرنى أحد



باريس ـ سراي التروكاديرو .. (٢٥٨)



الباريسيين ان مابه من الحديد يزيد عن عشرة ملايين كيلو وثلاثين مليوناً من المسامير وقد أقامته شركة أخذت به امتيازا لمدة ٢١ سنة وجمعت نفقاته في مدة المعرض فقط اذ بلغ عدد الذين صعدوا الى طبقاته زهاء الاربعة ملايين في ستة أشهر ولذا صار ايراده في باقي مدة الامتياز ربحا صافيا للشركة التي تحصل ثلاثة فرنكات رسما عن كل شخص يريد صعوده

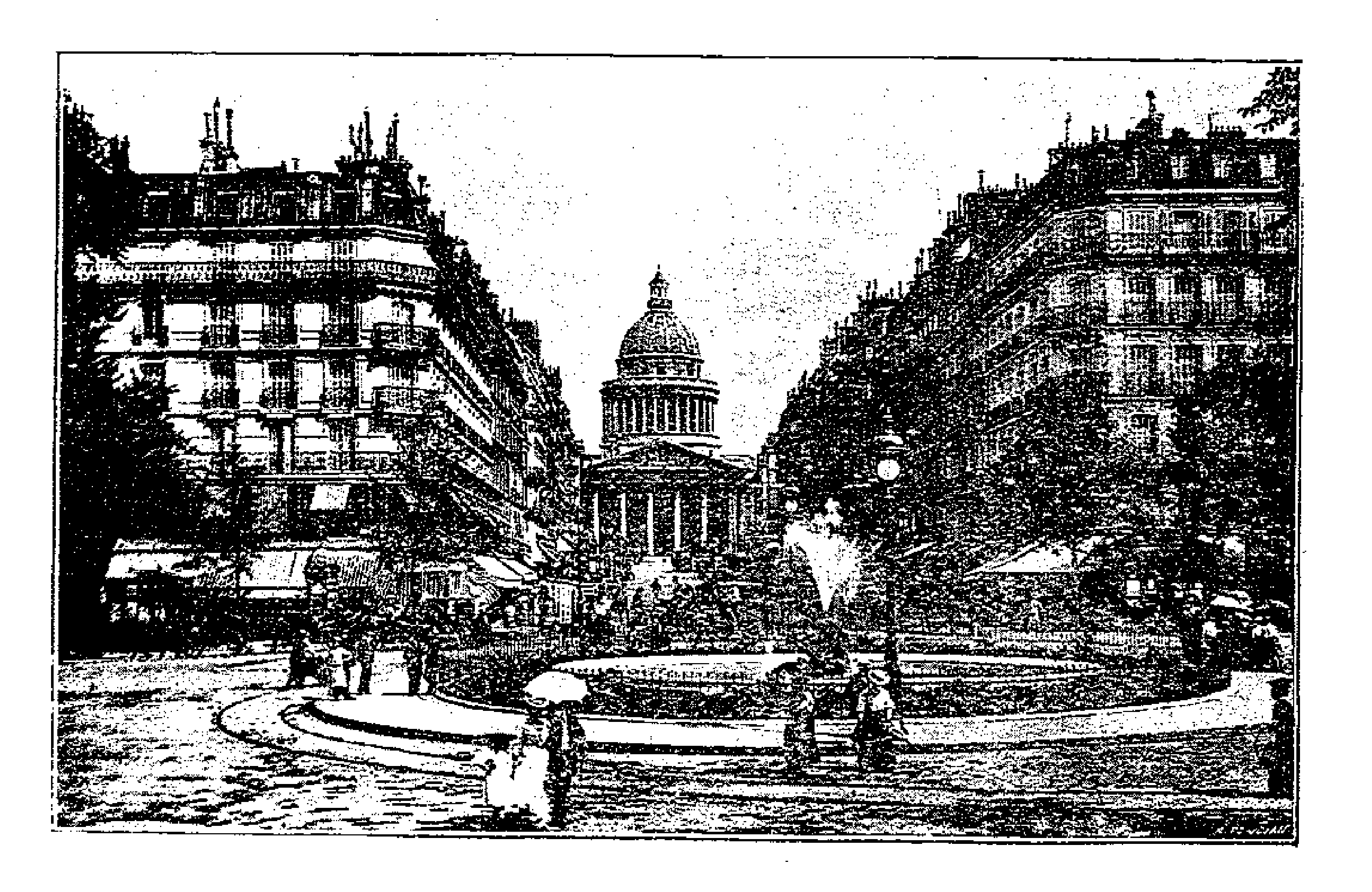
وقد قضينا به ثلاث ساعات وذهبنا بعدها لزيارة متحف التروكاديرو وهو قصر فخيم مواجه لبرج أيفل وكائن بالضفة الاخري من النهر بنى علي شكل مستدير وأقيم له جناحان وتعلوه قبة عظيمة يبلغ قطرها ستين متراً وبه بهو فسيح يسع ٦٠٠٠ نسمة وله غرف متسعة بها التحف العظيمة والآثار النفيسة من النقش والحفر علي الحجر والرخام وبه الكثير من أبواب المساجد والكنائس والاحجار المحفورة

وقد شيد هذا القصر الفخيم لمعرض ١٨٧٨ وأمامه حدائق ورياض غناء جعلت منظره من أبهي المناظر التي تؤثر في النفس ويمكن الانسان العبور من البوابة الكائنة باحدى جناحيه فيصل

الى شارع فخيم صفت به المبانى الفخيمة ويتصل ذلك الشارع بميدان الكوكب الذى عدنا منه الى النزل

ذهبنا فى اليوم التالى الى البانتيون الموجودة به مدافن عظماء فرنسا التى خلدت لهم أعمالهم العظيمة ذكراً مجيدا على صفحات التاريخ كقواد الجيوش والبحرية والكتاب والشعراء والسياسيين ورؤساء الجمهورية الذين رفعوا شأن بلادهم

وهو كنيسة قديمة لها قبة عظيمة أقيمت على ٢٢ عموداً وأقيم بأسفلها الطرقات الكثيرة والاروقة المديدة بها الكثير من الحجر المدفون بها هؤلاء العظماء الذين شادوا لوطنهم الفخر العظيم وبينهم كارنو الاول والثانى ومكماهون وغيره من رؤساء الجمهورية السابقين ومن الشعراء والكتاب ڤولتير وروسو ومن القواد الحربيين تلك الفتاة چان دارك التى أنقذت بلادها وأحرزت الفخر التاريخى العظيم وأميل زولا المشهور فى قضية دريفوس وقد أدخل الى البانتيون أخيرا بقرار من مجلس النواب وقد وجدنا أكاليل الازهار والورود المديدة موضوعة في تلك الطرقات وفوق القبور فكنا نسير



باريس — مدفن العظماء (البانتيون) — (٣٦٠)



بينها مع الزائرين والحارس أمامنا يرشدنا عن أسماء هؤلاء العظماء ويسرد لنا تاريخ مجدهم وفخارهم

وسرنا بعد ذلك قاصدين قصر كاونى لزيارة متحفه وقد كان مقراً لملوك فرنسا السابقين وقد جعلوه الآن متحفا به الكثير من الآثار الثمينة المصنوعة من الفضة والذهب والمرصعة بالاحجار النفيسة والاجواخ المقصبة والرياش الثمينة وغير ذلك من الاشياء البديعة وقد سررنا كثيراً من رؤية تلك الاشياء النفيسة وانصرفنا قاصدين كنيسة نوتردام لزيارة آثارها

ونوتردام هى كنيسة عظيمة تعد أكبر وأعظم وأفخم كنائس فرنسا وأشهرها ولها ناقوس من النحاس يبلغ زنته ١٨٠ قنطاراً وبها من الرسوم والصور المنزلة على الزجاج ما يقدر بعشرات الألوف من الجنيهات وبها برجان عظيمان كما بها كنوز عظيمة تحوى الكثير من الاشياء الثمينة

ذهبنا بعدها لمشاهدة قصر المجلس البلدى للمدينة (أوتيل ده ڤيل) وهو بناء شامخ أقيم عدة طبقات الى جانب النهر ورصعت نوافذه بالتماثيل والنقوش العظيمة وقد يقف الانسان

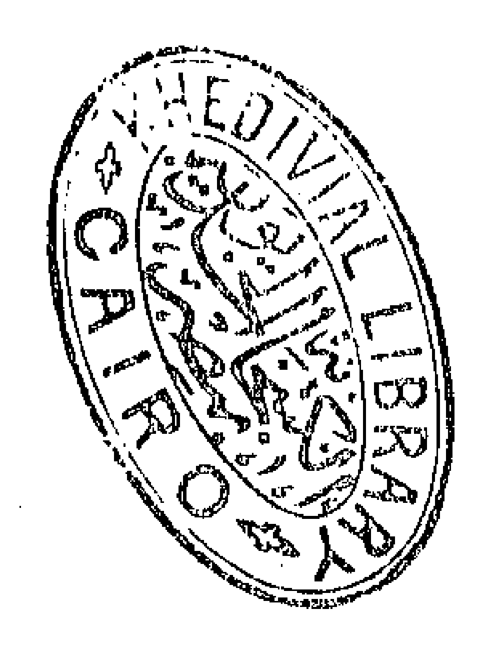
أمامه الساعات العديدة متأملا فخامة بنيانه وحسن نظامه الذين جعلا له من الخارج شكلا يسحر الالباب ويبهر العقول ولا شك أنه من القصور التي يتحدث بفخامتها الركبان من أقاصي المعمور

وأما شكله من الداخل فيشبه المباني القديمة وله شهرة عظيمة في تاريخ الثورات الفرنساوية اذ كان دائما مقرا للاحزاب الجمهورية

وبجانب ذلك القصر شارع فخيم يدعى شارع (ريڤولى) سمي بذلك تذكارا لانتصارات نابليون بونابرت على جيوش النمسا وسحقه جنودها في موقعة ريڤولى سنة ١٧٩٧ وقد بدئ في بنائه سنة ١٨٠٢ وطوله يبلغ سبعة آلاف مترا وقد قسم الى عدة أقسام أطلق عليها أسماء مختلفة وكل مبانيه على نسق واحد اذ جعلت بها الاعمدة الحجرية تعلوها القناطر العديدة المقام فوقها الوجهات بطبقاتها المتعددة وأقيمت الحوانيت ومخازن التجارة بداخل تلك الاعمدة وبينها طرقات عظيمة فرشت بالرخام الناصع البياض ووضعت بها المتاجر العظيمة والاشياء الثمينة



باريس – كنيسة نوتردام – (٢٦٢)


KHEDIVIAL LIBRARY
CAIRO

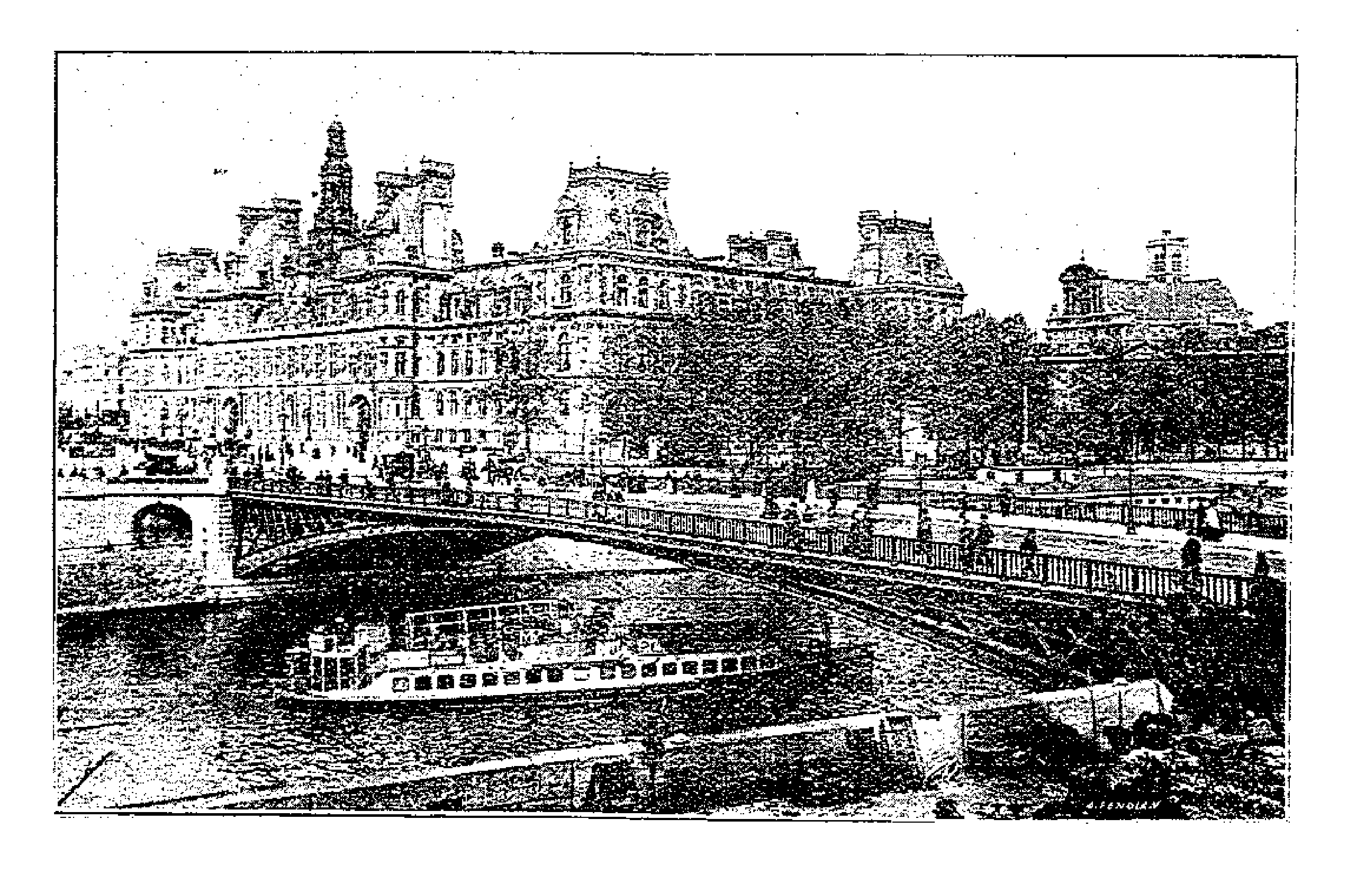
ويبتدئ ذلك الشارع الفخيم من ميدان الكونكورد ويمتد محاذياً لحديقة التولري والسراي الملوكية واللوفر التي تكوّن احدى جانبيه وبعدها ينتظم مخازن التجارة والدكاكين والابنية الشاهقة من الجانبين الى قصر البلدية ومنه الى ميدان الباستيل وما يليه وبالجملة فان ذلك الشارع في مقدمة شوارع باريس المشهورة لما يحويه من مخازن التجارة الكبيرة والحوانيت العظيمة والقهوات العديدة ولحسن موقعه الذي يتوسط المدينة وامتداده المترامي

أما ميدان الباستيل فهو مشهور من زمن الثورة الفرنساوية حيث كان به السجن المظلم المشهور بطبقاته العديدة تحت الارض وقد كان مسجونا به قبل الثورة الاحرار السياسيون الذين كانوا يطالبون بالحرية فكان أول عمل أتاه الشعب عند ابتداء الثورة سيره الى ذلك السجن وتقويض دعائمه وهدمه وأطلاق صراح سجنائه الاحرار

وقد جعلوا الآن مكان ذلك السجن مسلة عظيمة تدعى مسلة يوليه تذكار التاريخ نيلهم الحرية ولتلك المسلة درج عظيم للصعود الى أعلاها

ويمتد من ميدان الاوبرا شارع عظيم يدعى شارع السلام به الكثير من المعامل والمصانع لحياكة الملابس والاقمشة وتطريزها يشتغل بها الالوف من العملة والعاملات ويتصل بساحة عظيمة تدعى ساحة الفاندوم أقيمت المباني العظيمة والعمارات الكبيرة الى جوانبها فاكسبتها شكلا مربعا بديعاً كساحة سان ماركو بمدينة البندقية (فينيزيا) وأقيم وسط تلك الساحة عمود دعى باسمها يبلغ ارتفاعه ٤٣ مترا أقامه نابليون الاول على قاعدة صبت من نحاس وبرونز المدافع التى غنمها فى حروبه العديدة وقد نقش على جوانب ذلك العمود وعلى قاعدته تواريخ بعض الوقائع ورسومها

ويمتد من ميدان الاوبرا شارع متسع يدعى شارع ٤ ستمبر يسير فيه الترام ذو السنجة المتصلة بالاسلاك المعلقة بالشارع ويحوى الكثير من مخازن التجارة الشهيرة والحوانيت الكبيرة الممتلئة بنفائس المصنوعات الباريسية وتوجد بذلك الشارع المثابة (البورصة) مركز الحركة المالية في أوروبا بل فى العالم أجمع حيث يباع داخلها الاوراق المالية التى تقدر



باريس – قصر المجلس البلدى – (٢٦٤)


KHEDIVIAL LIBRARY
CAIRO

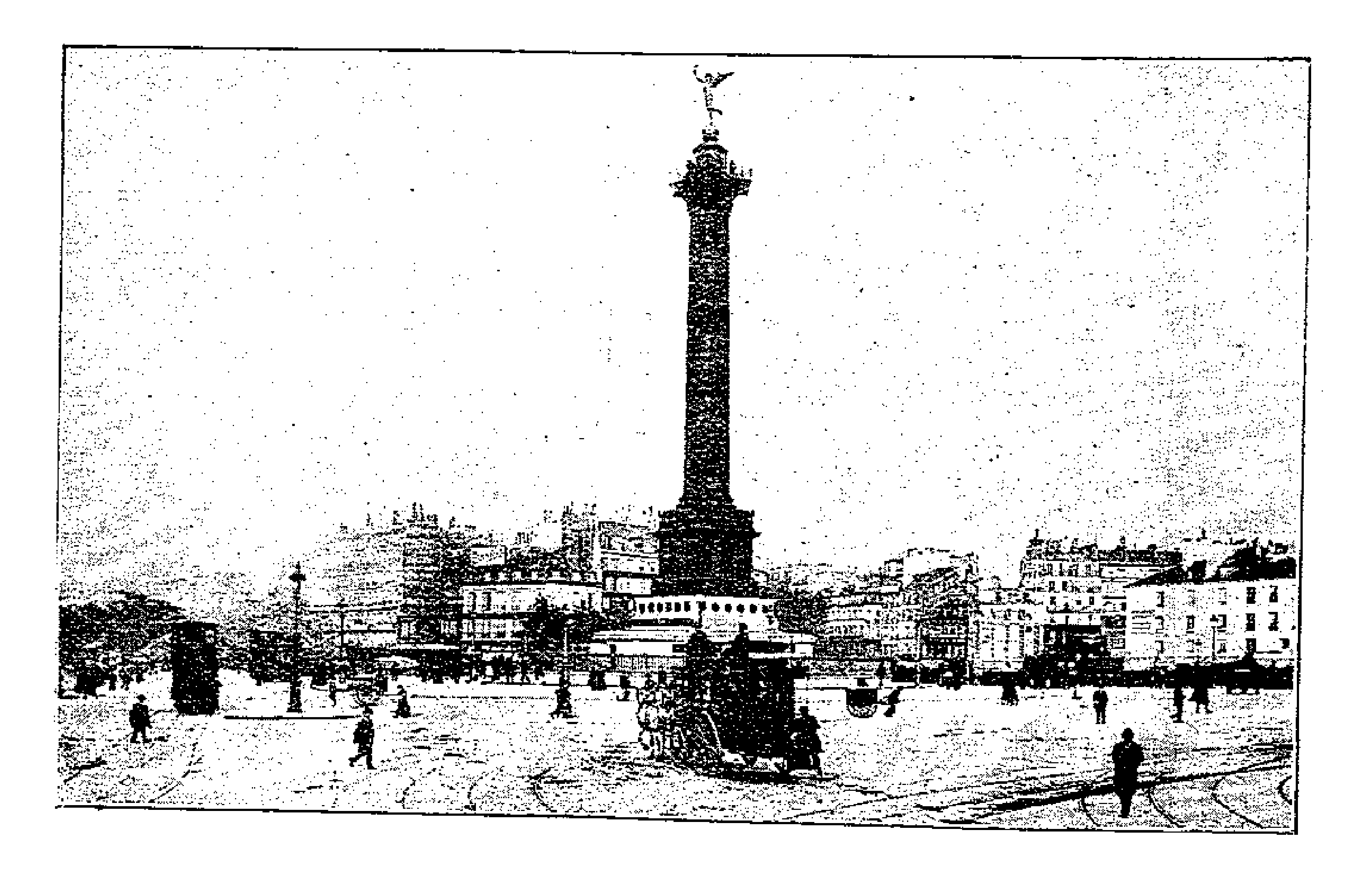
قيمتها بالملايين العديدة ومن علم أن ديون حكومة فرنسا تبلغ بليونا ومائتين وخمسين مليونا من الجنيهات وديون المجالس البلدية بفرنسا وأسهم شركات السكك الحديدية فيها . تبلغ ذلك المقدار وأموال فرنسا التي بالروسيا وفي ديون بعض الدول الأخرى تبلغ ذلك وكل أسهمها تباع في تلك المثابة لحكم من بأن ما تتداوله الايدى فيها من الاوراق تبلغ قيمها ألوف الملايين وأنه على تلك المثابة (البورصة) يدور محور سياسة فرنسا الخارجية

وليس ببعيد عن ذاكرتنا مسألة القرض المجري وسكة حديد بغداد والقرض العثماني الاخير وعدم قبول فرنسا تداول أوراقها بمثابتها الا بشروط اعتبرتها تلك الدول مجحفة بها وما عقب تلك المفاوضات الطويلة التي كادت تغير صفاء الجو بين الدول وكادت توقع الدولة العلية في الارتباك المالي لولا معاضدة المانيا لها وعقد تلك القروض ببلادها وظهور قوة المانيا المالية بين الدول كما ظهرت قوتها الحربية والسياسية من قبل

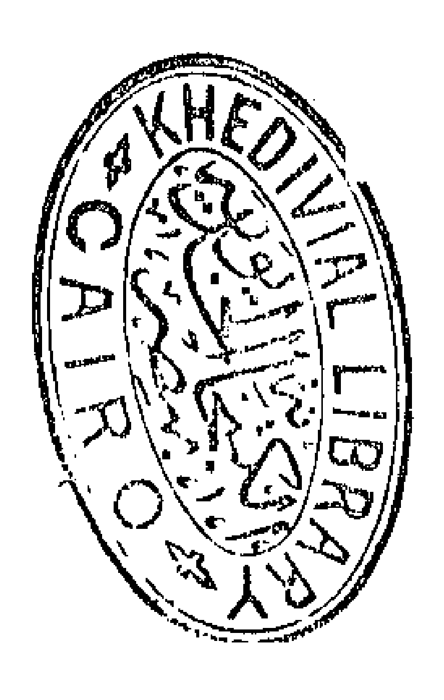
وتلك المثابة (البورصة) لها محل باسقة جميلة بوجهاتها البديعة ومبانيها في غاية الفخامة

واذا سرت قليلا فيما وراء الاوبرا والمثابة لوجدت الشوارع الفخيمة والمباني العظيمة والمخازن التجارية الكبرى (وهي كثيرة منتشرة بجميع انحاء باريس) المصفوفة أمامها المتاجر العظيمة والسلع الكثيرة · وأشهر تلك المخازن والدكاكين (الأوتومن) و (البرانتان) و (بيل جارديناير) ومخزن اللوفر الكبير و (دي فاييل) و (البون مارشيه) الكائن بالضفة الاخرى من النهر وغير ذلك من المخازن العديدة وكلها تحوي العدد الوفير من العملة والمستخدمين وقد يزيد عدد الصيارفة الموكلين بأستلام النقود في بعضها عن المئات فليتصور القارئ مقدار سعة تلك المخازن والدكاكين واتساع أرجائها وعدد طبقاتها وكم من العملة والعاملات الذين يشتغلون فيها وكم يوجد بها من الدرج والمراقي وآلات الصعود المتنوعة التي يرتقي عليها الانسان فيصل الى طبقاتها وجوانبها الفسيحة

وأني أذكر للقارئ مثالا من تلك المخازن الكبرى وهو مخزن (دي فاييل) الكائن قريبا من بولفار اكستاربور فقد جعل به قاعات كبيرة متعددة وضعت بها المنضدات



باريس — عامود يوليه بميدان الباستيل — (٢٩٦)


KHEDIVIAL LIBRARY
CAIRO

المستطيلة والى جوانبها المقاعد الوفيرة ليجلس عليها القوم وأمامهم المحابر والاقلام وما يلزم من الاوراق ليدونوا ما يرونه فى مذكراتهم ذلك عدا البهو الكبير المسقوف بالبلور والمفروش بالمرمر ومحلاة جدرانه وحوائطه بالذهب وبه المنضدات العديدة والمقاعد الكثيرة يجلس عليها الناس محيطين مقاعد مرتفعة يرى عليها ربات الدلال بين الرياحين والازهار الممتدة أغصانها فيماثلن الطيور فى أوكارها وبأيديهن آلات الموسيقى يشنفن بنغماتها الاسماع وقد تسع مقاعد ذلك البهو الالوف الكثيرة من الناس يجلسون عليها ويتناولون المرطبات والقهوة التى تقدم اليهم من حانة ذلك المكان نظير أربعين سنتيما تدفع عن كل قدح من المرطبات أو القهوة

وقد كنا نحضر فى الايام الممطرة ونجلس بذلك البهو داخل هذا المخزن الكبير فكان يزيد أعجابنا دائما بتلك الجوقة الموسيقية وبمنظر ذلك المكان الذي تتوق اليه النفوس

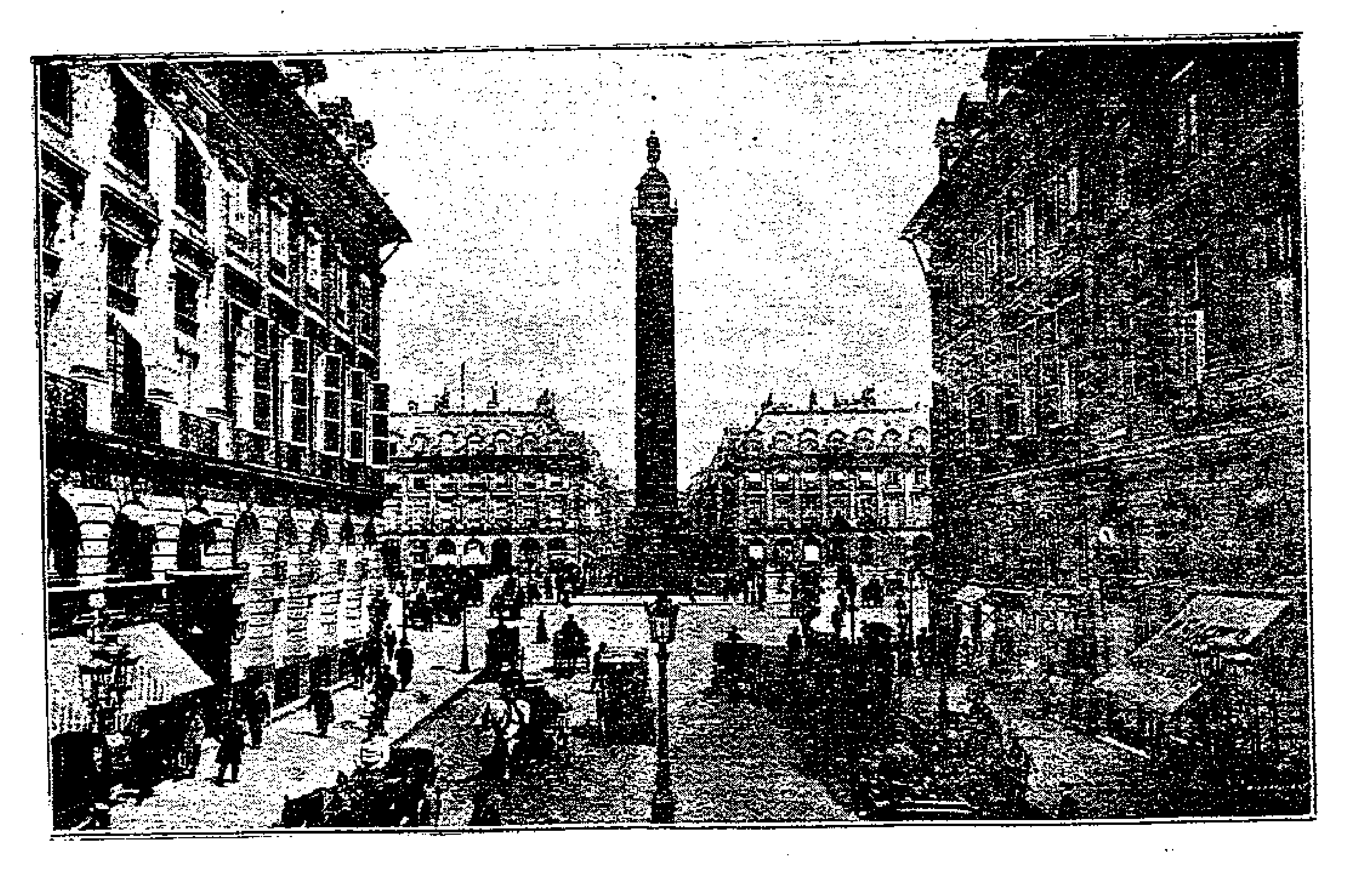
ومن الشوارع المهمة فيما وراء الاوبرا بولفار هوسمان وبه حمام على الطراز التركى وقريب منه محطة سان لازار

وهى محطة كبيرة بها الارصفة العديدة التى تقف بها القطارات الكثيرة وتلك المحطة يقصدها المسافرون للذهاب منها الى جهات أمريكا الشمالية

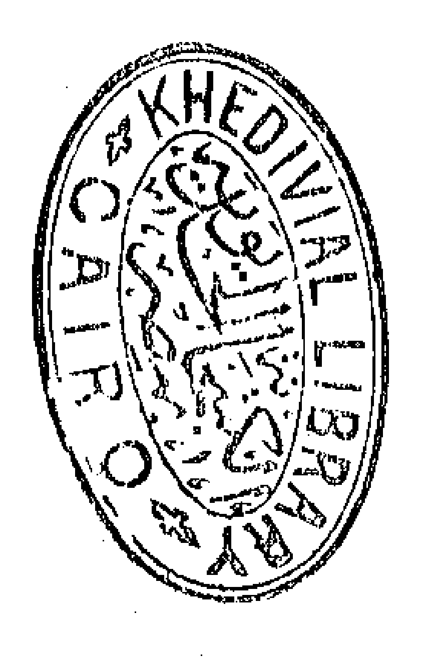
ونظراً لاتساع المدينة وكثرة مواصلتها مع كل البلاد قد شيدوا بها أربعة عشر محطة كبيرة منها سبع محطات تزيد كل منها في الضخامة وتعدد الارصفة وفخامة البناء عن محطة القاهرة التى لم تكن تبلغ شيئاً مذكورا بجانب تلك المحطات الهائلة

أما الحركة فى تلك المحطات فحدث عنها ولا حرج لان المسافر من احدى تلك المحطات لا يمكنه الاهتداء الى النافذة التى يستلم منها تذكرة السفر الا بارشاد أحد الحمالين أو المستخدمين اليها وذلك لتعدد النوافذ المعدة لاخذ ورق السفر وقد تزيد فى بعضها عن الاربعين لكثرة الفروع الممتدة من تلك المحطات وكثرة خطوطها المتباينة وقد جعل بتلك الارصفة أرقام تميزها عن بعضها

ومن تلك المحطات الكبيرة محطة الشرق التى ذكرناها عند الحضور الى باريس ويقصدها المسافرون للذهاب منها الى



باريس – ميدان وعامود الفاندوم – (٢٦٨)



جهات فرنسا الشرقية والى المانيا والنمسا والمجر ورومانيا والصرب والبلغار وتركيا

وقريبا منها يوجد محطة الشمال التي تسافر منها القطارات الى شمال فرنسا وانكلترا وبلجيكا وغيرها وهي كبيرة متسعة ذات أرصفة عديدة

ومحطة ليون الممتدة خطوطها الى جنوب فرنسا والى البحر الابيض المتوسط ويصل منها المسافر الى ليون ومرسليا وجهات سويسرا وايطاليا وأسبانيا وهى محطة كبيرة واقعة بجانب نهر السين قريباً من ميدان الباستيل

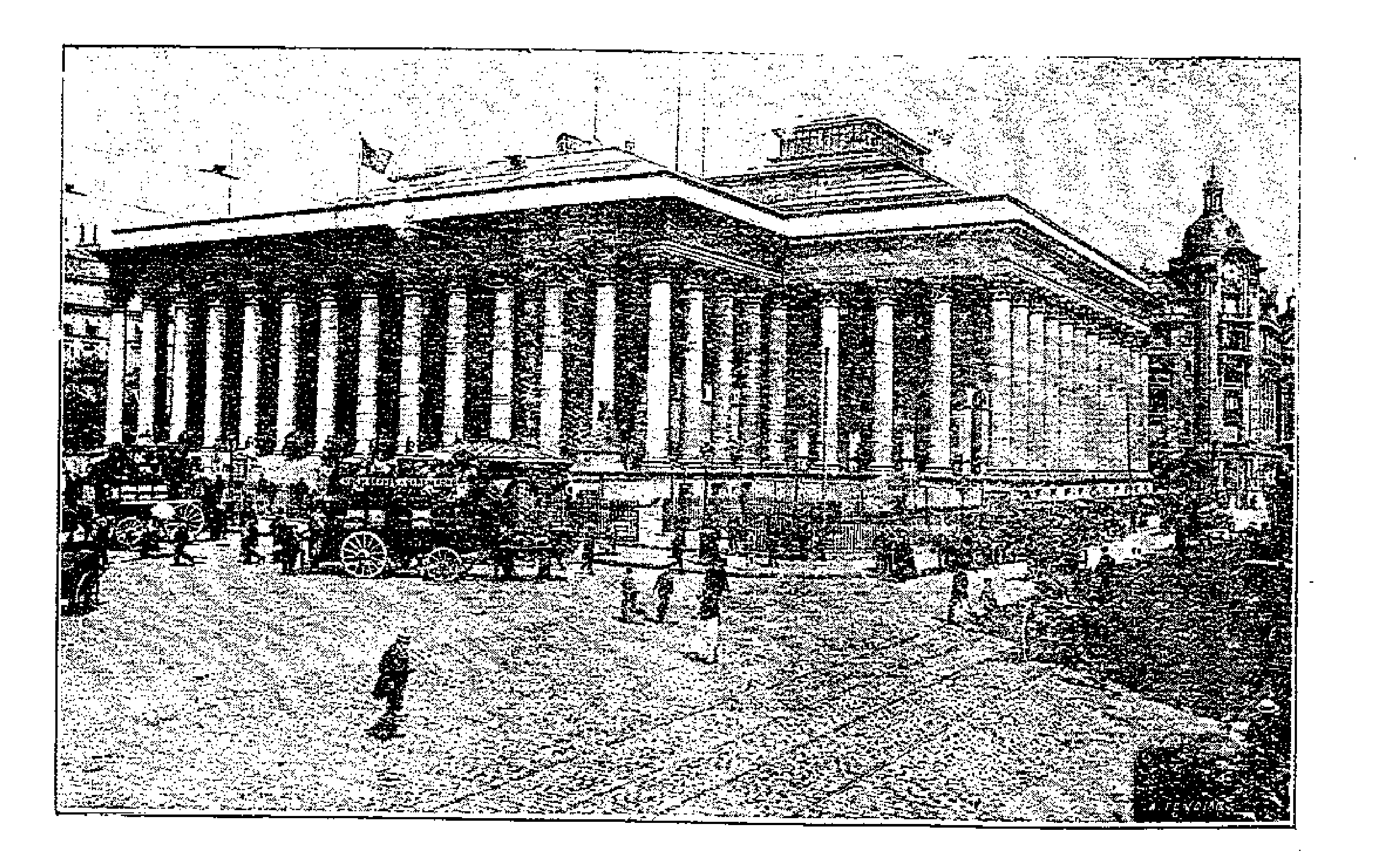
ومحطة أورليان الواقعة بجانب نهر السين قريباً من ساحة الانفاليد وبرج أيفل ومنظرها فى غاية البهاء وهى أحدث محطات باريس وأجملها ويذهب المسافرون منها الى غرب فرنسا

ثم محطات الصو والانفاليد وغيرهما من المحطات الكثيرة المنتشرة بجميع أحياء المدينة

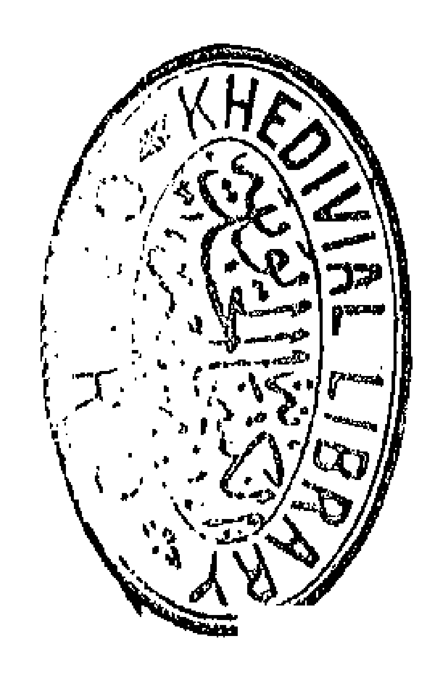
ونظراً لامتداد الخطوط وطول ساعات السفر التي يقضيها الأنسان داخل القطارات بالبلاد الاوروبية قد جعلوا أكثر

القطارات السريعة (رابيد) وقطارات (الاكسبريس) يبتدئ مسيرها من المدن الكبيرة ليلا حتى يقضي الانسان أغلب ساعات السفر نائما في تلك القطارات وقد قامت شركة كبيرة تدعي (ترمينوس) بعمل الفنادق والمطاعم بجميع محطات فرنسا لينزل بها السائحون عند وصولهم تلك المحطات في الهزيع الاخير من الليل وذلك تلافيا لما يطرأ من عدم عثورهم على غرف خالية بفنادق المدينة في تلك الساعات المتأخرة ولكنهم جعلوا أجرا مرتفعة لتلك الفنادق والمطاعم التي لا يرتاح فيها المسافر لنقص الخدمة وعدم مساواتها في النظافة للفنادق الكائنة داخل المدن

ومن المنتزهات الشهيرة بباريس حديقة تدعى حديقة القمر (لوناپارك) كائنة بجهة پورت مايو قامت فيها شركة كبيرة بهوى الاراجيح المتعددة المتنوعة الاشكال وكلها تدار بالآلات البخارية العظيمة وبجانب تلك الاراجيح جبلاية صناعية كبيرة بنيت على مثال جبال روسيا ذات المغائر المتعددة وجعلوا بها قطارا كهربائيا صغيرا يجر كثيراً من العربات التي يجلس عليها المتنزهون كل اثنين الى جانب بعضهما على مقعد



باريس ـ البورصه ـ (٢٧٠)



ويسير القطار معتلياً قمات تلك الجبال هابطا الى أسفلها مجتازا لمغائرها بين ضوضاء الراكبين وصيحاتهم المتوالية لشدة رعبهم وتأثير حركات القطار فيهم عند اعتلائه لاحدى تلك القمات وهبوطه فى لحظة الى الاسفل في طريق به ميل خفيف ثم صعوده بشدة الى القمة الاخرى فى طريق يكاد يكون عموديا

وهكذا الي اتمام دورته التي تستغرق ما يزيد عن ربع ساعة بينما القطارات الأخرى تسير على خط بجانب ذلك القطار وتتجه الي عكس اتجاهه وعليها الراكبون فرحون بتلك السياحة العظيمة بجبال الروسيا محط الثلوج المتكاثرة ومركز المغائر العميقة التي ينتقلون منها فى لحظة الي ركوب الاراجيح الباريسية والزوارق الجميلة التي تسقط من عليين فى طريق خصيص بذلك وتنفذ كنفوذ السهام الى بحيرة كبيرة وسط ذلك المنتزه وعليها المتنزهون الذين تتشنج اعصاب بعضهم من شدة الرعب عند سقوطهم الى تلك البحيرة وغير ذلك من الاراجيح التي تشبه العربات السيارات والطيارات والبالونات والسواقى عدا الكهوف ومغائر الجن والارج

السحرى والنهر الذى يمر بأسفل تلك الكهوف والمغائر وبه الزوارق وعليها المتنزهون ومايتبع ذلك من صنوف الألاعيب والملاهى التى تشرح الخاطر وتزيل عن الناس الهموم والاكدار

وتلك الحديقة يقصدها الپاريسيون للتنزه ولهم بها غرام نادر اذ يفضلونها عن باقى المراسح والملاهى الاخرى الموجود بها التمثيل والاغانى وغير ذلك لان المتنزه بحديقة (لونابارك) يشترك بجسمه وجميع حواسه لجلب السرور والابتهاج لنفسه ولغيره وأما الملاهي الاخرى فلا يشترك فيها الا بحاستي السمع والبصر فضلا عن الرياضة البدنية التى لا يتأتى وجودها الا بتلك الحديقة وعلى تلك الاراجيح التى يتسابق الشيوخ والكهول والشبان لاجتناء ثمرة رياضتها البدنية والتأثر بحركاتها المفرحة فلا تخلو لحظة من العدد الوفير منهم أثناء النهار والليل التى تزدهى فيه بأنوار المصابيح الكهربائية التى تجعل لها رونقا يسحر الالباب ويذهل العقول اذ يرى القطارات سائرة بين الجبال والاراجيح فى حركة بين عزف الموسيقات وصياح السادات بينما القوم يتمازحون

ويقذفون الراكبين بخيوط الورق الملون الصغيرة التي تمتد فتشتبك أطرافها بملابسهم وتتطاير ذيولها الى الجو فتسقط على رؤوس المارين وتلتف بملابسهم وتسقط فضلاتها بعد تجزؤها الى قطع صغيرة فتكسو الارض ببديع ألوانها

وكأنما تلك الاوراق تعبر عن شعور الحب الحقيقي الواجب تبادله بين الناس المختلفي الاجناس في هذا المجتمع الانساني الذي يمثل سلسلة كبيرة تشتبك جميع حركاتها ولا يكون غنى لاحداها عن الاخرى نظرا لتبادل المرافق والمنافع في هاته الحياة

ذلك يجري بين أشعة المصابيح الكهربائية الكبيرة التي تنتشر بين جوانب المكان وتتخلل الاراجيح والألاعيب فتبدو الحديقة عافيها كأنها قطعة من نور تأخذ بالابصار وتختلب الالباب والكل في ابتهاج وسرور تتلألأ وجوههم ضياء ويطفح منها البشر فيزيدهم سناء وبهاء وبالجملة فان ذلك المكان جامع لما تتوق اليه النفوس وتشخص له الابصار وقد أخبرني أحد

الباريسيين بأن ما تأخذه الشركة التى قامت بذلك العمل العظيم من دخل ذلك المنتزه يربو على عشرة ملايين فرنكا فى السنة

ويوجد بالمدينة الحي اللاتيني الواقع بالضفة الاخرى من النهر وبه بولڤار سان جرمن وسان ميشيل وشارع المدارس وغيره من الشوارع الكبيرة المشيد على جوانبها المبانى والحوانيت العظيمة وبها المدارس والكليات الفخيمة التى يقصدها الطلبة من جميع انحاء العالم وقد يرتاح النازل فى ذلك الحي من عدم ارتفاع أجر الفنادق والمطاعم به ورخص المعيشة فيه عنها فى احياء باريس الاخرى المكتظة بالسائحين نترى المعيشة فيه هادئة مع ما يحويه من مجلبات الانس والسرور من المراسح الكثيرة والملاعب العديدة والحدائق النضرة والرياض الغناء التى تشرح الخاطر وتسر النفوس وتذهب عنها آثار الكد والتعب الناشئ من الاشتغال بتحصيل العلوم ومباشرة مختلف الشؤون

وبه سراى لوكسامبورج ومتحفها العظيم وحديقتها البديعة بحيراتها المتسعة وأشجارها الباسقة ورياضها الانيقة يجتمع بها الطلبة والمتنزهون أثناء الفراغ من أعمالهم فيجلسون

على مقاعدها وينتشرون بين طرقاتها ومسالكها منصتين الى عزف الموسيقى التي تصدح فيها ثلاثة أيام في الاسبوع بنغماتها المطربة وأصواتها الشجية كما يوجد بذلك الحى مرسح للرقص يدعى بال بيلييه يجتمع فيه الطلبة وسكان ذلك الحى ويتسامرون ويرقصون على الطريقة الافرنكية حتى منتصف الليل ويشتغل ثلاث ليال فى الاسبوع

وأما المدينة فهى دائما فى ابتهاج وسرور أرضها تضحك وسماؤها تضحك وجدرانها ضاحكة لا تخلو منها الاحتفالات الكبيرة والمعارض العظيمة والموالد الكثيرة لا يمر يوم فى سمائها ولا تغرب شمس فى أرجائها الا على أعياد زاهية وموالد باهية يجتمع فيها الناس من جميع انحاء المدينة وضواحيها ليمتعوا الطرف بالنظر الى ألاعيبها والدخول فى معارضها الموجود بها ما يزيد عن ما يوجد بحديقة القمر (لونا بارك) من الاشياء التي تذهب الهم عن القلوب ولكل جهة من جهات المدينة وحي من أحيائها أيام مخصوصة من السنة تقام فيها الاعياد بحفلاتها الزاهرة

وأكبرها عيدهم الوطني الكبير التي تحتفل به المدينة على اختلاف أحيائها (كما تحتفل به جميع المدن الفرنساوية) ويبتدئ من ١٢ يوليه حتى ١٤ منه الذى ينتهى فيه ذلك العيد باستعراض رئيس الجمهورية للجنود الفرنساوية فى ساحة لون شان (التى أتينا على ذكرها) فتقفل المصالح والدواوين والمحلات التجارية مدة الثلاثة أيام وتلبس المدينة فيها حلة زاهية من الزينات المنسقة تنسيقاً بديعاً ويخرج السكان الى الشوارع التى تنصب فيها الموسيقات وتعزف بألحانها فيرقص الناس على نغماتها ويتأبطون السواعد والاذرع وعليهم أبهى الحلل وأنفس الجواهر فينتقلون من حفلة الى أخرى سابحين فى بحار السرور لا تركن الأخت لأخيها ولا الولد لوالده ولا الام لبنيها بل كل يضرب فى الارض ويذهب أينما يروق له ويرقص مع من يصادفه لا فرق فى ذلك بين البنين والبنات والشيوخ والاطفال والاغنياء والفقراء فهم يعتبرون الكل سواء تجمعهم رابطة الوطن فيعم السرور والابتهاج وتغص الشوارع والرحبات بالمحتفلين يرقصون ويلعبون

وينتقلون الى الموائد المقامة بجوانب الطرق والميادين يأكلون ويشربون مغتبطين بعيدهم العظيم عيد الحرية ويوم الجمهورية لتلك الامة العظيمة التى تخاصت فى مثله من سنة ١٧٨٩ من استبداد الملوك والامراء بعد ثورة الشعب وتغلبه على جنود لويس السادس عشر وسقوط قلعة الباستيل فى يوم ١٤ يوليه من تلك السنة فى قبضته وكان بها السجن المظلم (الذي أتينا على ذكره) فعد استيلاء الشعب وأخراج المجرمين السياسيين منه فوزاً عظيما ونصراً باهراً للحرية يحتفل الفرنساويون به في كل سنة فى جميع جهات الدنيا وأينما وجدوا براً وبحراً ولا يبعد عن ذهن القارئ احتفالهم السنوى فى حديقة الازبكيه بمصر وحديقة البتى شان بالاستانه وغيرها وما يتم في تلك الحفلات من ضروب البهجة والزينة التى تأخذ بالابصار وليتصور بعد ذلك مقدارما يأتونه فى عاصمتهم العظيمة مركز عزهم وبهائهم وقوتهم وعظمتهم انهم بلا شك يأتون فيها بالمعجزات من الزينات الفاخرة والزخارف الباهرة والاشياء النادرة والمرئيات العجيبة التى تتوق اليها النفوس وتسر بها

القلوب فضلا عن ذلك الشعور الوطني العظيم الذى يظهر على القوم بأجلى مظاهره وأبهي مفاخره

اذ ترى الاعلام الفرنساوية خفاقة على المبانى والمنازل والشوارع تتخلل القهوات والحوانيت منصوبة فوق العربات والسيارات مرشقة بصدور الناس وعلى ملابسهم وفوق قبعاتهم مرسومة على كل ما يستعملونه فى مأكلهم ومشربهم من الاوانى وما يحملونه فى جيوبهم من الاشياء

انهم يرقصون لفوز الوطن ونجاح الوطن يأكلون ويشربون لتقويم أجسامهم وأعدادها لحماية الوطن والدفاع عن الوطن يتعلمون ويدرسون ابتغاء افادة الوطن ورغبة فى اعلاء شأن الوطن يلهون ولا يفكرون الا فى الوطن فكل شئ عندهم الوطن وليس أمام عيونهم الا الوطن يحيون لنصرة الوطن ويموتون للدفاع عن الوطن فلا عجب اذا كانوا أمة قوية عظيمة لها تاريخ مجيد ومجد تليد وهم على تلك الصفة من حب الوطن الذى يرضعه الاطفال مع لبان أمهاتهم فلا يشبون الا وقد تمكن ذلك الحب من قلوبهم وامتزج

بأرواحهم ودمائهم فلا ينسونه ما جرى الدم بعروقهم وما بزغت الشموس فى أفقه وجرت الانهار فى أرضه ونبتت النباتات فى حقله وسار الهواء فى جوه

ذلك الحب الطاهر الذى يجمع بين القلوب ويؤلف بين العناصر والطوائف من مختلفى المذاهب والاديان فيخرج منهم نبغاء سياسيين وعلماء محنكين وقواد ماهرين وفضلاء قادرين يشتغلون لعظمة الوطن ويسعون فى سبيل تقدمه ورقيه

ان الزائر لتلك المدينة العظيمة المشاهد لهاته الاحتفالات الوطنية ليخالجه السرور والاعجاب بالقوم ووطنيتهم وشعورهم نحو بلادهم التى أحيتهم بأنهارها وأشبعتهم بمزارعها وخيراتها وأظلتهم شمسها وآوتهم الى مدنها وضياعها وأنشقتهم عليل هوائها وأروتهم بسلسبيل مائها

ينتهي ذلك العيد الوطنى العظيم يوم ١٤ يوليه الذى يستعرض فى صباحه رئيس الجمهورية الجنود اذ تنصب الصواوين والخيام بساحة لونشان وتقام فيها السرادقات الفخيمة ويحضر اليها الوزراء والسفراء والكبراء والعظماء وقواد الجيش

وتقدم اليها رئيس الجمهورية بموكبه فيستقبله الوزراء والقواد وعند ما يستقر فى مكانه يرفع علم الجمهورية فوق رأسه وتطلق المدافع ويهتف الناس بالدعاء للجمهورية والجيش والرئيس ويبدأ الاستعراض اذ يأمر القائد العام الجيش فيتحرك وتمر الفرق من المشاة والفرسان تباعا أمام الرئيس بأزيائها البديعة وأشكالها المختلفة ونظامها الباهر وتحييه وبعد ذلك تمر فرق الطوبجية بمدافعها الضخمة وعرباتها الكبيرة وعندها ينتهي الاستعراض ويرجع رئيس الجمهورية الى قصره وتعود الفرق الى ثكناتها وأمام كل منها موسيقاها تصدح بألحانها بين هتاف القوم وأعجابهم بنظامها

ويتقدم ذلك العيد ويتلوه أعياد كثيرة تقام بأحياء المدينة المختلفة وتكون غاية فى البهجة والزينة يزدحم فيها الناس والبشر يطفح على أسرتهم والسرور يخالج قلوبهم والنعماء ترفلهم والعز والسؤدد يشملهم وسعادة الوطن تشجعهم فتكون أعيادهم زاهرة وحفلاتهم باهرة مفعمة بالفرح والسرور شاملة لمجالى الانس والحبور تختال فيها الناس عجبا ويتيه فيها القوم طربا

ومن تلك الاعياد

١ — عيد العجزة بساحتها من ٢٠ مايو الى ٤ يونيه ومن ٨ اكتوبر الي ٢٣ منه

٢ — عيد العجزة ببولفار ريشاورلونوار من ٢٩ اكتوبر الى ١٣ نوفمبر

٣ - عيد العجزة ببولفار الغبليت والكنيسة من ٢٧ أغسطس الي ١١ ستمبر

٤ — مولد الجانيون ببولفار ريشار لونوار أيام الاثنين والثلاث والاربع والخميس من الاسبوع السابق لعيد الفصح

٥ — مولد خبز البهارات عيدان الوطن ببولفارادچاسان مدة شهر من بعد يوم عيد الفصح

٦ — مولد نويي بأفنو نويي يمكث ثلاثة أسابيع ويبتدئ من ثالث أحد بيونيه لغاية أول أحد بيوليه

٧ — عيد اللوج بغابة سان چرمن يمكث عشرة أيام من أول أحد بعد ٢٥ أغسطس

٨ — عيد سان كاو بحديقة سان كاو من ٩ ستمبر لغاية ١٧ اكتوبر

٩ — عيد العجزة بيولفار ريشارلو نوار من ٢٩ الى اكتوبر ١٣ نوفمبر

١٠ — عيد العجزة بميدان الوطن من ١٧ ستمبر الى ٢ اكتوبر

١١ — « « بميدان دوشيل ومايقابله من ١١ الي ٢٥ فبراير

١٢ — « « بميدان ايطاليا وما يقابله من ١٠ الى ٢٥ ديسمبر

١٣ — « « بباب ايطاليا من ٢١ يناير الى ٣ فبراير

١٤ — « « بيولفار برون من ٢٠ مايو الي ٤ يونيه

١٥ — « « بشارع المونسير رميس والرى من ١٠ الى ٢٥ يونيه

١٦ — « « بسبع بلفور من ١٧ ستمبر الي ٢٢ اكتوبر

١٧ — عيد المعجزة بشارع المين من ٢٩ الى ١٣ مايو

١٨ — « « بولفار باستور وفوجيرار من ٢٥ مارس الى ٩ ابريل

١٩ — « « بشارع القديس شارل وفويي من ٢٧ أغسطس الى ١١ ستمبر

٢٠ — « « بولفار لنفيير من ٢٧ أغسطس الى ١١ ستمبر

٢١ — « « بولفار الجرناي من ٢٧ أغسطس الى ١١ ستمبر

٢٢ — « « بحديقة الابينيت من ١٠ الى ٥ يونيه

٢٣ — « « بولفار نويي من ٢٥ مارس الى ٩ ابريل

٢٤ — « « بشارع الكنيسة من ١٠ الى ٢٥ يونيه

٢٥ — « « بشارع لبنيتز من ٨ الى ٢٣ اكتوبر

٢٦ — « « بولفار رشوار من ١٩ نوفمبر الى ٤ دسمبر

٢٨ — عيد العجزة بميدان ارمان كارل من ٢٠ مايو الى ٤ يونيه

٢٨ — « « بشارع فلاندر من ١٧ ستمبر الى ٤ اكتوبر

٢٩ — « « بميدان الاعياد من ١٠ الى ٢٥ ديسمبر

٣٠ — « « ببولفار الڤيت من ١٤ الى ٩ مارس

٣١ — « « بميدان ريجول من ٢٧ اكتوبر الى ١٨ نوفمبر

٣٢ — « « ببولفار مينايمونتان وبلڤيل من ٣١ ديسمبر الى ١٥ يناير

وغير ذلك من الاعياد الكثيرة التي لها مواعيد خاصة باحياء المدينة وضواحيها

وتوجد بالمدينة حديقة جميلة تدعى حديقة النباتات واقعة على ضفة نهر السين قريبا من محطة ليون وقد جمع فيها الكثير من الحيوانات العجيبة والنباتات الغريبة التي أحضرت من جميع جهات الارض

وشيدت بها المباني الفخيمة المحفوظة بها أجسام الحيوانات والنباتات والطيور والزحافات على اختلاف ألوانها وتنوعها بكل أجسامها وعظامها بعد تحنيطها فيرى من ذلك الانسان غرائب التاريخ الطبيعي لتلك الحيوانات والنباتات وبها قسم يتعلم به ما يزيد عن ثلثمائة شخص ويتلقون دروس التاريخ الطبيعي لتلك الاجسام ولتلك الحديقة شهرة زائدة في جميع جهات العالم ينتابها الناس من جميع الجهات لتلقي تلك الدروس والتنزه بين رياضها الغناء ومشاهدة غرائبها

وتلك المدينة العظيمة لا يوجد مدينة في العالم تماثلها في كثرة الضواحي ذات المناظر العجيبة والمباني الفخيمة والرياض الفيحاء التي تشرح الصدور وتزيل عن النفس المشاغل والاكدار فضلا عن تعدد القصور الفخيمة والمباني العظيمة التي شادها ملوك فرنسا وعظماؤها لاصطيافهم فيها التي تكاد أن لا تدخل تحت حصر مع ما أوتيت من فخامة المنظر وحسن الرواء وبهاء الشكل وكثرة الحدائق والرياض والبحيرات وسعة الارجاء واتساع الجوانب ولا يمكن السائح

مهما تعددت زياراته لتلك المدينة أن يلم بجميع تلك الضواحى ويشاهدها ولذا فانى أقدم للقارئ وصف بعضها الذى تيسر لى مشاهدته مدة زياراتى لتلك المدينة العظيمة وهى

(سان كاو) ذات شهرة عظيمة حيث قد شيد فيها نابليون الثالث قصراً فخماً ليقضي به جزءاً من الصيف وقد تهدم جزء من ذلك القصر وأصابته أضرار عظيمة من قنابل الجيش البروسى فى حرب السبعين ويمكن للزائر أن يصلها من طريق نهر السين الذاهب الى جهة برج أيفل والتروكاديرو وسيفر أو يركب الترام الكهربائى من سراي اللوفر ويمر بجانب التولري وميدان الاتحاد وغيره من المناظر البهية والرياض الفيحاء حتى يصل ذلك المكان الجامع لأفخم القصور والمنازل المنسقة على أحسن ابداع فى الاشكال الهندسية مع حدائقها ورياضها الانيقة ذات الاشجار الباسقة والازهار المتنوعة والرياحين العطرية الذى يسكنه الاغنياء والعظماء من سكان باريس ويفضلونه عن داخل المدينه لما فيه من جودة الهواء والهدء والسكينه وبه حديقة عظيمة ممتدة بجانب نهر

السين بها البحيرات والتماثيل العجيبة يؤمها خلق كثير من المتنزهين وتقام فيها الافراح والزينات والصواوين العديدة وقت الاحتفال بعيد سان كلو الذى أتينا على ذكره

وقريباً من سان كلو على ضفة النهر توجد ناحية سيفر المشهورة بمعملها الكبير المختص بعمل الخزف والفخار الصيني المعروف باسم سيفر يؤمه الكثيرون من السائحين لمشاهدة مصنوعاته لما لها من الشهرة الذائعة وقد تباع احدى قطعها بألوف الفرنكات

ومن ضواحى المدينه جهة (شارنتون) و (الفيل) على نهر السين من الطرف الآخر للمدينة وتذهب اليها البواخر المتجهة الى عكس اتجاه بواخر سان كلو حيث تمر بسراى الحقانية وقصر المجلس البلدى وغيرها من المعامل والمصانع الكائنة على ضفتى النهر حتى شارنتون ويقصدها المتنزهون من سكان المدينة فى أيام الآحاد والاعياد حيث يجلسون ويأكلون ويلعبون ويمرحون على تلك الاعشاب والحشائش السندسية الكائنة بالجزيرة الواقعة بنهر السين أمام شارنتون التى يذهب

اليها أكثر السكان للتسلية بصيد الاسماك وتوجد بتلك الجهة الكثير من المطاعم والفنادق ومحلات الرقص على الطريقة الافرنكية التي يؤمها الناس أثناء النهار وهي مخصصة للعائلات ويمكن الوصول الى شارنتون كذلك بالترام الكهربائى من متحف اللوفر

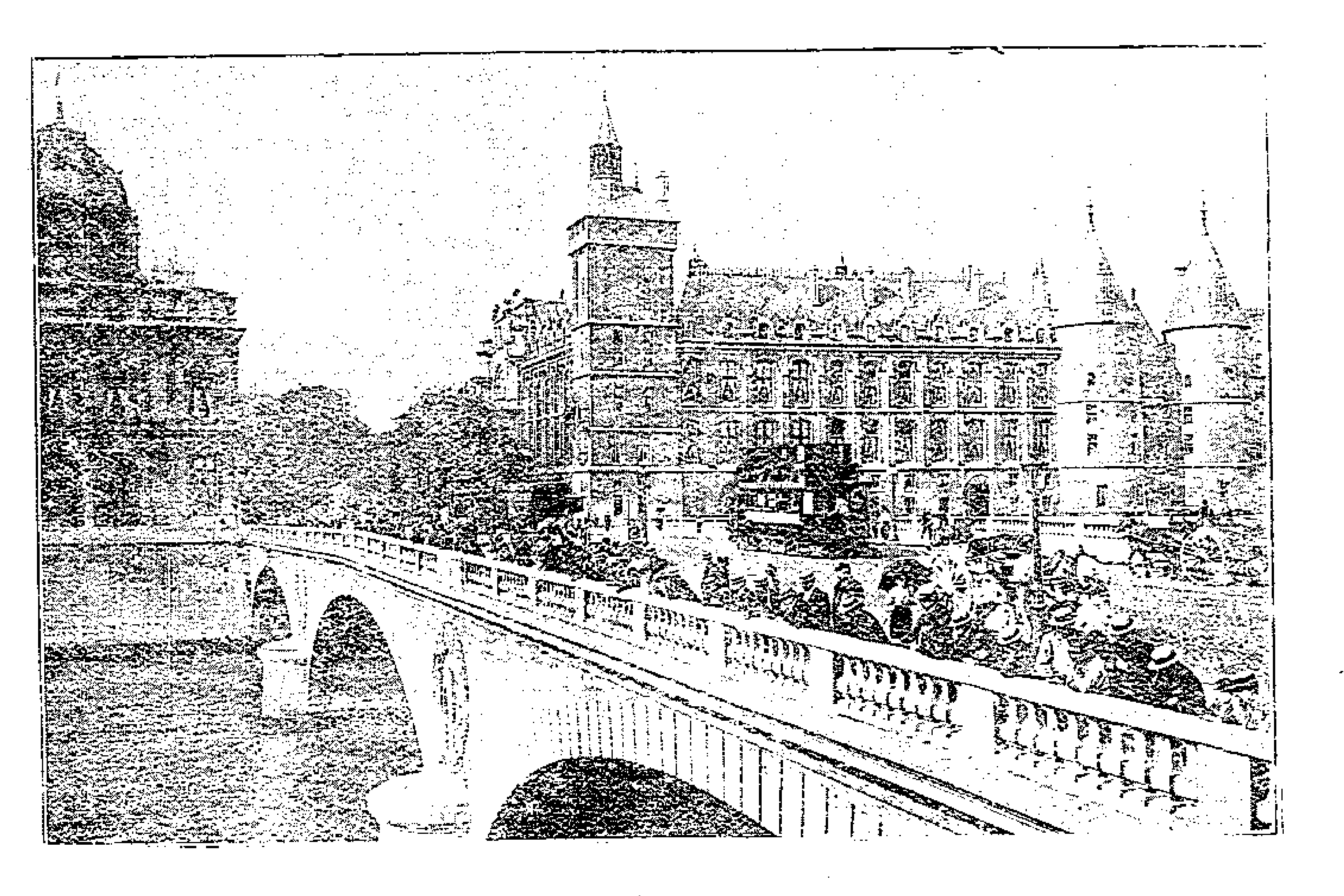
ومن أبهى الضواحى مدينة (ڤرساي) وقد أتينا على وصفها ثم (أنجيون) والوصول اليها من محطة الشمال مسافة ربع ساعة بالقطار وبها بحيرة عظيمة تسير بها الزوارق العديدة التي يستأجرها الزائرون فيمضون بها الساعات العديدة محدقين بالقصور الشماء والغابات الكثيفة والحدائق البديعة المحيطة بشواطيء البحيرة التي يروضون أنفسهم فى زوارقها ويتجازبون بها المجاذيف العديدة وبجانب تلك البحيرة يوجد (كازينو) كبير تصدح به الموسيقى فى أوقات معلومة وتقام بذلك الكازينو وبجوانب تلك البحيرة زينات فاخرة وافراح باهرة فى بعض الليالى التي يؤمها فيها الناس من كل حدب وتسمي تلك الحفلات (عيد الليل) يعلن عن أوقاتها فى الجرائد وتوزع

بها الاعلانات في جوانب باريس

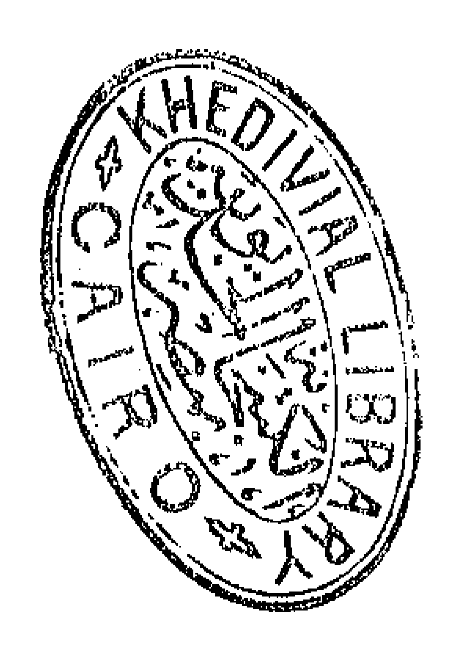
ومن تلك الضواحى الزاهرة جهة (الصو) ويذهب اليها بالقطار من محطة الصو ببولفار سان ميشيل ويبلغها القطار بعد عشرين دقيقة وبها من الحدائق والقصور الفخيمة التي شيدها بعض أعضاء العائلات الملوكية فى فرنسا وصارت الآن منتزها عاما يؤمها المئات والالوف من المتنزهين كما يوجد من تلك الضواحي الفخيمة مدينة (فونتين بلو) ويصل لها الزائر من محطة ليون ويقطع القطار المسافة بينها وبين باريس فى ساعة تامة وبها قصر عظيم يقال انه كان لنابليون وبه حديقة فيحاء تثرت الرياض والبحيرات فى جوانبها وغرست بها الاشجار الباسقة والازهار ذات الالوان البهية والروائح العطرية مما يقصر اليراع عن ذكره والاتيان على وصف مافى ذلك القصر وحديقته التى تشبه حديقة سراى ڤرساي من كل الوجوه وتوجد بتلك الضاحية غابة عظيمة لها طرق متعددة وطريق متسع تصعد فيه العربات خاصة بالزائرين

الذين يقضون بتلك الغابة الساعات العديدة يمتعون الطرف بمنظر أشجارها الباسقة وطرقاتها العجيبة فيرتعون ويمرحون بين مسالكها ويقتطفون من أطايب أزاهرها ويعودون الى المدينة حاملين بأيديهم الكثير من أزهارها المتنوعة فيزينون بها القاعات والغرف ويضعونها بين المنازل والقصور دليلا على زيارتهم لتلك الانحاء وتذكاراً لنزهتهم اللطيفة (ويتاو) ذلك كثير من الضواحي الجميلة ذات المناظر الشائقة والقصور البديعة مما يمل الانسان من سرد أوصافها نظراً لانطباقها على ماوصفناه بالضواحي والمتنزهات

فأرى ان اكتفى بما سردته من وصف تلك المدينة العظيمة وضواحيها التى لاتكفي المجلدات الضخمة لذلك وأعتذر للقراء عما أتيته من القصور والعجز في وصفها وما فاتني وصفه فيها من المبانى الفخيمة والمحلات العظيمة التى ذهبت عن ذاكرتى والتى لم يتيسر لى مشاهدتها والتى لا أرى فائدة من وصفها لوقوعها بنقط من المدينة يشاهدها الزائر لباريس وتقع في طريقه عدة دفعات فى اليوم وتنتشر صورها الفتوغرافية فى أنحاء العالم مثل



باريس ـ نظارة الحقانيه ـ (٢٩٠)



سرايــي الحقانية الواقعــة على ضفة نهر السين بين بولفار استراسبورج وسان ميشيل والسراى الملوكية القريبة من سراى اللاوفر وكنيسة (سكرى كير) وغيرها

﴿ نابولى ومرسيليا وبروكسل ﴾

وانتقل من وصف مدينــة باريس العظيمة الى وصف سياحتي الاخـيرة وزيارة معرض بروكسل وبما أن تلك السياحــة نشرت ضمن رسالتين أرسلتا الى جريدة العلم التى تصدر بمصر فأرى ان اكتفي بتحريرهما هنا بنصهما ويشملان وصف نابولى ومرسيليا وكوتترا كسفيل وبروكسل مع معرضها والرسـالة الاولى نشرت بتاريخ ٤ أغسطس سـنة ١٩١٠ و ٢٨ رجب سـنة ١٣٢٨ برقم ٧٧ من السـنة الاولى لجريدة العلم وهى بنصها

(من وراء البحر)

﴿ نظرة الى مصر ﴾

لم يبدأ فصل الصيف الا وقد خطرت لى فكرة السفر كالعادة الى الاقطار الاوربية ولم تكن الا أيام حتي عزمت ونفذت

العزم يوم ٩ يوليـه اذ ركبت وشقيقى الباخرة الالمانية التى وصلت الى بور سعيد قادمة من جنوب أفريقيا فى الساعـة الحادية عشر ونصف صباحا من ذلك اليوم وبارحتها فى الساعة الثالثة وكنت استفهمت من محل كوك عن القطار الذى نسافر فيـه من العاصمة فى ذلك اليوم فأخبرني بأنه لا بد من السفر بقطار الساعة السابعة صباحا وبحمد الله كان سفرنا فى ذلك القطار الذى لولاه لما لحقنا الباخرة

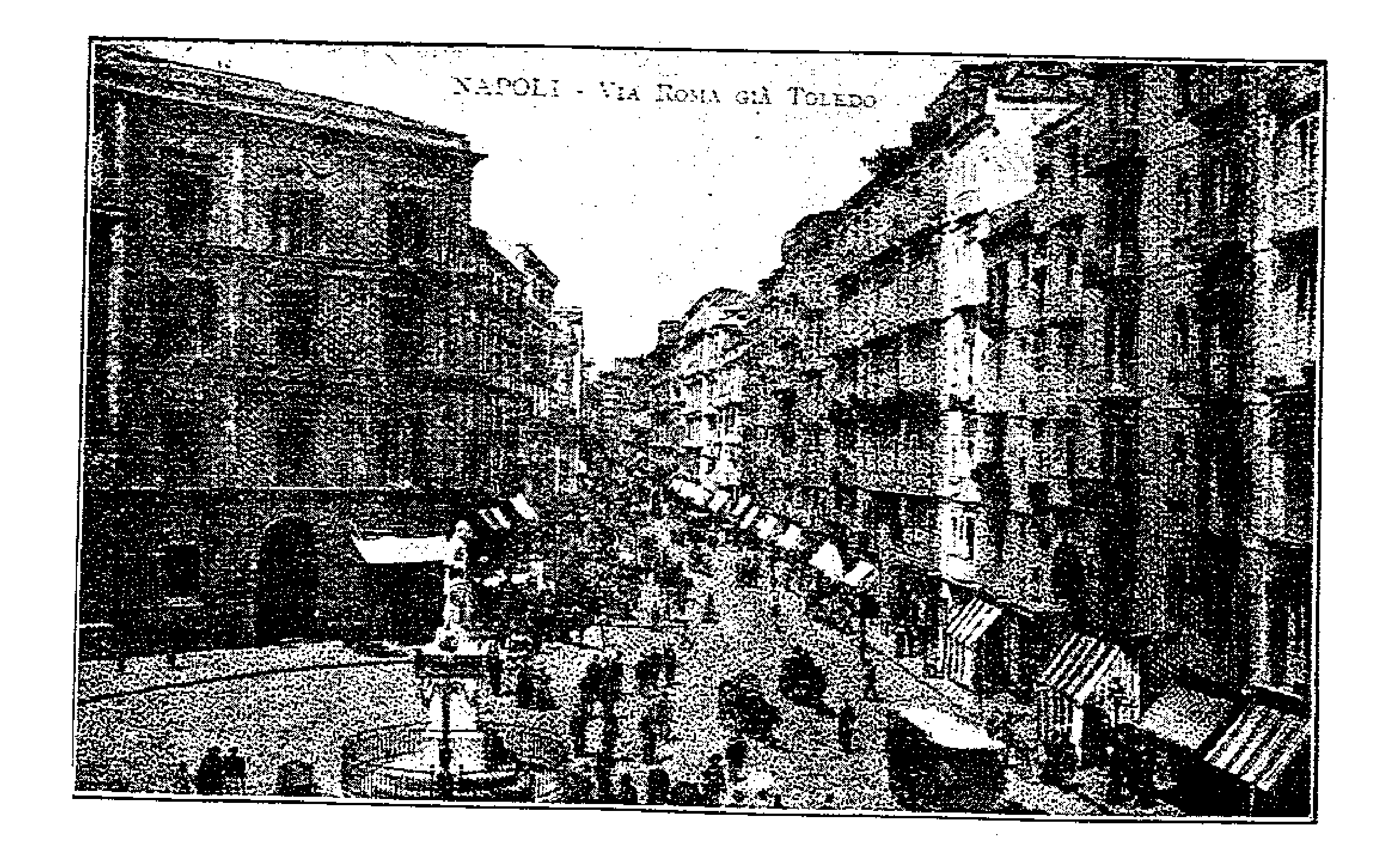
ولما سارت الباخرة باسم الله مجراها شقت عباب البحر وكانت موسيقاها تصدع بأنغامها توديعا لبور سعيد ذلك الثغر المصرى الذى كنت أشيعه بنظرات محب لوطنه ولما قاربنا الانتهاء من المرور بالبوغاز ظهر لنا تمثال (دلسبس) واقفا يشير بأصبعه الى البواخر القادمة من الغرب قائلا اعبروا القنال الى الشرق حيث مهدت لكم طريقه فادخلوه بسلام

وحينذاك تذكرت الوطن العزيز ومصائبه وما تم له بعد حفر تلك القناة من اطماع الدول الاستعمارية فيه واحتلال أكثرهن طمعا لبلاده فتنفست الصعداء وتمنيت لو أسعدنى ربى

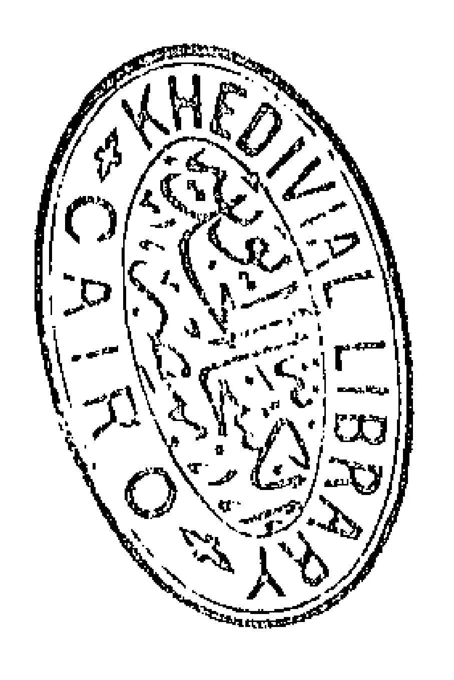
حتى أرى ذلك الوطن العزيز راتعا فى بحابح الحرية والاستقلال وبقبضته تلك القناة تدر عليه الخير وتزيده عزة وسعادة

ولما ابتعدت الباخرة عن الميناء وغاصت بين لجات البحر ولم نر لليابسة أثرا وكانت الغزالة قاربت على الافول ورنت بأشعتها الذهبية والباخرة سائرة بين سماء صافية وبحر هادئ وعليها ركاب باشو الوجوه فكان منظر جم بعد قوة الله (جل وعلا) الى قوة الماء قوة البخار وقوة الانسان وعند ذلك فتشت بالباخرة على أجد مصريا فلم تجاوبنى جوانبها الاسلبا وقطعنا سبعين ساعة والباخرة سائرة بين سماء صافية وماء موجه كالجبال حتى ظهرت لنا جبال ايطاليا (وكنا قبلها مررنا بجزيرة كريد حيث لم نرها لمرورنا بها ليلا) ولم يكن الا ساعات قلائل حتى ظهرت مدينة (رچيو) تلك المدينة التى عهدتها جميلة من قبل ولم أرها الآن الا وقد ذهب رونقها ولم تعد اليها نضارتها بعد تلك الزلازل التى قوضت دعائمها وبدلت أشكالها تبديلا وبعد أن استقامت الباخرة فى طريقها الى نابولى وسارت قليلا ظهر لنا بركان (استرانبولى) المسمى

(فنار البحر الابيض المتوسط) وهو جبل عال في وسط البحر كثير الارتفاع يصعد منه الدخان الى علو شاهق حتى انه يجعل له طريقا الي السحاب ولم يبعد عن انظارنا ذلك البركان الهائل الا بعد بضع ساعات بقينا بعدها سائرين الى الصباح اذا استيقظنا على عزف الموسيقى التى كانت تصدح بين عنابر النوم ايقاظا للركاب وتبشيرا لهم بوصولهم الى تلك المدينة الجميلة فأخذنا عدتنا للنزول الى البر لزيارتها وقرأنا الاعلان المعلق بالباخرة المعلن بمكثها بهذه الميناء الى الغروب فكان لنا متسع من الوقت لزيارتها فاخذنا عربة واخترقنا المدينة وشوارعها ومررنا بشارع البحر الذى فيه مبانى سفارات الدول المنظمة تنظيما بديعا كما أن جميع منازله مقامة على أحسن ابداع فى الاشكال الهندسية وبجانبها حدائقها الغناء التى تغرد فيها الطيور بنغماتها تعلوهما الجبال باشجارها المتنوعة التى فيها من كل صنف زوجان كما أن أشكالها تحتوى من الصور والنقوش ما هو جدير بايطاليا أم الفنون الجميلة في هذا العصر وبعدها اخترقنا الشوارع التجارية بالمدينة حتى وصلنا الي دار الآثار



نابولي ـ شارع رومه ـ (٢٩٤)


KHEDIVIAL LIBRARY
CAIRO

فوجدنا بها الكثير من النقوش والصور كما وجدنا بها كثيرا من الاشياء التى وجدت ببلدة (پومبيا) بعد هيجان بركان فيزوف وقذفه حممه على تلك البلدة التي دمرت تدميرا

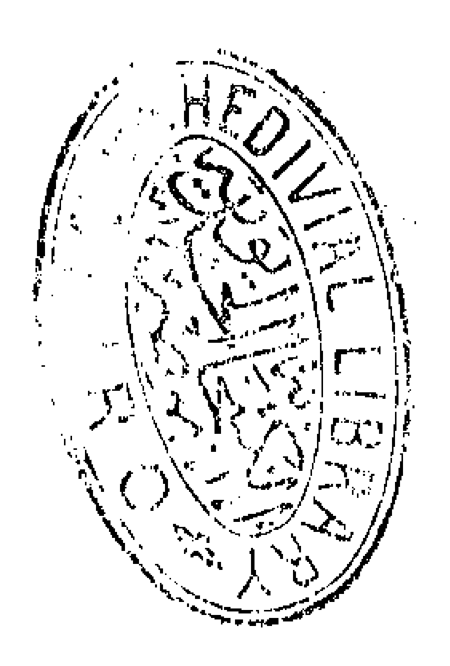
وبعد ذلك ذهبنا لرؤية العمارتين الكبيرتين المسماتين (جالرى) فوجدنا بكل منها من النقوش والصور أحسنه وهى عبارة عن عدة عمارات منظمة على شكل واحد يخترقها بضع شوارع مغطاة بالبلور ويتوسطها ميدان تعلوه قبة بللورية وضعت القهوات على حافته وكل شوارعها مفروشة بالرخام الناصع البياض وداخل احداها توجد البوستة وجميع محلات الجواهرجية والاشياء الثمينة كما أن ارتفاعها يقارب السبعة أدوار وبعد استراحتنا قليلا سرنا على الاقدام لزيارة المدينة فسرنا فى شوارع جميلة مرسلين النظر الى تلك المتاجر الموضوعة والاشياء المرموقة فوجدنا التجارة في حركة والقوم في نشاط ونحن نسير معجبين بنشاطهم حتى وصلنا الي المتنزه الوحيد للمدينة وهو فى نقطة جميلة على البحر فوجدنا القوم ينسلون اليه ذرافات ووحدانا

وبعد ذلك عدنا الى البحر وأخذنا قاربا قاصدين بلدة (پومپيا) الواقعة بجانب (فيزوف) فلم نجدها الا أطلالا بالية لم يسلم من مبانيها الا القليل من ذلك البركان الهائل الذى رمقها بغضبه ومنها عدنا الى الباخرة التي سارت عند الغروب قاصدة (مرسيليا) التي وصلناها بعد ست وثلاثين ساعة من سيرنا بالباخرة وقد مررنا في خلالها من «بوغاز» بونيفاشيو» الواقع بين جزيرتي (قورسيقا) و (سردينيا) وقضينا بها يوما زرنا في خلاله جميع جهات المدينة وهى لا تقل عن (ناپولى) رونقا بل ربما تزيد عنها هندامها وبها شارع متسع كذلك يضاهى ذلك الشارع الموجود بناپولى كما أن بها من الآثار كنيستها التي هى فوق ربوة عالية تشرف على جميع جهات المدينة ولها طريقان أحدهما يصعد فيه بالرقاة والآخر يسار فيه بالاقدام وهي كنيسة جميلة جميع عروشها محلاة بالذهب الابريز وبها كثير من الصور والنقوش الجميلة الذهبية

وبعدها ركبنا القطار قاصدين بلدة (كونتراكسفيل) التي هى من بلاد المياه الباردة بفرنسا وقد تعودت أن أقضى بها جزأ

NAPOLI - PIAZZA DELLA BORSA

ميدان البورصه بنابولي – (٢٩٦)



من الصيف فى كل عام فوصلناها بعد ماقضينا ١٧ ساعة بالقطار وهي واقعة بأعلى جبال (الفوج) وجوها يضاهى (جنيف) و(لوسرن) فى (سويسرا) حيث لا تنقطع عنها الامطار سوى بضع أسابيع فى فصل الصيف وهى من البلاد التي يزورها عشرات الألوف من السائحين الاميركان والانكليز فى كل عام وبها من الفنادق والحدائق الغناء مايعجز عنه الوصف وسنقيم بها بضع أيام حيث نذهب مباشرة الى بروكسل لزيارة المعرض العام بها وسنمر بمدينة نانسى لزيارة منزل « جان دارك » القريب من المدينة وسنوافيكم عند زيارتنا المعرض ببروكسل

نجيب حسين الجندى
بكونترا كسفيل

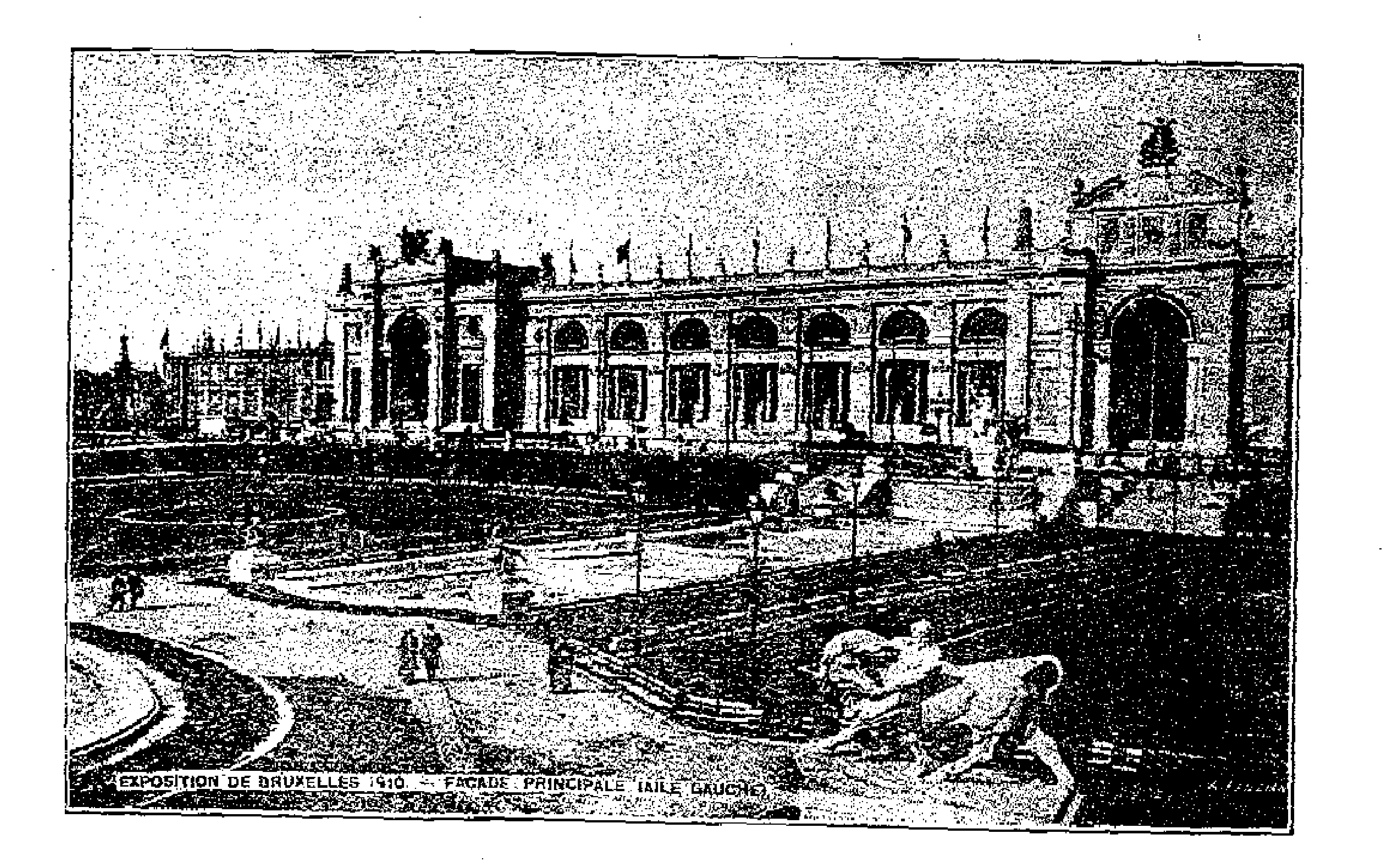
والرسالة الثانية نشرتها جريدة العلم بعددها ١٠٧ الصادر في يوم الخميس ٨ ستمبر وهى بنصها

من وراء البحر

﴿ نظرة الى مصر ﴾

(وزورة لمعرض بروكسل)

قضينا ثلاثة أسابيع بكونترا كسفيل استرحنا فيها من وعثاء السفر ثم ركبنا القطار يوم ٦ أغسطس قاصدين مدينة بروكسل عاصمة بلجيكا لزيارة المعرض العام مارين بمدينة نانسى التي وصلنا اليها بعد ساعتين ونصف وعند ذلك أودعنا حقائبنا بالمحطة وركبنا لزيارة المدينة فمررنا بها وبميادينها التي لم يلفت نظرنا الا نظافة شوارعها وجمال مبانيها ثم قصدنا منزل (جان دارك) الذي يبعد عن المدينة بضع كيلو مترات وهو منزل عادى بسيط قد كتبنا أسماءنا بدفتره ورجعنا الى المحطة حيث ركبنا القطار الذى وصل بروكسل فى الساعة السابعة مساء ونظرا لوجود المعرض العام بهذه المدينة ولكثرة زوارها



الهال الكبير بمعرض بروكسل – (٢٩٨)

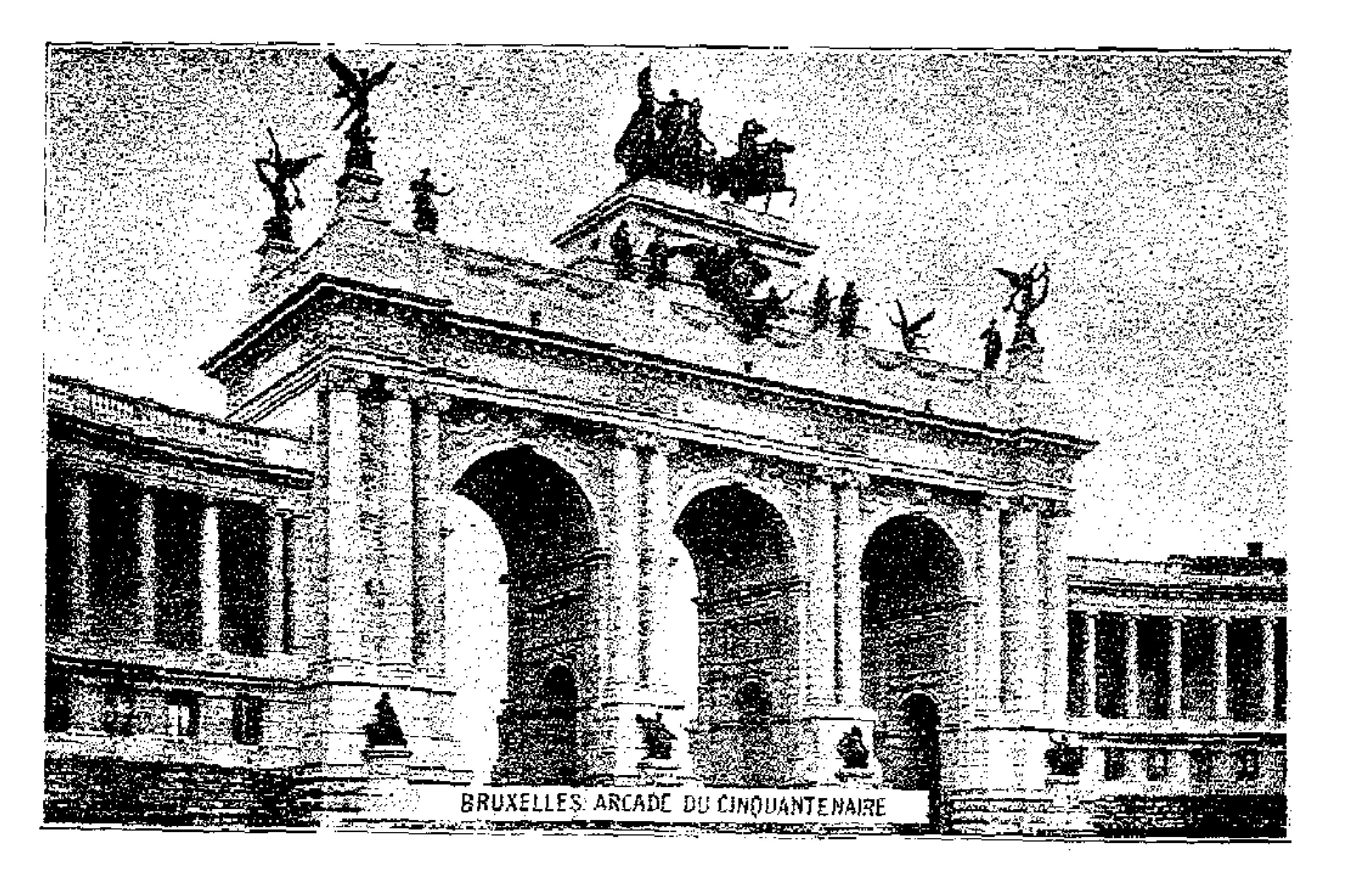


أثنائه أرسلت الى مدير أحد الفنادق بجوار المثابه (البورصة) بحجز محلات لنا فلما وصلنا ركبنا قاصدين ذلك الفندق الذى لم نجد فيه الا محلات فى طبقاته العليا وقد أخبرنا مدير الفندق بانه حجزها بصعوبة واطلعنا على التلغرافات التى تصله بين ساعة وأخرى بحجز محلات فوجدناها لاتحصى وعند ذلك تركنا حقائبنا بالفندق وركبنا مارين بباقى الفنادق علنا نجد محلات مناسبة فكلما نصل الي فندق يجيبنا من بالباب بعدم وجود محلات حتى مررنا بمشرات الفنادق التى حفلت بالقادمين فحمدنا الله اذ وجدنا أماكن بفندقنا ولو فى الطبقات العليا

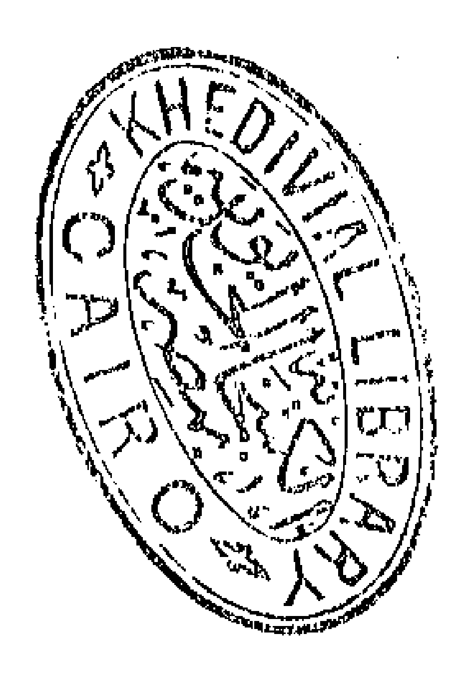
وتناولنا طعام العشاء بمطعم بجوار البورصة التي كانت مزينة بالكهرباء وكان الشارع الذى هي فيه من مبدأه عند محطة الشمال الى انتهائه عند محطة الجنوب مزينا أبدع زينة وهو المسمى بولفار انسپاش وكانت الزينة متصلة الاجزاء اتصال العقود خصوصاً عند النافورات التى هي لميدان (بوركيه) وقد كنت ترى المياه تتدفق ويتدفق معها النور فلا ترى الا نورا في نور وجمالا في جمال

واذا قست أى زينة عملت فى مصر بهذه الزينة فلا تجدها الا نقطة فى بحر خصوصا كيفية وضعها باشكالها الهندسية التى تسحر الالباب بجمال بهائها وتنوع أشكالها

وكان ذلك الشارع وماجاوره يموج بالزائرين المختلفى الأجناس والأشكال فقضينا ليلتنا وقمنا مبكرين لزيارة المدينة قبل دخولنا للمعرض فركبنا ومررنا بشوارعها الجميلة وزرنا البرج اليابانى الذى اشترته بلدية هذه المدينة من معرض باريس سنة ١٩٠٠ فوجدناه في غاية الرونق والجمال وهو مصنوع من النحاس الاصفر الذى يضاهى بمنظره الذهب الوهاج والبللور الملون وهو برج يحوي عدة أبراج وضع بعضها فوق بعض بغاية الاحكام وبجانبه القصر البللورى وهو مصنوع علي شكل البرج ويحوى من دقيق الصناعة وبهاء المنظر مايشهد لصانعيه بالبراعة ثم مررنا بالسراى الملوكية الجميلة التى أمامها حديقتها البديعة وقد أردنا زيارتها من الداخل فأجابونا بعدم امكان ذلك فى تلك الساعة لان الملك موجود بها فتركنا ذلك لفرصة أخري وذهبنا الى دار الآثار المسماة سراي (السنكانتير)



بروكسل بواكي السنكانتنير ـ (٣٠٠)



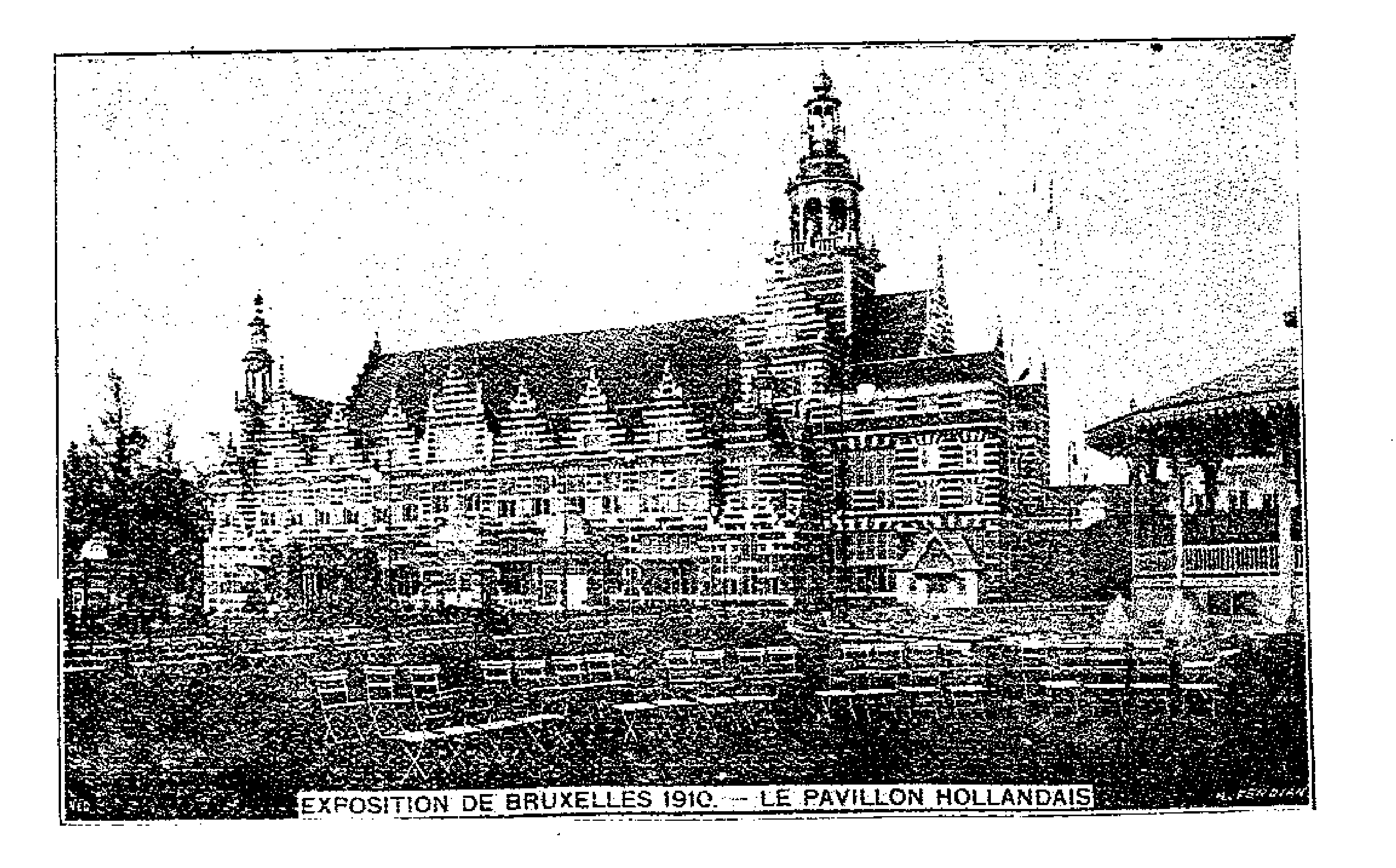
فوجدنا بها الكثير من الاشياء القديمة المتقنة الصنع البديعة الشكل كما وجدنا من دقيق الصناعة ومن الصور والرسوم مايشهد لاهل هذه البلاد بالبراعة والنشاط والاقتدار قديما وحديثا

وبعد زيارتها واصلنا المرور بالمدينة فكنا نرى منازل شاهقة مبنية من الطوب الاحمر الجميل وغير مبيضة من الخارج مما زادها جمالا حيث وضع البناء على أشكال في غاية الرواء كما ان وجهاتها ضيقة مما يدل على أن ثمن قيمة أراضى البناء فى البلاد مرتفعة

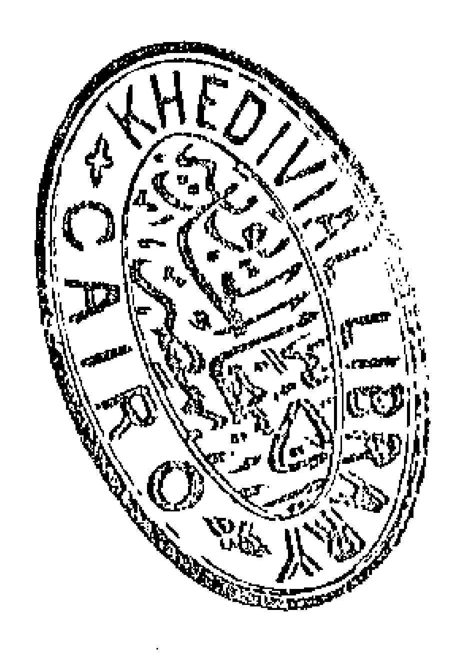
وبعد ذلك أخذنا راحتنا قليلا ثم قصدنا المعرض العام فما وصلنا الى بابه حتى وجدنا الزحام شديداً فانتظرنا قليلا ريثما تخف وطأته فلم يكن الا في ازدياد وعندها ألقينا بأنفسنا بين هاته الامم المحتشدة التى كانت تموج كموج البحر فما وصلنا الى المدخل الا بشق الانفس ولما عبرناه ظهرت لنا طرقات المعرض الموصلة الى قصوره البديعة المشيدة وسط حدائقه الغناء وقصدنا الطريق الذى على شمال الداخل الموصل الي (الهال الكبير) الموجودة به معروضات جميع الدول الصناعية

فابتدأنا بمعروضات بلجيكا فانجلترا ففرنسا فالمانيا فاليابان فالولايات المتحدة فسويسرا فايطاليا فغيرها من الدول فوجدنا مصنوعات ومعروضات في غاية الدقة خصوصا المصنوعات اليابانية الدقيقة والايطالية وعند مرورنا بذلك الهال حانت منا التفاتة فوجدنا على مدخل اسم (تركيا) وبجانبها قليل (مصر) فسررنا كثيراً عند رؤيتنا هذين الاسمين العزيزين لدينا واقد قلت في نفسي لعل كبار تجار بلادنا أدركوا قيمة عرض معروضاتهم في المعارض بين معروضات الدول.

فاسرعنا الى الداخل فلم تقع نظرنا الا على أشياء لم تصنع في نفس تلك البلاد وان كانت تماثلها وقد عرضها بعض الاسرائيليين الكثيري الرغبة في أحراز الاصفر الرنان وقد نظرنا بعض أشياء عرضها بعض الشركات التجارية الاجنبية الكبيرة في بلادنا مثل محل أورزدي باك (عمر أفندي) الموجود رسم محله بجانب معروضاته فتأسفنا كثيراً لعدم وجود محل تابع لتركي صميم أو مصري صميم اللهم الا محل الحاج بكير ذلك التركي الشهير



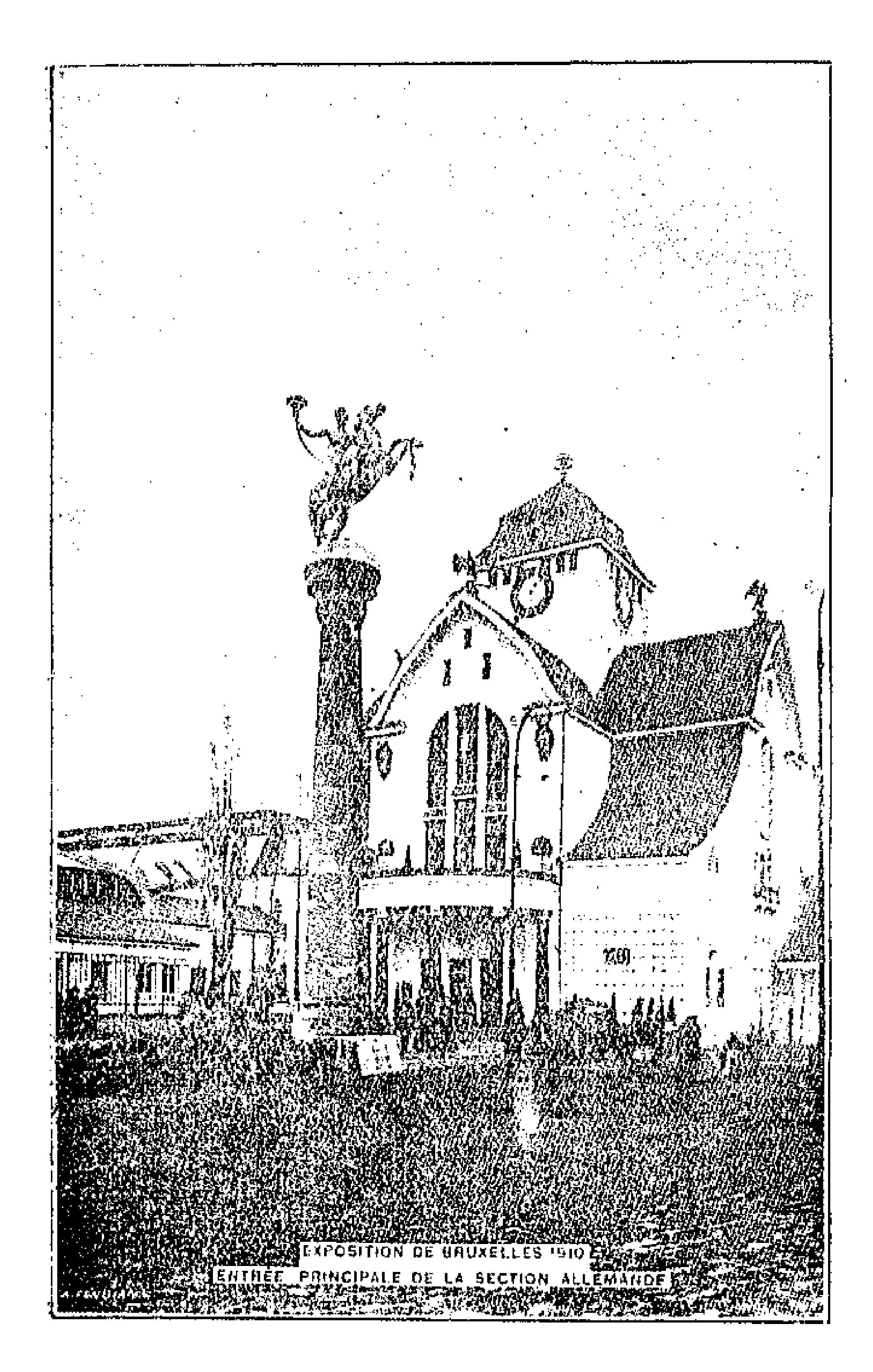
القصر الهولاندى ـ بمعرض بروكسل ـ (٣٠٢)



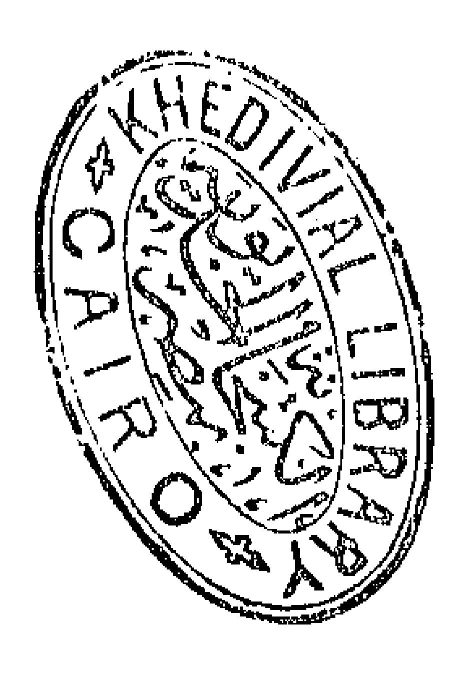
وانتقلنا من تلك الاقسام الي قسم الآلات الواقع جزء منه فى نفس ذلك الهال الكبير فوجدنا آلات نخمة مما تشهد لأهلها بالقوة والقدرة فى الصناعة ومما لفت نظرنا كثيراً الآلات الالمانية لضخامتها ونظافتها فوقفنا نجوا نبها معجبين بها فأخبرنا انه يوجد هال كبير مختص بمعروضات المانيا فعندذلك خرجنا مسرعين قاصدين الهال الألمانى الذى لم نضع أرجلنا داخله الا وقد عرتنا الدهشة من نخامة آلاته وضخمها ومتانة معروضاته وتفوقها على معروضات باقى الامم خصوصا السكك الحديديه وعرباتها وآلاتها البالغة مبلغا كبيرا من الضخامة وحسن الرونق ثم العربات السيارة والآلات الثابتة وآلات الزراعة والاسلحة ونماذج الطيارات وغيرها من جميع لوازم الحياة مما يشهد بأن المعرض الالمانى ومعروضات المانيا هى تاج المعرض العام وأفخم شئ فى ذلك المعرض هو لتلك الامة العظيمة أمة التجارة وأمة اليوم والمستقبل ثم انتقلنا الي معروضات الولايات المتحدة وأمم أمريكا الجنوبية فوجدنا من معروضاتها فى الصناعة والزراعة وآلاتها الشيء الكثير

وحبذا لو كانت حكومتنا المصرية اهتمت بارسال ارسالية من مدرسة الزراعة الي المعرض لدراسة الموجود به من الآلات الزراعية وأنواع الزراعة المعروضة من جميع البلاد حتى يزدادوا علما بأنواع الزراعة التى ربما يكون ادخالها الى مصر مجلبة لخير كثير كما انها كانت ترسل بعض طلبة مدرسة الصنائع والمهندسخانة وغيرها لمناظرة المعرض ودراسة مابه من كل فن كما تفعل دولتنا العلية حيث أرسلت الى المعرض بعثة علمية مؤلفة من نجباء تلامذة مدارسها ومعلميها لدراسة المعروضات فى جميع الفنون من صناعية وزراعية وتجارية وهندسية وغيرها

فعسى أن لا يفوت حكومتنا ذلك فى المعارض المستقبلة كما أنه يجب على كبار الوطنيين وكبار زراعنا أن لا يفوتهم ارسال معروضاتهم الى المعارض العامة حتى يخدموا مصر وأنفسهم ماديا وأدبيا وعلى كبار المصريين أن يؤلفوا جمعية لتشجيع ومؤازرة التجار والمزارعين على عرض معروضاتهم فى المعارض العامة ويكفى مصر صاحبة التاريخ المجيد وأم المدنية فى سالف العصور ما تلاقيه فى هذه المعارض من تمثيلها على



مدخل القصر الالمانى ـ بمعرض بروكسل ـ (٣٠٤)


KHEDIVIAL LIBRARY
CAIRO

يد من لا يهمهم الا اكتساب الاصفر الرنان يأتون ببعض الرعاع وبعض العاهرات ويلقون اليهم الطبل والمزمار ليزمروا ويطبلوا ويرقصوا كالقردة ويطلقون على ذلك اسم مصر ولكن الحمد لله أن تمثيل مصر فى هذا المعرض أخف وطأة من معرض ميلان فى سنة ٩٠٦ وفي المعارض السابقة حيث لم يؤت اليه بفقهاء ولا أولاد صغار حفاة عراة لا يستر أبدانهم الاجلابيب زرقاء مفتوحة الصدور ويجلسون بمحل قليل النور أشبه بزرائب المواشى مكتوب على مدخله (كتاب عربى) ثم ترى أنه كلما اجتمع بعض الزائرين يقفون أمام ذلك الكتاب ويأتى الفقيه المتصنع وبيده جريدته التى يضرب بها الاولاد الصغار المساكين كما تضرب الحيوانات ليهزوا ظهورهم أمام الزائرين ومثل ذلك من اقامة الصلاة والآذان فى غير أوقاته كلما اجتمع بعض الزائرين وغير ذلك عسى أن يتنبه له المصريون ليمثلوا بلادهم فى البلاد الاوربية وفى معارضها أحسن تمثيل

وقد انتقلنا الي جميع أقسام المعرض وزرناه فى خمسة أيام متوالية فوجدنا الشئ الكثير من المعروضات المهمة التي قدمتها البلاد الاوربية من تجارتها ومصنوعاتها ومحاصيلها ومحاصيل مستعمراتها وكذلك الشئ الكثير مما عرضته أمريكا من صناعتها وتجارتها ومحاصيل أرضها وأما البلاد الشرقية ماعدا اليابان فبكل أسف كان تمثيلها لهوا باردا للزائرين

وأما بنايات المعرض وصواوينه فكانت مقامة على أحسن شكل هندسي وبها من دقيق الصناعة والبراعة فى النقش ما يشهد لواضعيها بسلامة الذوق وأن الانسان ليأسف لعلمه ان جميع هاته البنايات ستزول عند نهاية المعرض

وكان بودى أن أصف لكم المعرض بكل قسم على حدته وأصف جميع معروضاته ولكن لم يسمح لى الوقت ولم تسمح لى صحتى أن أقيم أكثر من اسبوع فى بلد كهذا مائج بالزائرين اذ بارحتها يوم ١٢ أغسطس قاصدا باريس للاقامة بها بضعة أسابيع ثم الذهاب منها الي بعض بلاد سويسرا طلبا للراحة قبل عودتى الى بلادنا العزيزة وقد أسفت كثيرا حين ماعلمت



قصر مدينة بروكسل بالمعرض — (٣٠٦)


KHEDIVIAL LIBRARY
CAIRO

من جرائد باريس أحتراق بعض الاقسام المهمة بالمعرض

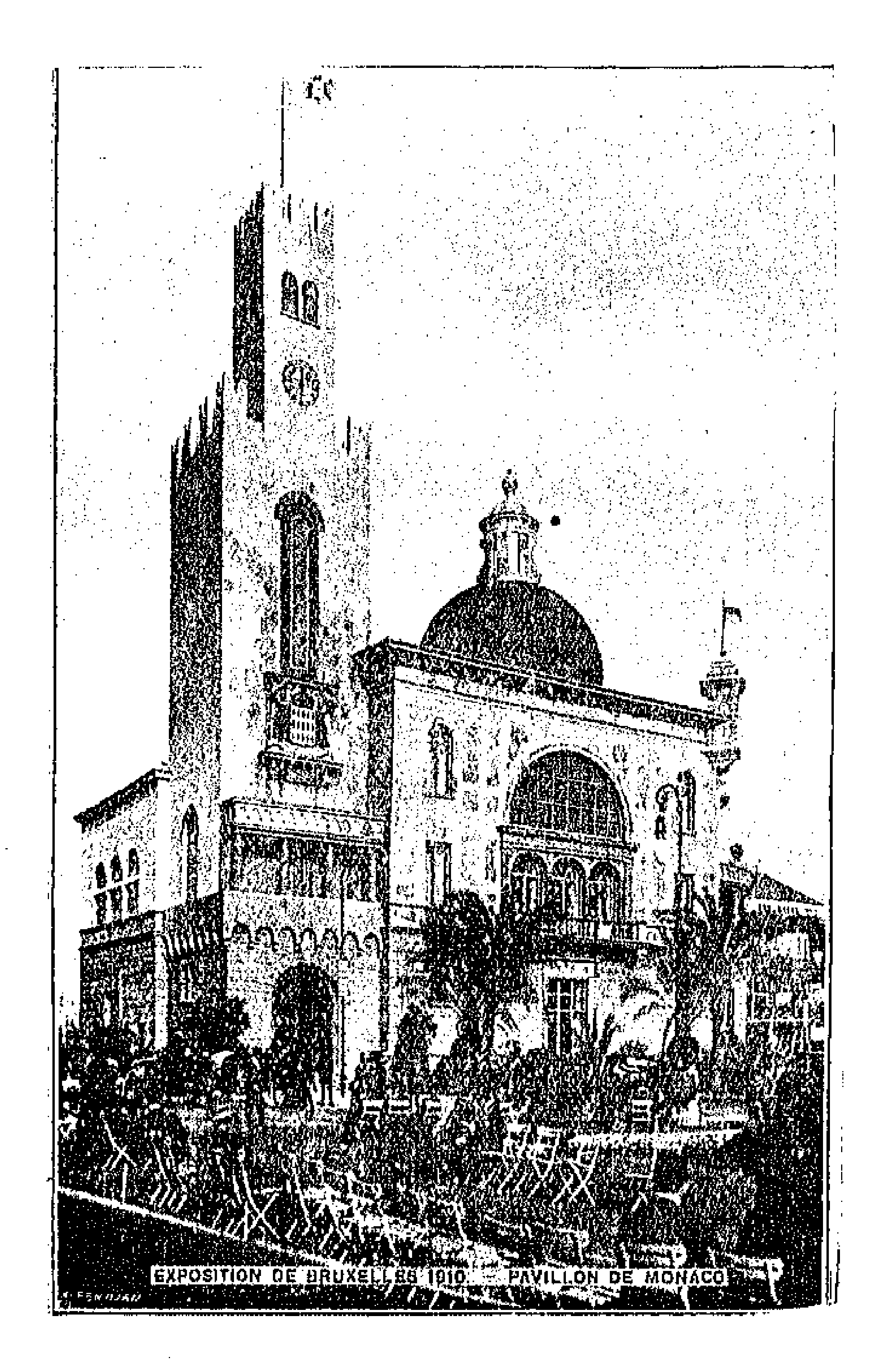
وقد فاتني أن أذكر لكم قسما من معروضات حكومة البلجيك فانه يوجد معروضات الكونغو الجهة التابعة للبلجيك بسراي التيرفورن التي تبعد عن المدينة بخمسة عشر كيلومترا حيث يذهب اليها من شارع متسع جميل خلف سراى (السنكانتير) يسير فيه الترام حتى التيرفورن ويخترق غابات جميلة وحدائق غناء وهناك تري معروضات الكونغو وجميع الاشياء التي ترد من هناك مثل العاج وريش النعام والجلود وغيره حتي أنه يوجد زراعة قطن بتلك الانحاء وهو قطن لا يقل في الجودة عن قطن صعيد مصر كما أنك تري جميع الصادرات من بلجيكا الى الكونغو وهناك تعلم السر في تزاحم الحكومات القوية على اقتناء المستعمرات والاحتفاظ بها لرواج تجارتها وصناعتها فيها

فيا مصر متي تكونين كهذه البلاد أو على الاقل متي يكون أهلك أحرارا في بلادهم أغنياء بتجاراتهم ومصنوعاتهم

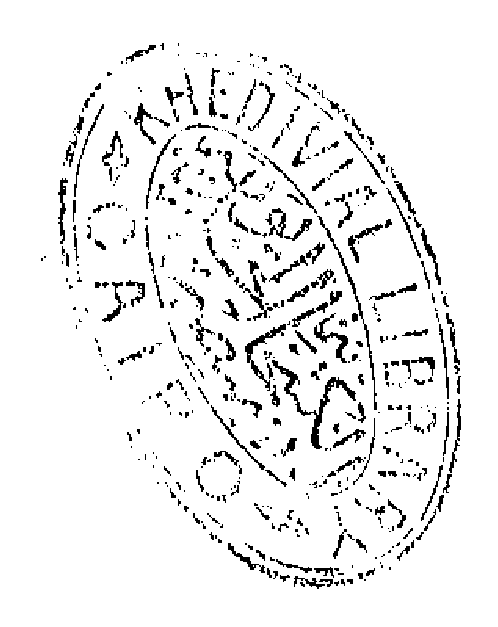
كما هم أغنياء الآن بزروعاتهم التي لا يهتمون بتنويمها ؟

(باريس)　　　　　(نجيب حسين الجندى)

(بروكسل) ولما كانت مدينة بروكسل من أجمل عواصم أوربا لما تشتمل عليه من المبانى الفخيمة والمتنزهات العظيمة والشوارع المتسعة (حتى انهم أطلقوا عليها اسم باريس الصغرى) نظرا لمشابهتها لباريس في أوضاعها ومناظرها ورقة أهلها وعوائدهم حتى أن الزائر لتلك المدينة يجد فيها من الراحة والسرور والمناظر والمتنزهات ما يخيل له أنه في باريس نفسها فاذا سار فى شوارعها وطرقاتها رأى الاشجار مصفوفة على الجانبين ويليها الارصفة المتسعة والبنايات الفخيمة بها الفنادق والمطاعم ومخازن التجارة وغيرها مما يرى فى البولفارات الباريسية كما أنه اذا أعتلى احدى المركبات أو السيارات واخترق المدينة لوجد القصور العظيمة ذات المناظر الباهرة والاشكال الفخيمة مثل سراى المجلس البلدى وقصر المحاكم ودواوين الحكومة وقصور الامراء وسراى الملك وغير ذلك من المشاهد العظيمة حتى يتيسر لى مشاهدة ما تحتويه من الداخل من الزخارف



قصر موناكو بمعرض بروكسل — (٣٠٨)



والاشياء ودراسة تواريخها نظراً لحصول زيارتي لها حين وجود المعرض بها التي استغرقت زيارته جميع أوقاتي مدة اقامتي القليلة بتلك المدينة العظيمة

ولذا أكتفي بما ذكرته عنها من الوصف وبما ضمنته كتابي هذا من صور مبانيها الشهيرة وقصورها الفخيمة وميادينها العظيمة الذي يعلم منها القارئ اللبيب والناظر المدقق فخامة تلك المدينة وأبنيتها وآثارها واعدا القارئين بايفاء وصفها من الاسهاب في رحلاتي المستقبلة (بمشيئة الله) اليها والى غيرها من البلاد التي لم يتضمنها كتابي هذا

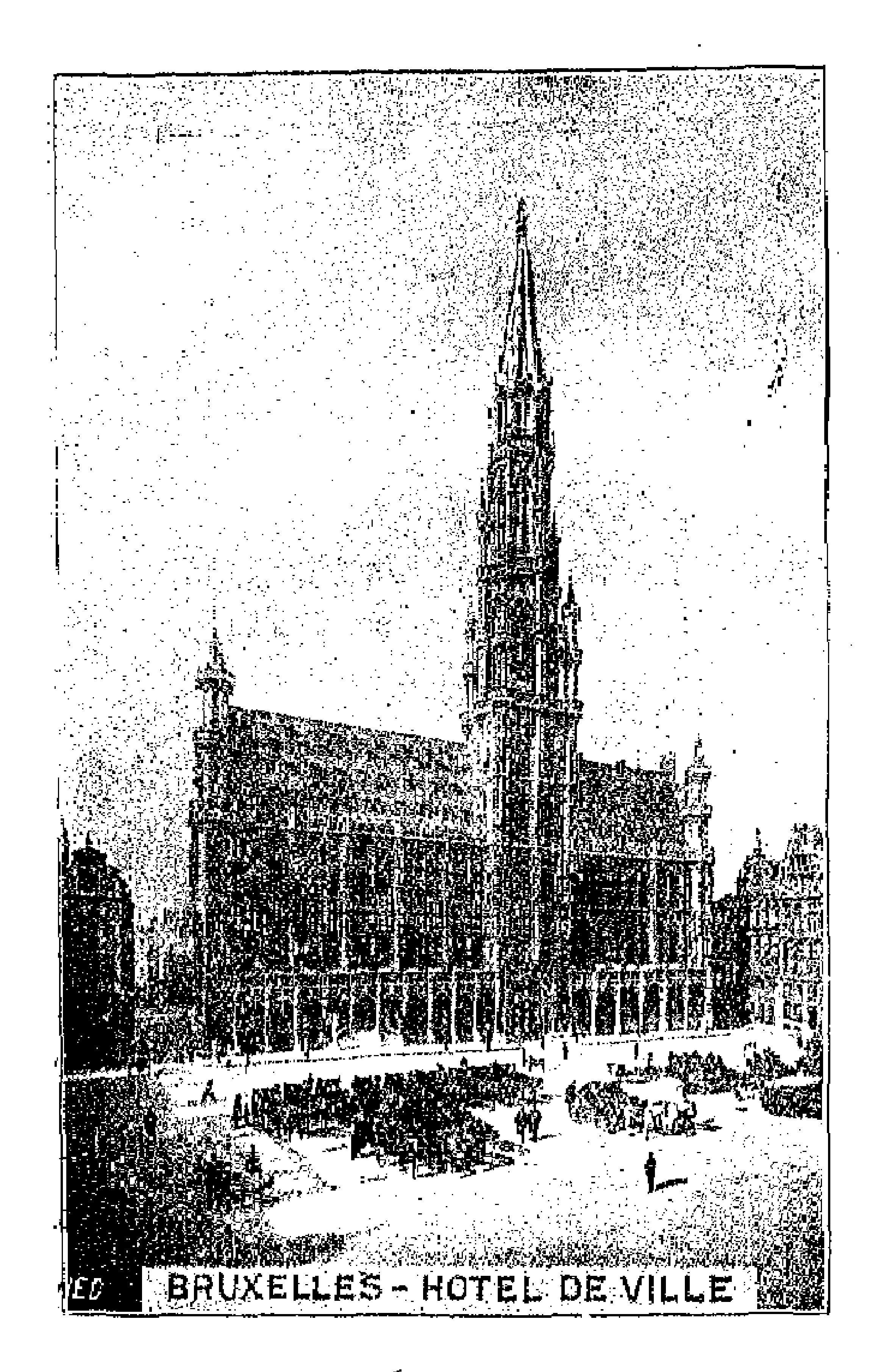
ولما كانت مدة سياحاتي بالاستانه العلية وأوروبا قد شاهدت فيها من نشاط القوم واهتمامهم بالزراعة والصناعة والتجارة وتعضيدهم لها حتى بلغوا بها شأواً بعيدا من القوة والمجد والعظمة والثروة وبسطة الجاه والنفوذ والسلطان في أرجاء العالم فقد حررت رسالة في أكتوبر سنة ١٩١٠ عقب حضوري من أوروبا أبنت فيها مبلغ اهتمامهم وما نظرته بعيني رأسي من تشجيعهم الصغار والكبار على العمل وما يأتيه

أغنياؤهم من حبهم للعمل والحض على العمل الذي يجلب السعادة والرفاهية لهـذا الجنس البشري وأرسلتها لجريدة العلم التي نشرتها بعددها رقم ١٥٢ الصادر في يوم الخميس غرة ذي القعدة ١٣٢٨ — و٣ نوفمبر سـنة ١٩١٠ وقد رأيت أن أدرجها في كتابي هذا لما تضمنته من بيان عوائد القوم وأخلاقهم وهي بنصها

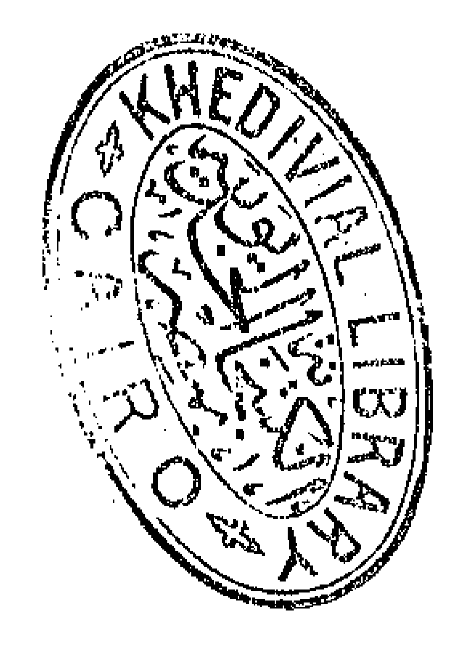
﴿ الفرق بيننا وبينهم ﴾

ان الزراعة في العالم هي قوام الحياة والصناعة والتجارة هما ساعداها الاولان في سبيل انماء وترقية المجتمع الانساني

ولذا عنيت الامم السابقة عناية عظيمة بالصناعة والتجارة كعنايتها بالزراعة وهـذه آثارها المحفوظة بدور الآثار تدل على أنها قد بلغت في ذلك مبلغا من الاتقان قد لا نبلغ بعضه الآن (الا في بعض الاشياء الحديثة الاختراع التي أتت في ظروف ليست كظروفها) وانك اذا نظرت في جميع الاشياء المستعملة في لوازم الحياة وجدت لها نماذج في دور الآثار تدل على سبق استعمالها وصنعها بيد تلك الامم السالفة



قصر المجلس البلدى ببروكسل ـ (٣١٠)



كلما بحث الباحثون ونقب المنقبون من علماء الآثار اهتدوا الى آثار مدنية سابقة قلما نبلغ مثلها الآن

ولذلك نجد الامم العظيمة والحكومات الرشيدة في أوروبا قد عنيت بذلك كل العناية وهي لا تزال تبذل الجهد في تأليف الارساليات العلمية وارسالها للبحث والتنقيب عن الآثار في جميع البلدان التى تكون مظنة لوجود مدنية بها في سالف الزمان

ولقد أصاب مصر السهم الوافر من عناية أمم أوروبا بآثارها حتى انك لا تدخل دار آثار لأى أمة من تلك الامم الا وجدت بها الشيء الكثير من آثار مصر مصدر المدنية والعرفان فى العصور الخالية

لم كل ذلك ولم هذه العناية انها بلا شك لترقية العلوم والصناعة والوقوف على أسرار تساعد رجال الاختراع الذين يبذلون نفيس حياتهم فى سبيل راحة ورفاهية هذا المجتمع الانسانى

فنجد أن الامم الاوربية قد بلغت شأواً بعيداً فى الصناعة

والتجارة والاختراع حتى أنه يمكنني أن أقول ان هذه القوة والعظمة والثروة التي يرتع فيها أهل أوروبا الآن معظمها ناشئ من الصناعة التى تلازمها التجارة بطبيعة الحال فانك اذا زرت أى بلد من البلاد الأوروبية حتى قراها الريفية واستقصيت أعمالها وجدت أن كل بلدة أو قريه تمتاز عن الأخرى بشئ من ضروب الصناعة فتجد في هذه القريه معملا لعمل السكاكين وفي الاخرى معملا لعمل الاواني النحاسية وفى غيرها معملا لعمل الاسمنت وغيره من كل لوازم الحياة

انك تجد من اهتمامهم بالصناعة والعمل ما يظهر لك بأجلى وضوح فى مجتمعاتهم ومتنزهاتهم نفسها

انك ترى كبارهم وأغنياءهم فى بلاد الحمامات التي يقصدونها فى فصل الصيف للتنزه والرياضة من عناء الاعمال لا تقل عنايتهم بالصناعة والعمل فيها عنها فى معاملهم وأعمالهم

ترى السيدات يجلسن فى أوقات الفراغ بميدان (السكازينو) مع بناتهن وكل منهن تشتغل بنسيج أو تطريز شئ من لوازم الملبس والمسكن . وهن يتنافسن وتتفاخر منهن

BRUXELLES. LA BOURSE



بروكسل البورصه ـ (٣١٢)



من تقدم الاتقن عملا والاحسن شكلا لا فرق بين بناتهن الكبار والصغار في ذلك ولا فرق بين الغنيات والفقيرات منهن لان من كانت غنية اهدت كل ما تشتغله الى الملاجئ والجميات الخيرية في بلادها ومن كانت فقيرة باعته بما يغنيها ويجعلها تشترى من سهوم البنوك الاوربية التي تسلف بلادنا أومن سهوم ديون حكوماتنا الشرقية ماتجعله أمانا لها ولذويها من الفقر

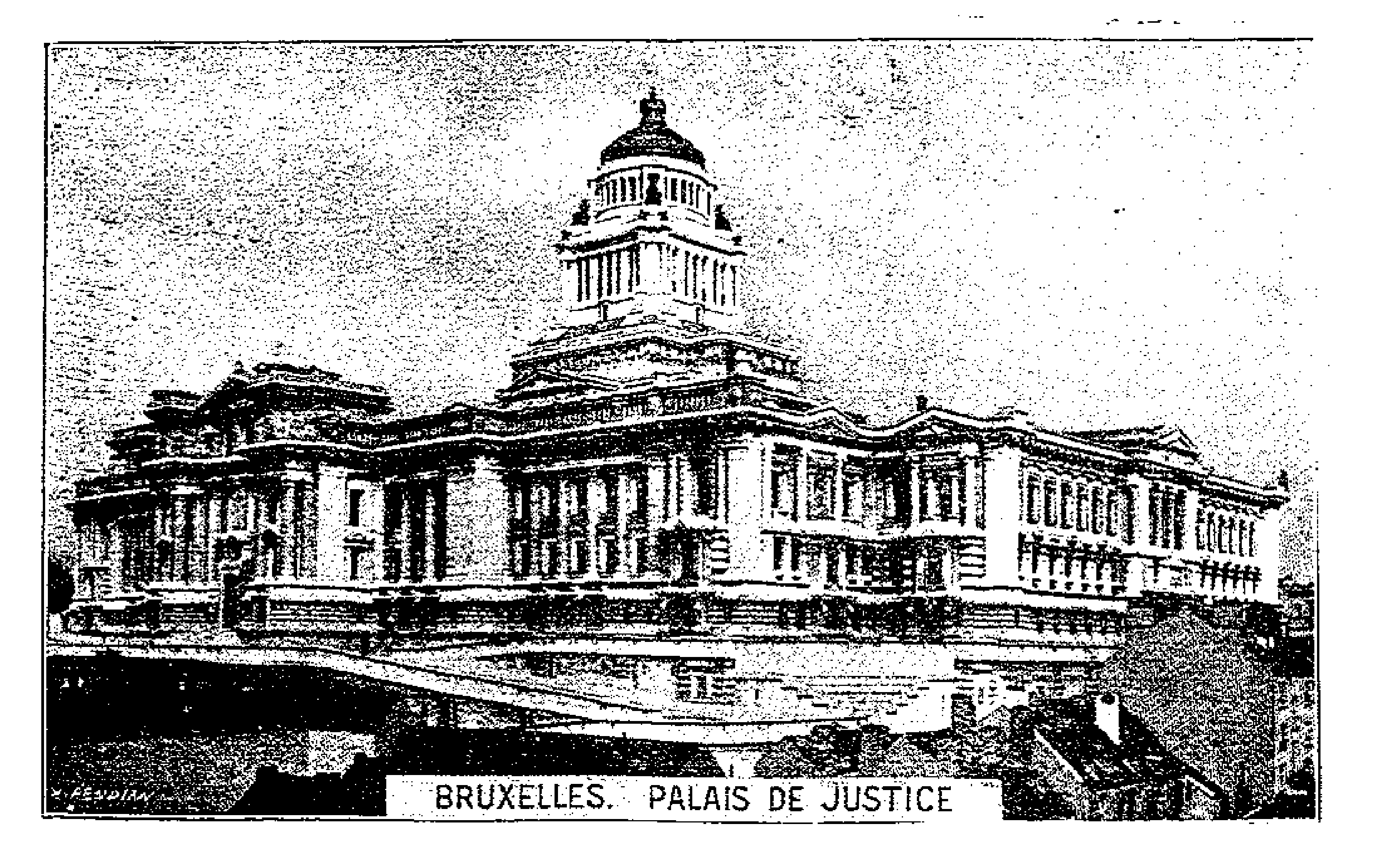
رأيت بعيني رأسي يوم الاحتفال بحرب الزهور بمدينة (كونترا كسفيل) بفرنساسيدة تحمل طفلتين لها في عربة صغيرة مجللة بالورود والازهار لا تزيد سن كل منهن عن ثلاث سنوات وبأيديهن من الخيوط والابر ما يشتغلان به فهكذا تكون العناية بالصناعة وبذلك يكون التشجيع على العمل ولماذا وهذا شأنهم لا يكونون أصحاب ثروة وقوة وبأس مادام صغارهم وفقراؤهم وأغنياؤهم يعملون انهم يشجعون الاطفال ويعودونهم على حداثة سنهم العمل فلا يكونون كبارا الا قاموا باعظم الاعمال وأما فى البلاد الشرقية وأولها مصر فلا

صناعة ولا تجارة ولو لا خصب أرضها لما كانت زراعة أيضاً

الصناعة يا قوم عليها قوام العمران في هـذا الزمان لانه ما سعدت أمـة الا بصناعتها وتجارتها . ألا ترى أيها المصرى أن جميع حاجياتك المعيشية تأتيك من البلاد الاجنبية ألم تر أنك تأخذ مقابل ثمن قطنك وجهاد فلاحك حدائد وأدوات بناء وغيرها انه لعار على أمة ينبت القطن فى أرضها وهو الذي يستعمل كساء في العالم أن تستجلب كساءها من الخارج فلم لا يكون عندك من معامل الغزل والنسيج ما يخرج لك كساءك على الأقل

أين هم اغنياؤك ولم لا يتعاضدون ويؤلفون الشركات لعمل المعامل الصناعية ليستفيدوا من خيرات بلادهم ويستفيد معهم العامل الفقير الذى أصبح يئن من تضييق الخلق عليه وعدم وجود عمل لديه

أحقيقة أيها المصرى انك واهن العزم وانك بلغ منك اليأس مبلغه حتى فيما هو ضرورى لقوام حياتك



بروكسل ـ نظارة الحقانيه ـ (٣١٤)



أين هم الأغنياء

انا نسمع بوجود أغنياء ولكننا لا نري عزائمهم

أحقيقة أيها الغنى أنك لا تعني الا بنفسك وبحاشيتك وبقصورك

ألم تصل الى مسامعك أخبار العمال باوربا وذوى الاعمال فيها

ألم تعلم الزيادة المطردة في عدد سكان القطر كل عام

أنه ليس أمامك الا الزراعة والأراضى الزراعية أتنتظر حتى يقوم العمال بمطالبتك بداعى الحاجة الى الاشتراك فى مزارعك واملاكك تنبه أيها الغنى وأفق من ثباتك واعمل لنفسك وبلدك وقومك لأن دلائل الحياة المستقبلة فى الامم غير ما تعودته وتعوده أسلافك الاقدمون

وأما يأسك واحتجاجك بسبق وجود معامل للغزل وعدم نجاحها ببلادك لمحاربة المعامل الأوروبية لها فهذا لا يفيدك لان لك من ثروتك ومؤازرة بني وطنك الذين بلغ منهم الشعور الوطنى الآن أن يسوقهم سوقا الي الاقبال على مصنوعاتهم الوطنية ومؤازرتها فليعمل كل منا لبلاده ؟

خادم الحرمين الشريفين نجيب حسين الجندى

آراء المؤلف السياسية

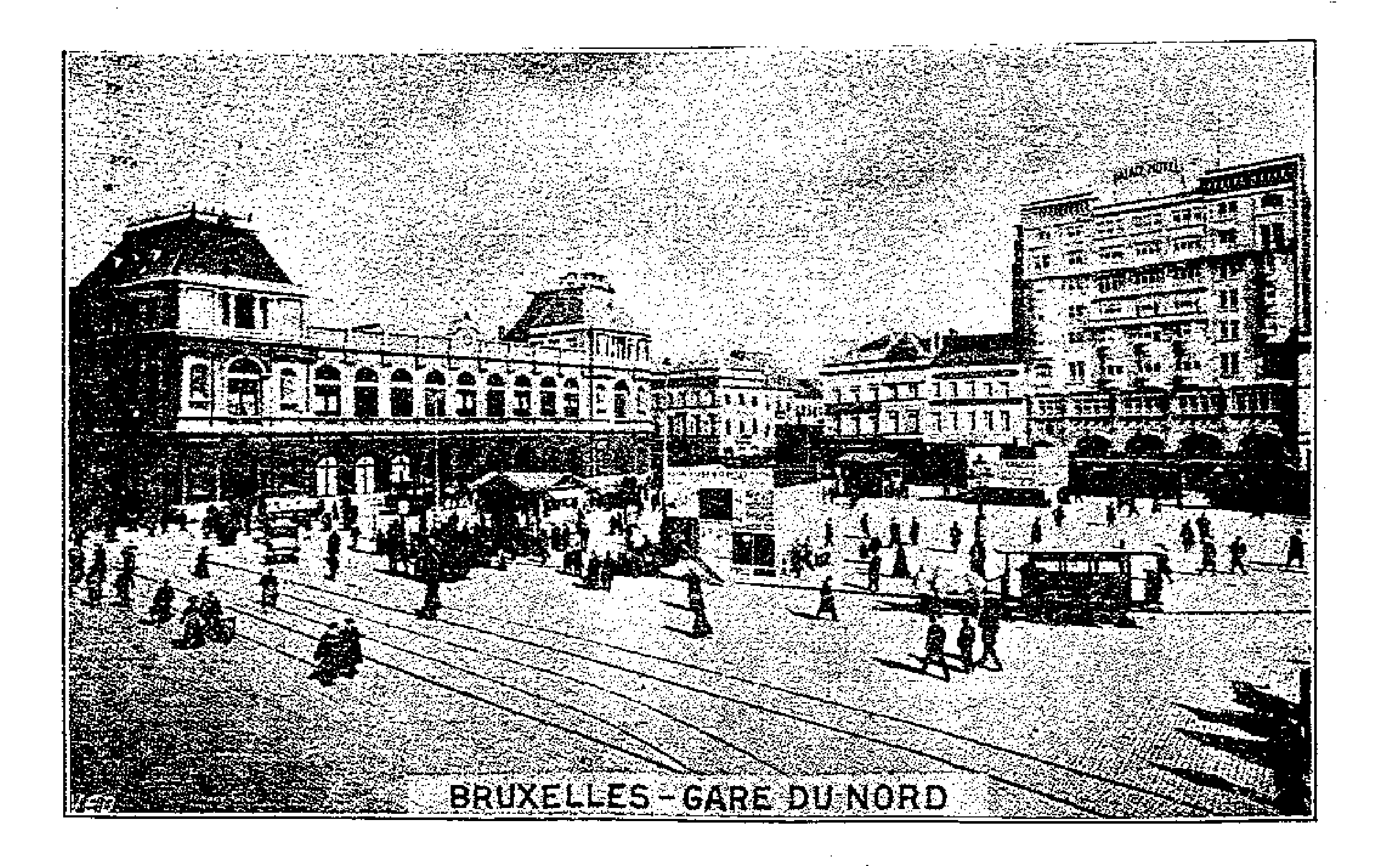
فى أحوال الدولة العلية والشؤون المصرية

قد وقف أكثر القراء على آرائي وأفكاري السياسية فى الحوادث المصرية وما يختص بدولتنا العليـة فيما سردته فى مقالاتي التي نشرتها جريدة العلم الغراء في العام الماضي وهذا العام وبما أن تلك الآراء والافكار تعتبر لي بمثابة مبادئ سياسية لا يمكنني التحول والحياد عنها ولو تحولت الجبال وتغير وجه الارض ولذا رأيت أن آتي عليها هنا بنصها لتسجيلها فى هـذا الكتاب لتكون شاهدا علي امام هذا الوطن العزيز فى حياتي السياسية المستقبلة بمشيئة الله وهى

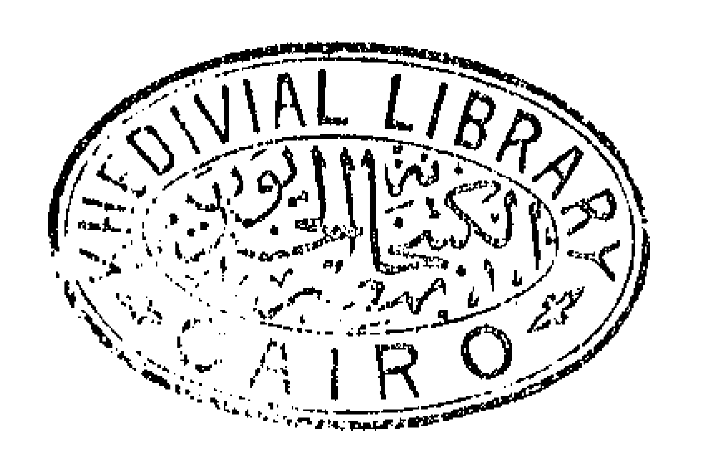
١ — مقال نشره العلم بعدده رقم ١٩ من سنته الاولي فى يوم ٢٩ مايو سنة ١٩١٠ ميلاديه و ٢٠ جمادي الاولي سنة ١٣٢٨ وهو

مجلس الشوري والقوانين الجديدة

علم الخاص والعام أن القانون النظامي أعطى مجلس الشوري القوانين سلطة لو استعملها لبلغت الامـة بلا شك ما ترجوه من الدستور التي تنشده صباح مساء



بروكسل ـ محطة الشمال ـ (٣١٦)


KHEDIVIAL LIBRARY
CAIRO

قامت الامة تنادى بأنها أهل للدستور وهى أرقى بكثير الآن من بعض أمم أوربية أبان نيلها الدستور قام أعداؤها يقولون لست أهلا له ولن تبلغيه الا بعد أجيال !

حكم عليها روزفلت وأمثاله ممن لا يعرفون شيئاً من حالتها ورقيها وتلاعب الاحتلال بمصالحها وتبديده لاموالها الا ما يسمعه من ألسنة المحتلين أنفسهم وما يقوله أعداء المصريين فيحكمون عليها حكما جائرا بدون أن يكلفوا أنفسهم بحثا أو استقصاء عن أحوالها كل ذلك مرضاة لابناء عمومتهم من الانكليز !

اتهمتهم حكومتهم بانهم على باب ثورة بما تصنعه لهم من القوانين الشديدة لتحرمهم من الكتابة والخطابة والاجتماع

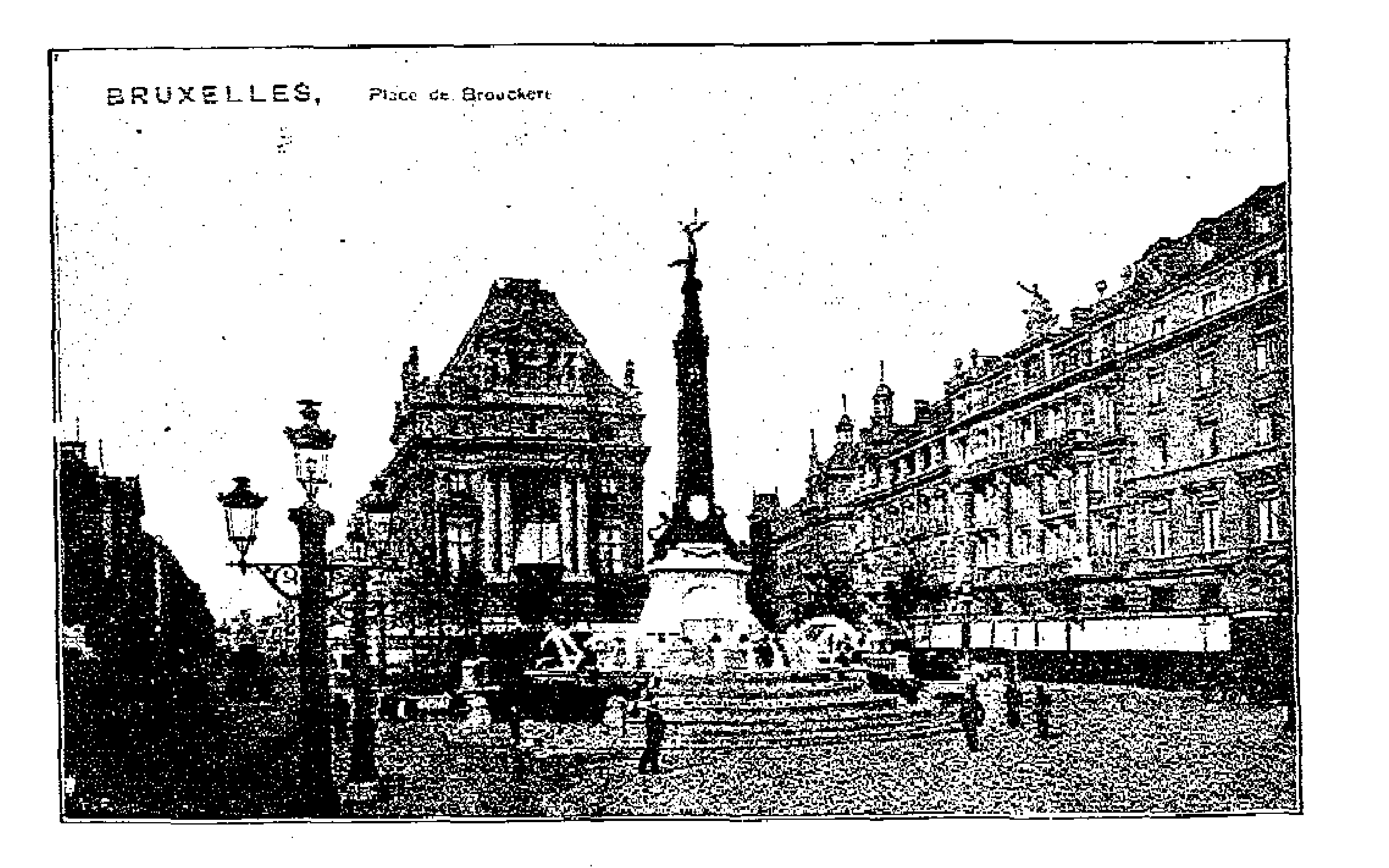
كل ذلك والامة تطلب من مجلس الشورى أن يستعمل السلاح الذي بيده وهو اذا استعمله علمت الحكومة والاحتلال بان الامة خطت خطوات واسعة الى الحرية والدستور لايرجعها عنها تشديد أو تضييق

أم هو ذلك السلاح الذى أشهره فضيلة القاضي السالف المحافظة على نفوذه وسيطرته التي استمدها من جلالة الخليفة الاعظم

هذا السلاح الذي لو استعمله مجلس الشورى لامكنه به قبر القوانين الجديدة وكل ماهو ضد ارادة الامة بين جدرانه وبين أوراقه وسجلاته المودعة ولاخضع الحكومة والاحتلال لتنفيذ مشيئة الامة وجعل العالم طرا يحكم لها بالدستور ولارغم الحكومة على منحه اياها

ذلك السلاح هو ألا يبدى رأيه فى هاته القوانين وقد بين حضرات الكتاب الفضلاء عدم امكان الحكومة استعمال أى شئ لارغام هذا المجلس علي انجاز هذه المشروعات وأنا أقول انها لايمكنها اتيان شئ مع ذلك المجلس الا ماأتته مع فضيلة القاضي السالف والسعي فى استبداله وحينذاك تظهر ارادة الامة بأتم وضوح فى الانتخابات الجديدة التي تقدر فيها الامة أبناءها المخلصين الذين دافعوا عنها دفاع الابطال فى مسألة امتداد امتياز قناة السويس بفض المجلس واعادة انتخابه وباجتراء الحكومة على ذلك يتجلى امام العالم دليل عظيم على استحقاق الامة المصرية الدستور وتكون قد أعطت المجلس من الشأن ما لمجالس أوروبا نفسها وسعادته بها

فيارجال الامة ونوابها المخلصين الآن آن لكم ان تتوجوا أعمالكم وأن تضيفوا فخرا آخر الى مفاخركم فى توقيفكم القوانين الجديدة وعدم ابدائكم الرأي عنها حتي لاتتمكن الحكومة من تنفيذها واذا خفتم ان يظل المجلس منعقدا فى الفصل الذي تتوق نفوسكم الي السفر فيه فأقول ان ليس كل الاعضاء الذين يسافرون فيه بل منهم من تمنعهم أشغال العائلة أو الزراعة من السفر وهناك يمكن تحديد جلسات فى ذلك الفصل الشديد الحر وكلما اجتمع بعض الاعضاء بالمجلس أجلت الجلسة الى أخري لعدم تكامل الاعضاء حتي ينقضى الحر بقيظه ويأتي الاعضاء الغائبون في البلاد الاوروبية بعد ترويضهم أذهانهم بين ربوعها ومقابلتهم زملائهم فى تلك البلاد فيعودون وهم عالمون بالطرق النيابية التي تتبع فى تلك البلاد ليستخلصوا منها الاحسن والافيد للوصول الى مبتغاهم



بروكسل ـ ميدان بروكه ـ (٣١٨)

فاليكم يارجال الشوري ونواب الامة التي تفتخر بكم وتطالبكم بانفاذها من كل تشديد وتضييق ارفع هذا الصوت (الذى لا أخاله الا صوت الامة بأسرها) فعسى أن يصل الى اعماق قلوبكم تصلوا بالامة الى ما ترجوه من فوز مبين يشهد به لكم جميع العالمين

٢ — مقال نشره العلم بعدده رقم ٣٦ من سنته الاولى بتاريخ ١٧ يونيه سنة ١٩١٠ وهو

(مسألة كريد)

ان مركز كريد الجغرافى هو من أهم المراكز الحربية البحرية الى البحر الابيض والدولة التي تملك هاته الجزيرة هي التي تهدد شواطئ الاناضول وجزر الارخبيل وشواطئ الشام وبعبارة أخري هي الدولة التي تملك مفتاح المرور بين الشواطئ العثمانية كما أن خليج الصودا هو الحصن الحصين للاساطيل البحرية فى وقت الحرب وملجأها فى وقت العواصف والانواء

ولذلك فان انكلترا لم يكفها أن يكون في قبضتها مفاتيح هذا البحر بل طمحت أنظارها لامتلاك هذا الخليج ليكون درعا لاساطيلها وقت الحرب وتتمكن به من معاكسة من تريد معاكسته سداً لجشعها واطماعها وذلك معلوم عنها منذ عهد بعيد وقد كادت تصل لغايتها لولا بعض الدول

نعم أن الانكايز لم يكفهم احتلالهم (قبرص) والاشراف منها علي شواطئ الشام وبعض سواحل الاناضول فرموا بأنظارهم الى ذلك الخليج ونظرا لتعود أهل كريد المشاغبات بطبيعة أرضها الجبلية وكثرة غاباتها وأحراشها وجدت من القوم مساعدة على نيل مأربها وربما كان لها يد فى الايعاز الي اليونان بتحريض الكريديين علي ترك السيادة العثمانية والانضمام اليها واعدة لها فى نظير أخذها خليج الصودا كما أخذت قبرص من تركيا فى نظير مساعدتها فى حرب القرم

بمثل هذه السياسة تتذرع انكلترا لامتلاك البلاد بدون حرب ولا تعب وبذلك نشأت المسألة الكريتية التي شغلت الدولة حينا من الدهر كما تشغلها الآن وكان ما كان من تداخل الدول الاربع فى المسألة وفي مقدمتهن انكلترا واخراج الجنود العثمانية من الجزيرة بسبب ما تزرعت به انكلترا وهو قتل أحد الجنود العثمانية لاحد رعاياها واحتلت الدول الاربع الجزيرة وكانت بعملها وبتعيين الولاة من اليونان مشجعة للكريديين على الانسلاخ عن الدولة صاحبة الجزيرة لفرض الانضمام الي اليونان وبعدها تم جلاء الدول عن الجزيرة وفي المقدمة انجلترا التي قبضت علي دفة السياسة فى هذه المشكلة ومن ورائها الدول التي قادتها بداعي الانسانية وما علموا مرامي الجشع البريطاني

ولم تكن الامة العثمانية الكريمة حينذاك تعلم كل مايجرى فى المسائل السياسية فى عهد حكومتها السالفة

BRUXELLES-GRAND PLACE

بروكسل ـ الميدان الكبير ـ (٣٢٠)



أما الآن وقد وهبها الله الدستور وصارت صاحبة القدح المعلي والكلمة النافذة في شؤونها وادارة حكومتها وانتعشت روح الدولة بتجديد الاسطول واحيائه وقد سار يشق عباب البحر لعمل المناورات البحرية فقد صارت جزيرة كريد من أهم لوازم الدولة

وقد شعر كل عثماني محب لدولته بذلك فقام العثمانيون يطالبون الحكومة وقام النواب في مجلس المبعوثين يهددون الوزراء اذا لم يتشبثوا بحقوقهم في كريد فعلي الحكومة العثمانية النائبة عن الامة أن لا تغتر بمواعيد الدول العرقوبية ولتتوصل بالحزم والثبات لارجاع نفوذها السابق على تلك الجزيرة وتطلب من الدول بمذكرة نهائية بان تتركها تعمل في كريد التي هي من أملاكها وأشغالها الداخلية كما يريد شعبها الدستوري وقد آن أن تكسر تلك القيود الحديدية وتظهر بمظهر الدولة التي من ورائها شعب يحميها

ولتنظر الي الروسيا التي لا تكترث بمطالب أعضاء مجالس نواب أوروبا في مسائل داخلية لايحق لغيرها التعرض اليها وعلي الدول اذا كان لايهمها حقيقة نصرة أحد الاجناس علي الآخر ان تترك حكومة الدولة الدستورية تعمل وشأنها في مصالحها الحيوية خصوصا وقد اعترفت الآن بعدالة الدستور العثماني وحسن نظامه

وأما اذا كانت علي ضد ماتقول وتفضل جنسا علي جنس ولاتزال

تعتبر الشرقيين غير أهل لعدم الانتظام بهم كانوا دستوريين على الدولة اقناعها بأنه ليست كذلك وأن من ورائهم شعبا لا يسمح بضياع شبر أرض من أملاكها خصوصا وكريد حصن لسطوتهم الحصين وعز في المستقبل

ولتعلم اليونان أن الدولة لا تمكنها من ضم الجزيرة وإن كانت محكات النمسا والبلقان من أطرافها : ولتعلم الدول أنه من وراء انضمام كريد الي اليونان سقوط خليج اصودا في يد الانجليز : فتمسكوا أيها العثمانيون بكريد لا تتركوها

٣ — مقال نشره العلم بعدده رقم ٣٨ في ٢٠ يونيه سنة ١٩١٠ وهو

(مصر وفنلندا)

عراني الدهش حين قرأت في (الجريدة) بعددها الصادر يوم الثلاثاء مقالة خطها (بعضهم) بعنوان (مصر وفنلندا)

وانما كان دهشي لما أتي به حضرته من الافكار الصائبة التي يشكر عليها لولا متخللها من رأيه بضرر تابعية مصر لتركيا وانه لولا تلك التابعية لعرض قضية مصر علي محكمة لاهي لتنصفها من خصيمتها انجلترا

أعجب كثيراً من هذا الكاتب كما أعجب من علو كعبه في السياسة الى حد ان يتوهم ان تلك المحكمة يمكنها ان تحكم للامم بالحرية والاستقلال وهي لم تنشأ الا لحسم بعض المشاكل الصغيرة المالية وغيرها مما يحصل بين بعض الدول ولا يكون له مساس بشرف أي دولة أو استقلالها وان

اختصاصها لايزيد عن اختصاص احدى المحاكم المدنية بيدان هذه المحكمة تحكم بين الافراد وتلك تحكم بين الجماعات فيما لايمس الشرف والاستقلال

ولعل حضرته توهم من أقوال روزفلت فى أوروبا وطلبه توسيع اختصاص تلك المحكمة وجعل أحكامها واجبة التنفيذ بتضامن الدول : ان تلك المحكمة صارلها من الحول والطول ما يمكنها به منح مصر دستورها واجلاء الانكليز عنها : مع ان فكرة توسيع اختصاصها بعيدة التنفيذ مادام للسيف والمدفع أثر فى الوجود

ولنفرض جدلا بان تلك المحكمة قد وسع اختصاصها وصارت أحكامها تنفذ قهرا فعلى من تنفذ ياترى ؟؟

أليس على الضعيفة من الامم وان الامم القوية فى حصن حصين من جيوشها وأساطيلها التي هى صخرة من نحاس يستند عليها السلم فى العالم بقول أحد ملوكهم أتكون هذه المحكمة أوسع اختصاصا من المؤتمرات التى يحضرها جميع مندوبي الدول لتسوية المشاكل بينهم وينتهون منها بدون نتيجة مع علمهم بان ليس بعد ذلك الا السيف والنار

هل فات الكاتب ما تم فى مؤتمر السلام الذى عقد قريبا وكيف لم يمكنه تحديد التسليح لعدم رضا احدى الدول القوية بذلك ولم تقدر باقي الدول مع ماعندها من القوة على الزامها بقبوله

ان محكمة لاهي اذا وسع اختصاصها تكون كالمؤتمرات فليبحث حضرته عن أعمال المؤتمرات ونتائجها ليعلم أي الامم أنصفته هل أنصفت

القوية أم الضعيفة ألم تهتضم حقوق الدولة العلية فى تلك المؤتمرات مع انها دولة غازية فاتحة كما يقول الكاتب

ان الاولى لحضرته قبل ان يبحث عن كيفية اضرار تبعية مصر الى الدولة (بدون سبب غير عدم التمكن من عرض القضية المصرية على محكمة لاهى) : ان يبحث فى مسألة تحديد التسليح ويلزم الدول بقبوله بعد توسيع سلطة محكمة لاهي حتى يكون حكمها نافذا على جميع الامم كما انه يجب عليه ان يوجد لمصر من المراكب الحربية والجيوش ماليوناني على الاقل حتى تحترم ارادات الشعوب وتكون أهلا للتقاضي امام هذه المحكمة

يكفي حضرة الكاتب للدلالة على أن محكمة لاهى ليست تلك المحكمة التى يتوهمها وأنه ليس من الاختصاص مايدور بخلده أن الرئيس كروجر لم يمكنه عرض مسألة الترنسفال عليها مع أنه لم يكن اذ ذاك تابعاً لدولة كالدولة العلية فتعوقه عن ذلك

وليعلم حضرته أن سعى الرئيس كروجر فى أوروبا انما كان لعقد مؤتمر ينظر فى مسألته لا لعرضها على محكمة لاهي وأظن أن ذلك يكفي بأن تابعية مصر للدولة العلية لم تضرها بل الضرر كل الضرر فى ترك هاته التابعية فى هذه الظروف لانه لولاها لكانت مصر ملكا للانجليز أو تحت حمايتهم لا قدر الله ذلك

فليتمسك المصريون بعرش دولتهم العثمانية وليبذوا مثل هاته الترهات نبذ النواة وليعملوا لخلاصهم من نير الاحتلال وليرفعوا أصواتهم ليسمعوا الرأى العام فى أوروبا حقيقة مطالبهم وميولهم والله المستعان

٤ — مقال نشره العلم بتاريخ ٢١ يونيه سنة ١٩١٠ وهو

(نحن والاحتلال)

كلما طال أمد الاحتلال بمصر تذرع الأنجليز بوسائل جديدة لاعلان استمرار احتلالهم زاعمين أنهم اذا تركوا مصر عرضوا مصالح النزلاء والمصريين أيضاً للدمار ! !

علم الانجليز أن الرأى العام الاوروبي وقف على أعمالهم وأغراضهم : وقد أرسلت لهم الفرص مطارد الاسود في غاباتها الافريقية ومصاب العبيد فى بلاده الامريكية وكان ذلك الانسان الذى دفع نفسه فوق طبقة الانسان وأنزلها بمنزلة هداة الامم والشعوب مشغوفاً بحب الظهور فوق منابر الخطباء بين الامم بمظهر الناصح الحكيم والمهذب السياسي العظيم والاخلاقى الكريم وقد رأى أنه بايلامه عواطف الامم الضعيفة يرضى الاقوياء من الامم فوقف وقفته فى السودان ومصر وأتمها بوقفته فى (جلدهول) التي مهد لها السبيل بتلك الخطب حتى يشغف كل انجليزى بسماع خطابة صديقهم الحميم الغيور على مصالحهم فلما وقف

تلك الوقفـة وأرضى الاستعماريين بمـا قال وتناولت جرائد أوروبا خصوصاً الانجليزية خطبته فنها ما استحسنتها ومنهـا ماصوبت بعضها وخطأت البعض ومنها ما استهجنتها : ولكن الخطيب لم يكن يهمه من ذلك الا أن يعلم أمته الامريكية بأنه ألقى دروساً فى السياسة على انجلترا ليعلوا قدره ويزحزح مزاحميه في الرئاسة عن مراكزهم ولكن خاب أمل أنصاره لمـا علموا أن رجلهم الذى حكم على أمم لم يمكث ببلادها سوى بضعة أيام بعدم الاهلية للحكم الذاتي وطلب منها الخضوع للامم القوية : سقط تلك السقطة التي جعلت أحرار الانجليز يستاؤون منه ومن دروسه المعيبة لهم حتي أن نفس السـير جراي لم يستطع الا انكار عرض الخطبة عليه قبل القائها ولما رأي فشل خطيبه وتهكم الجرائد الاوروبية عليه قام فى البرلمان الانجليزى يعلن موافقته على تلك الخطبة وانهم لو ناقشوه قبل عيد الفصح في مسألة مصر لقال ما قاله روزفلت :

ولكن أقواله لم ترض الاحرار فى البرلمان واتهمه بعضهم بأنه محافظ أكثر من المحافظين وان تصريحاته هذه تقطع كل أمل فى النفوس من تقـدم الحكم الذاتي الموعود به فى مصر فلم يستطع كتم الحقيقة عن المجلس وأجاب على أسئلة مستر كتل ومستر دلازيل اجابة يفهم منها انه لم يقل ذلك الا لتخدير أعصاب الوطنيين المصريين ما داموا يسوئون أعمال المحتلين واذا رجعوا عن خطتهم فلا يكون لهم الا التقدم حسب مايرغبون

أما وقد طلب روزفلت من الانجليز انزال الصواعق على مصر والمصريين وقام سير جراي يدافع عنه ويعلن موافقته على ذلك ثم يقول ان المصريين لا يرجون تقدما مادامو على هذه الخطة والمعاهدات القديمة لاتوافق روح العصر الحالي ويجب تغييرها فانه يظهر للقارئ من ذلك كله بان تلك كانت حركة مدبرة ومناورة سياسية أتاها السياسيون الانجليز ليجسوا نبض الرأي العام الاوربي وقد أرسل الله لهم روزفلت المتعنت ليكون ذلك على يديه ولكنهم أدركوا سريعاً من الجرائد الاوربية وحملاتها على مستر روزفلت بأن الرأي العام هناك لا ينخدع بمثل ذلك وان الدول الاخرى التي لها مصالح بمصر لاتعرض مصالحها لجشع الاستعماريين من الانجليز فقام سير جراي وفاه بكلماته الاخيرة وأضاف اليها ذكر المعاهدات ليعلم أوروبا بانه لا يتم تغيير في مصر الا بعد استشارتها وأخذ رأيها فيه اذلا يمكنه تعديل المعاهدات الا بعد مفاوضتها في تلك المعاهدات التي هي عقبة كؤود في سبيل الوصول الى أمانيهم الاستعمارية فالواجب على المصريين حينئذ ان يمكنوا صلاتهم مع النزلاء من الاجانب ويفهموهم مطالبهم واغراضهم حتى يكونوا جميعا من أنصارهم ويعلموا أممهم وشعوبهم حقيقة مايجري بمصر وغرض الانجليز من القضاء على امتيازاتهم

كما انه يجب على المصطافين منا باوروبا ان يتوصلوا بكل الوسائل لتفهيم الرأي العام هناك عن ذلك

وهنا بقى لى كلمة أقولها عن اللغات وتعلمها خصوصا في بلادنا المحتاجة لتعلم اللغات الاوروبية علي تنوعها أكثر منها في بلد آخر لكثرة تباين لغات نزلائها لاني رأيت جميع البلاد الاوروبية ورأيت الاستانة العلية تهتم كثيراً بتعلم اللغات الحية لان بها يمكن التفاهم مع الامم ونقل المفيد من مؤلفاتها ففى بلادنا نجد اللغة الفرنسية لغة الحرية والمدنية قد أوشكت ان تزول ثم لانجد اللغة الالمانية التي هي لغة العلوم العصرية والمخترعات أثرا والايطالية لغة الفنون والصنائع والتركية لغة دولتنا العلية وغيرها لاأثر لها

أما وقد صرنا الآن في أشد الحاجة لافهام الامم الاخري حسن نياتنا وأغراضنا فيجب التوسع في اللغة الفرنسية وتعلم اللغة الالمانية التي هي لغة مائة مليون أوربي تقريبا كما يجب تعلم التركية والايطالية التى لا أثر منها عندنا : ان اللغة الالمانية هي لغة القوة القاهرة في أوروبا الآن كما انها لغة العلوم العصرية والمخترعات المستحدثة وبها من المجلات العلمية والجرائد ماليس للغة أخرى والمطالع على مجهودات هذه الامة العظيمة وتفوقها تجاريا واقتصاديا علي باقي الامم يحكم بانه لاتمضى بضع سنوات الا ويكون لالمانيا مركز تجارى في مصر كما لغيرها

وحبذا لو اهتمت الامة بانشاء مدرسة لتدريس اللغات الحية هدانا الله الي مافيه خير بلادنا

٥ — مقال نشره العلم بعدده الصادر في ٣٠ يونيه سنة ١٩١٠ وهو

(مصر في البرلمان)

أن سياسة الانكليز الاستعمارية لاتتغير بتغير الوزارات ولذلك لم أندهش من خطابة المستر بلفور رئيس حزب المحافظين ورئيس الوزارة السابق في البرلمان ومن الاحتراس الذي أبداه فيها لكي لا يتناول أعضاء حزب الاحرار أقواله بالنقد وجعل تلك المسائل خارجة عن مباحث الاحزاب وموافقة السير جراي على ذلك

ولكن أدهشني من تلك الاقوال قوله ان الانكليز لم يمكثوا بمصر حبا بها فقط (وان كان يعتقد أنهم مكثوا بها لمصلحتها) بل حبا ومحافظة علي مصالح أوروبا بأسرها وكذلك الذين ينوبون عنها

نعم ندهش من ذلك لان الحقيقة بادية وواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار يعلمها القريب والبعيد كما يعلمها النزلاء أنفسهم تشير بان الانكليز من يوم احتلالهم لهاته البلاد وقبضهم علي ادارة حكومتها لا يهمهم الا الاستئثار بالسلطة وابتزاز خيرات البلاد ومحاربة النزالة الاوروبية فيها ماديا وأدبيا ليستخلصوا خيراتها لانفسهم وليس ببعيد علينا محاربتهم اللغة الفرنسية بمدارس الحكومة وغيرها ومن يلقي نظرة عامة علي أعمال الحكومة ومبانيها ومقاولاتها يجد انها كلها متجهة نحو تعضيد الشركات الانكليزية ومحاربة الشركات الاوروبية

ألم تعط المقاولات للشركات الانكليزية مع وجود الشركات الاوروبية الاخرى التي تقدم أقل عطاء وأتقن عملا

انهم قد حاربوا المصالح الاوروبية فى هذا القطر وليس ببعيد علينا حادثة المسيو لمبير وغيرها وذلك لم يكفهم حتى أرادوا أن يقضوا على حرية النزلاء أنفسهم بتعديل امتيازاتهم لما علموه من مناصرة أحرارهم المصريين وبذلك يقضون على مصر شر قضاء

لنبحث عن التجارة الاوروبية فى مصر قبل الاحتلال وبعده ألم يكن لفرنسا المقام التجاري الاول في مصر قبل الاحتلال وقد حلت الآن التجارة الانكليزية محلها

لننظر الى مصالح الحكومة ومدارسها ألم تكن ملآنة بالاساتذة والموظفين الاوربيين المحكنين وقد استبدلوا الآن بشبان من الانكليز

ان اليوم الذى ترضي فيه الدول بترك امتيازاتها فى مصر هو اليوم الذي يجب على رعاياها فى هاته البلاد البحث عن بلاد أخري لترويج مصالحهم ومتاجرهم فيها

انهم ان كانوا واثقين بأن متاجرهم ومصالحهم رائجة فى الهند وأستراليا وجنوب أفريقيا وغيرها من المستعمرات الانكليزية فليتنازلوا عن امتيازاتهم فى مصر عن طيب خاطر

والا فليقولوا لنا ماذا عزموا علي عمله أمام تهجمات الجرائد الانكليزية عليهم وعلى امتيازاتهم

انهم قادرون علي أخبار حكومات بلادهم بواسطة السفراء على أن البلاد المصرية فى هدوء وسكينة ترحب بنزلائهم وتعجب بنشاطهم وحريتهم

انهـم قادرون علي الكتابة بجرائد بلادهم لينفوا تلك المفتريات والتهم التي تذيعها الجرائد الانكليزية عن مصر والمصريين من حين لآخر لتنفيذ مآرب الاحتلال

ان كبار النزلاء الذين يصطافون ببلادهم لقادرون بلا شـك على مقابلة نوابهم وسواس بلادهم وأخبارهم عن حالة مصر ونفي تلك التهم عنها حتي لا ينخدعوا بكتابات الانكليز وأقوال سواسهم

ان هذا اليوم لهو اليوم الذى يجب فيـه التآزر بين النزلاء وأبناء البلاد للمدافعة عن مصر ومصالحهم فيها أمام مفتريات الجرائد الانكليزية

وليستبشر المصريون خيراً حيث أضاف السير جراى الى صفوفهم النزلاء بتهجمه علي امتيازاتهم ومحاربتهـم فيها فاليكم أيها النزلاء الاجاد أبناء الحرية والمدنية تمد مصر يدها وتطالبكم بحق اعتدال هوائها وطيب مناخها أن تردوا عنها هاته المفتريات وتلك التهم وتآزروا مع أبنائها للدفاع عنها أمام تلك الجرائد الاستعمارية

ان مصر ذلك البلد الهاديء وشعبه ذلك الشعب الذكى بشهادة علمائكم الذي يعجب بحريتكم وتتوق نفسه اليها يطالبكم أيها النزلاء الكرام أنصار الحرية أن تأخذوا بيده وتنفوا عنه تلك التهم وهو لا ينسى افضال

علماؤكم عليه وأعمال رجالكم المجيدة في بلاده ولن ينسى ذلك الى نهاية الزمن

٦ — مقال نشره العلم بتاريخ ١٠ يوليه سنة ١٩١٠ وهو

﴿ نحن والنزلاء ﴾

أصبح سكان هذا البلد الهادئ الامين من وطنيين ونزلاء بعد تصريحات السير جراى وحملته الاخيرة على أعز شيء لديهم الا وهي الحرية التى تنشدها الاجنة في بطون أمهاتها ويشعر بها الطفل بعد ولادته ومس جسمه أديم هاته الغبراء — أشد عزما من ذي قبل على تمكين صلاتهم وتآزرهم للدفاع عن مصر وسمعتها أمام الرأي العام الاوروبي الذى لاينخدع بأكاذيب الجرائد الانكليزية وتمويهاتها ورميها المصريين بما هم منه براء توصلا لتنفير أوروبا منهم وتفهيمها أغراضهم على غير حقيقتها حتى لا يعطف عليهم أحرارها

تلك الاكاذيب والافتراآت التى ساعدت الازمة المالية وجعلتها تفتك بالبلاد فتكا ذريعا ولم يسلم من شرها النزلاء الانكليز أنفسهم وكبار تجارهم

ولذلك ترى المصريين يبحثون وينقبون عن العوامل التي كانت سببا لسوء الظن بهم أمام النزلاء الكرام وأمام رجالهم الرسميين الذين ينوبون عن حكوماتهم في هاته البلاد

ولذلك أطلقت لفكري العنان في البحث والتنقيب عله يصل الى معرفة تلك العوامل التي كانت من الاسباب الموجبة لسوء الظن بالمصريين عند

زلاتهم فأبصرت شعاعا من الحقيقة يختفي خلف أغراض بعض تراجمة الوكالات السياسية في هذا القطر وربما كان سببا لجلب سوء الظن بالمصريين لان أكثر سفراء الدول في هذه البلاد ووكلائها السياسيين يجهلون العربية قراءة وكتابة ولضرورة احاطتهم علما بأحوال مصر لرفع التقارير عن أحوالها الى حكوماتهم يوسطون التراجمة لترجمة ماتنشره الصحف الوطنية وهناك يكون من الممكن قلب الحقائق لقصور في الترجمة أو لغرض في نفس يعقوب

وقد اهتم المرحوم مصطفى كامل باشا بذلك وانشأ جريدتيه الفرنسية والانكليزية لتقوما بهذا الواجب

ولكنا الآن وليس لنا بد من مواصلة العمل للتفاهم وكسب قلوب الاحرار من كل أمة يجب على النزلاء الفات نظر حضرات وكلاء دولهم ومعتمديها السياسيين لانتقاء تراجمتهم من نوابغ المصريين المعتادين منا الكتابة في الجرائد الافرنجية وعليهم أن يعرفوا ذلك حق العرفان

وعلى نوابغنا أن يرشحوا أنفسهم لتلك الوظائف ويبذلوا جهدهم في سبيل الحصول عليها واكتساب ثقة سفراء وقناصل الدول بهم وبمقدرتهم الفائقة على آداء ذلك وليتشبهوا باذكياء السوريين الذين يتزاحمون على تلك الوظائف

وعلى الشبان الموسرين منهم من هذه الامة العزيزة أن يتطوعوا لذلك تطوعا خدمة لبلادهم التي هي في أشد الحاجة لمثل تلك الخدم الجليلة في مثل هذا الوقت الذى كثر فيه قلب الحقائق وتشويه أغراض

المصريين فيكونوا بذلك وبتطوعهم قد خدموا بلادهم وخدموا الحقيقة على السواء ويكفي حكومات أوروبا ورأيها العام أن يقفوا على حقيقة أحوال مصر وما يجرى بها من وكالاتها الرسمية فى هذه الديار حتي تساعد المصريين على رد دستوهم وتحقيق أمانيهم الوطنية بعد وقوفها على حسن نياتنا وحقيقة أغراضنا

٧ — مقال أرسلته الى جريدة العلم لنشره فى أوائل يناير من هذه السنة وهو

﴿ الفتنة اليمانية ﴾

مضى حين من الدهر وأطراف البلاد العربية تتناوبها الثورات نظرا لموقعها الجغرافى وقربها من شواطئ البحر التي يمكن تهريب الاسلحة منها الي داخل البلاد

وقد قام بينها بعض الرجال الجهلاء المارقون الي الادعاء بالامامة والامارة فى تلك البلاد وادعاء الانتداب الى رسول الله صلعم وهو منهم براء توصلا لالتفاف بعض الجهلاء بهم مخدوعين بما ته الافتراآت والاكاذيب

وقد ساعدهم على نشر مبادئهم الفاسدة بين الاقوام تعسف بعض رجال الدولة فى العهد الاستبدادى البائد وخيانة بعضهم الذين كانت تشتري ذممهم بالفضة والذهب -

فعمت تلك المبادئ الفاسدة فى القطر اليماني اذ قام بينه رجل طاغية شرير يدعى (يحيى) لم يرع للدولة العثمانية والخلافة العظمي عهدا ولا زماما

وأثار عليها القبائل وكان من أمره في العهد السالف مايعلمه الجمهور

ولما أنعم الله علي دولتنا العلية بنعمة الدستور وقام رجالها العاملون باصلاح داخليتها وعمل المشروعات المؤدية لسعادة السكان واعترف بنجاحهم العالم أجمع وتنازلت الدول الاجنبية عن تشبثاتها بمطالبها في بعض البلاد وأطلقت اليد لرجال الاصلاح في مقدونية وقام مجلس النواب الجامع لنخبة الامة بتقرير المشروعات النافعة (التي أنفذ بعضها وسينفذ الباقي في وقت قريب بمشيئة الله) من إنشاء الطرق وعمل السكك الحديدية لتسهيل المواصلات ونقل خيرات البلاد ومتاجرها واصلاح الضرائب وقسمتها بالعدل والقسطاس بين الناس

وكان هؤلاء مدعوا الامامة والامارة في تلك الانحاء الرملية والصحاري ذات الجبال المتشعبة لم يرقهم ذلك لما ألفوه من خور عزائم رجال العصر الماضي الذين كانوا يقلدوهم الرواتب ويطلقون لهم الايدي في البلاد (طلبا لخضوعهم) حتي عم في البلاد الفساد وكثر عدد هؤلاء الخوارج المفسدين في الارض فقاموا بثوراتهم التي جاوبتهم عليها الدولة (أدامها الله) باللين واللطف اذ قبلت مطالب وفودهم وعينت ذلك الرجل الضال المضل المدعي (يحيى) أميرا علي الجهات الجبلية من بلاد اليمن وصفحت عن ذنوبه وثوراته المتعددة

ولما كان ذلك الجهول قد خامرته نشوة الظفر بذلك التعيين واذعان الدولة لمطالبه حقنا لاهراق دماء المسلمين ومنعا لتعريض جيشها الظافر لمفاعيل التقلبات الجوية في تلك الانحاء

فقام منتقضا على الدولة خارجا على الخليفة الاعظم يعيث فى الارض فسادا ويتبعه فى ذلك متشيعوه الجهلاء الذين قاموا بحصار صنعاء وبعض البلاد الاخرى وقد مالأه على ذلك الصين غرجبول يدعى (الادريسى) قام ببلاد العسير منتقضاً على هولاه وخليفته وعلى الدولة التي أسدلت عليه من نعمائها وقد التف بهم بعض النهابين السلابين من جهلة القبائل بتلك الانحاء

فقامت الدولة (اعزها الله) تشمر عن ساعد الجهد وتحشد الجيوش الجرارة المرسلة الى تلك البلاد لاقتلاع جذور الدسائس منها والضرب على أيدى المفسدين لتتمكن من تنفيذ مشروعاتها الاصلاحيــة فى تلك الانحاء ومد السكك الحديدية بها وانشاء المدارس اللازمة لتنوير عقول هؤلاء الاقوام

فجاش فى صدور هؤلاء الادعائين الرعب وأوجسوا خيفة وفزعا من ذلك العدد العديد الساق لتأديبهم وردهم الي طاعة خليفتهم امام المسلمين وحامى حمى الدين — فساروا يراسلون بعض من لفظتهم بلادهم وآوتهم هاته البلاد المصرية المتمسك أهلها بتابعيتهم العثمانيــة وخلافتهم العظمي — راغبين اليهم بنشر رسائلهم البـادره (التي هى أطول من ليالي الشتاء) والتي لا يعلم لها مبنى ولا يفهم لها معنى الا حض المسلمين (العرب طبعاً) على مؤازرة ذلك الخائن الشرير الخارج على خليفة رسول رب العالمين وامام المتقين

وقد ساعدهم علي ذلك بعض الجرائد العربيـة فى هاته البلاد بما تنشره من تلك الرسائل التي ظاهرها الحض علي الوفاق وداخلها سموم ونفاق كتبت بمـداد الخديعـة لتسيطوا على عقول البسطاء جمعت فيها الآيات القرآنيه والاحاديث النبوية ووجهت الى العلماء الاعلام لتحضهم علي مؤازرة ذلك الامام (يحيى) ونشر مبادئه بين الانام — متذرعين لذلك بانتسابه (الموهوم) لبيت رسول الله وندروا أن علماء الدين المخلصين للخليفة الاعظم لا يعبأون بمثل هاته الترهات لانهم يعلمون قوله تعالي في كتابه العزيز (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) ويعلمون حق العلم أن الخارج على الخليفة يجب رده وعقابه ولو خرج (علي) علي الخليفة أبي بكر أو عمر لوجب رده فما بال ذلك الا دعاتي الذي عاهدته الدولة وآمنته فطغى وبغي وهاجم جنودها وهم آمنون وأثار عليها القبائل منتقصين

ان كل منصف فى العالم ليصوب عمل الدولة ومبادرتها الي قمع تلك الفتنة بما لديها من القوة والبطش بعد ماعلموا بما آل اليه أمر الكويت ولحج والمحمرة وحضر موت وانتماء أمرائها الى الانكليز

فليتدبر العرب وشيوخه وأمراؤه عاقبة هاته الانقسامات القومية والخروج عن طاعة الخليفه وماأصاب المسلمين بسببهامن الذل والهوان وسقوط أكثر بلادهم فى قبضة الاجانب ووقوعهم تحت نير استعبادهم

واضطهادهم ولا يغيب عن فطنتهم حوادث مراكش وايران وانقسامات أهلها ومطامع الدول فى بلادها — لان أكثر الناس عقلا من اعتبر بغيره وقاس غده بأمسه فعسي أن تنفع الذكرى للمذكرين

وغير ذلك من المقالات التي لاحاجة الى سردها فى هذا الكتاب والي الله حسن المآب

﴿ انتهى ﴾

(تنبيه) — وقعت بعض غلطات مطبعية لاتخفى علي اللبيب



☆(فهرست)☆

صحيفة

٢ تاريخ المؤلف
٧ مقدمة الكتاب

﴿ الدولة العلية وبلاد اليونان ﴾

١٠ خلاصة تاريخ الدولة العلية
٢٠ السفر من مصر الى الاستانة والمرور بپيريه
٢٤ السفر من پيريه الى أتينا عاصمة اليونان ووصفها بضواحيها
٢٧ ثغر أزمير وجزيرة مدللي
٢٨ بوغاز الدردنيل والوصول الى الاستانة
٣٠ الاستانة العلية
٣٩ جامع أياصوفيا وجامع السلطان أحمد
٤٣ مسجد السليمانية ومسجد أبي أيوب الانصارى
٤٤ جامع القاهرية ومتحف الأنكشارية

صحيفة

٤٦ سراى (طوب قبو) والآثار الشريفة النبوية

٤٨ السوق الكبير (بيوك شرشه) ومدافن السلاطين

٥١ الباب العالى وقرن الذهب

٥٤ ضفاف البوسفور ومتنزهاته

٦٨ الذهاب من محطة حيدر باشا الى جزائر الامراء ووصفها

٧٤ سراي (طولمه بغچه) وجنازة السلطان مراد

٧٨ الصعود الي سراى يلديز يوم عيد الجلوس ووصفهما

٩٠ حفلة السلاملك (صلاة الجمعه)

٩٤ العودة الى مصر والمرور بجزيرة رودس

٩٥ السفر ثانيا الى الاستانة والمرور ببلاد اليونان وزيارة سراى الملك ودار الآثار و(الستاديون)

٩٨ الوصول الى الاستانة وحالتها بعد حادثة القنبلة وزيارة متحف الآثار بها

ايطاليا

١٠٥ خلاصة تاريخية

صحيفة

١٢٦ السفر الى ايطاليا والمرور ببرندزى وباري وانكونا والبندقية (ڤينيزيا)
١٣٦ مدينة ميلان
١٣٨ معرض ميلان العام سنة ١٩٠٦

سويسرا

١٥٤ السفر الى سويسرا
١٥٦ مدينة لوسرن
١٥٨ مدينة بال
١٥٨ مدينة استراسبورج بألمانيا

فرنسا

١٦٤ السفر الى الحدود الفرنسية ومنها الى نانسى
١٦٨ مدينة نانسى
١٦٩ كونترا كسفيل وينابيعها المعدنية
١٧٤ ڤيتيل ومياهها
١٧٧ مختصر تاريخ فرنسا

صحيفة

١٩١ فوائد السفر والسياحة

١٩٧ السفر من كوتترا كسقيل الى باريس

٢٠٠ مدينة باريس ومتاحفها وآثارها وشوارعها ومنتزهاتها وأعيادها

٢٤٢ سراى اللوفر الفخيمة

٢٤٧ سراي العجزة (الأنفاليد) وزورة متحف فرساى

٢٥٦ برج أيفل

٢٦٠ مدفن العظماء (البانتيون)

٢٧٦ عيد الحرية (١٤ يوليه)

٢٨٥ ضواحي باريس

٢٩١ نابولي (ايطاليا) ومرسيليا (فرنسا)

٢٩٨ معرض بروكسل سنة ١٩١٠ ووصف المدينة ببلجيكا

٣١٠ أخلاق وعوائد القوم

٣١٦ آراء المؤلف

